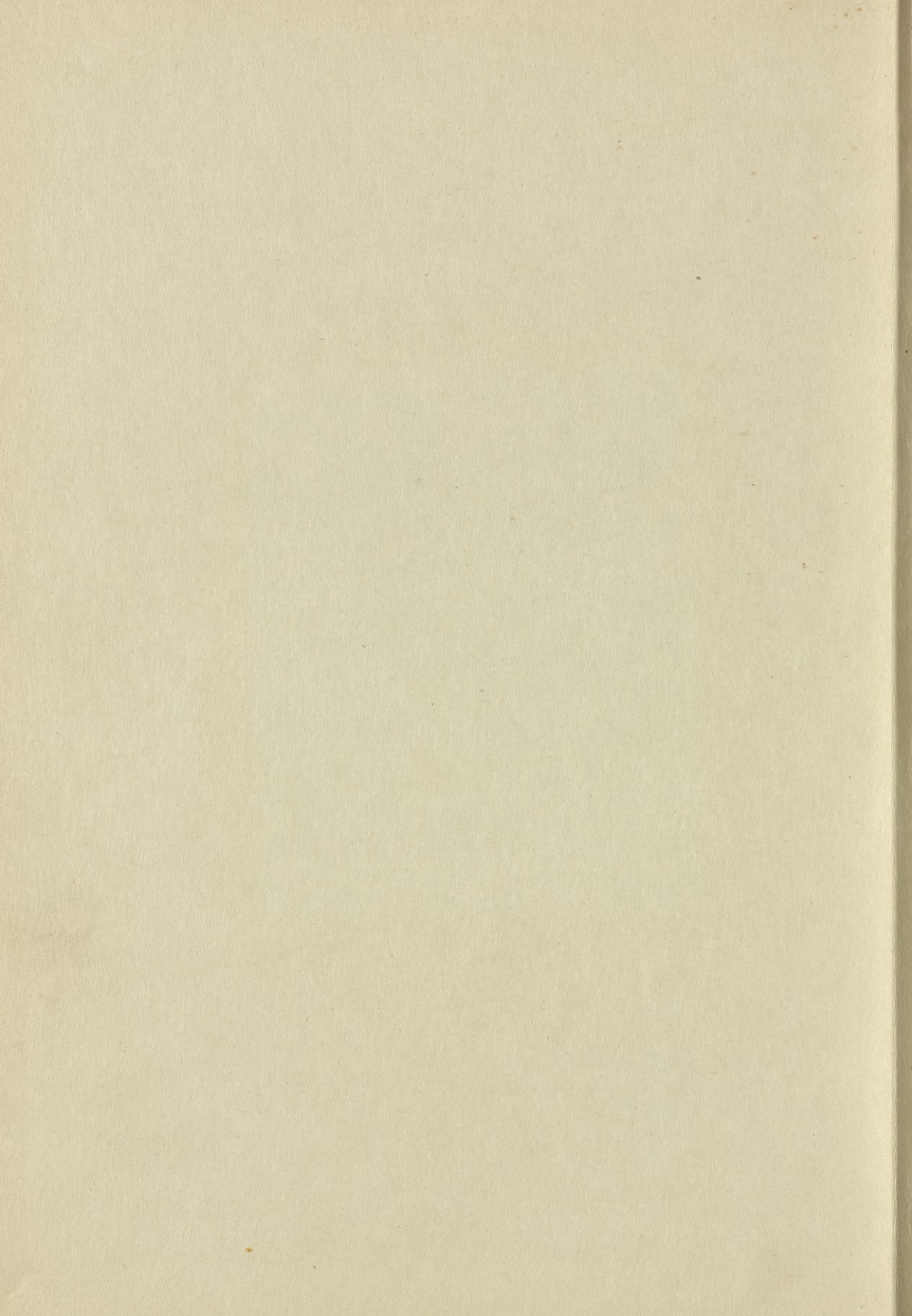


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES





مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقَ



تراجم الأعيان

من أبناء الزمان

تأليف

أحسن بن محمد البوريني

١٦١٥ / ١٠٢٤

الجزء الأول

تحقيق

الدكتور صلاح الدين المنجد

دمشق

١٩٥٩

893.7112

B917

v1

المقَدِّمَة

تمهيد

مصادر ترجمة البوريني

هذه هي المصادر التي تفيد في الترجمة للبوريني ورجعنا إليها .
١ - مصادر كتبها البوريني نفسه

١ - « تراجم الأعيان من أبناء الزمان »
وهو الذي نشره أول نشرة . تحدث فيه كثيراً عن نفسه
وشيوخه ومعاصريه وعصره .

٢ - « منتخبات البوريني »
كتّاش مهم كان البوريني يسجّل فيه ما ينتقيه أثناء مطالعته
من كتب شتى ، وما كان يقع له من الحوادث اليومية ،
وما كان ينظم من الشعر ، وما كان يرد إليه من رسائل ...
٣ - « ديوان شعره »

أحسن مصدر لدراسة البوريني الأديب . وهو يوضح نواحي
كثيرة من سيوته ، وصلاته مع معاصريه (١) .
٤ - مصادر أُلِّفت في عصر البوريني

١ - الغزّمي ، النجم (- ١٠٦١ هـ) ، في « لطف السمر وقطف
الشر في تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر » .
مخطوط .

(١) انظر مخطوطات هذه التواليف ، في كلامنا على ثقافة البوريني ، تحت .

- ٢ - الحفاجي ، محمود (- ١٠٦٩ هـ) ، في « ریحانة الألبتا
وزهرة الحياة الدنيا » مطبوع
- ٣ - البديعي ، يوسف (- ١٠٧٣ هـ) ، في « ذكري حبيب »
نقل منه المحبّي في خلاصة الأثر عند الترجمة للبوريني .
- ٣ - مصادر ودراسات كتبت بعد عصر البوريني .
- ١ - المحبّي ، محمد الأمين (- ١١١١ هـ) ، في « خلاصة الأثر
في تراجم أهل القرن الحادي عشر » مطبوع .
- ٢ - الأنصاري الشرواني ، احمد بن محمد (- ١٢٥٣ هـ) ، في
« حديقة الأفراح لإزالة الأتراح » مطبوع .
- ٣ - كرد علي ، محمد (- ١٩٥٣ م) في كلامه على تراجم الأعيان
بمجلة المجمع العلمي العربي .
- ٤ - كحّالة ، عمر ، في « معجم المؤلفين » - مطبوع .
- ٥ - المنجد ، صلاح الدين ، في « المؤرخون الدمشقيون في
العهد العثماني » .
- محاضرات أُلقيت ، عام ١٩٥٨ ، على طلبة قسم التاريخ بمعهد
الدراسات العربية العليا . جامعة الدول العربية .
- ٦ - الزركلي ، خير الدين . في « الأعلام » مطبوع .
- ٤ - فهارس الكتب والمخطوطات
يُرجع الى :
- « كشف الظنون » لحاجي خليفة
و « إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون » لاسماعيل باشا
البغدادي .
- و « هدية العارفين » له أيضاً .

و « اكتفاء الفروع بما هو مطبوع » لادوار فانديك
و « فهرست الخديوية »
و « فهرست دار الكتب المصرية »
و « الكشف عن مخطوطات خزائن الأوقاف » لأسعد طلس
و « كوبريلي زاده محمد باشا كتبخانه »
و « فهرس مخطوطات برلين »
و « فهرس مخطوطات فينا »
و « فهرس مخطوطات غوطا »
فهذه كلها ورد فيها أسماء تواليف البوريني ، المطبوعة منها والمخطوطة .

٥ - مصادر غربيّة

Brockelmann, GAL, II, 374 — S 2, 401 (1942)
» , al Burīni (dans Encycl. de l'Islam)

٦ - المجلات العلمية

مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد الثالث ، ١٩٢٣)
مجلة معهد المخطوطات العربية (المجلد الرابع ، ١٩٥٨)

ترجمة جديرة للبوريني

ولد الحسن بن محمد البوريني في صفورية سنة ٩٦٣ هـ / ١٥٥٦ م ، من أم صفورية وأب بوريني . وصفورية وبورين قريتان في فلسطين (١) . ففضى أيام طفولته في قرية أمّه . فلما بلغ سنّ التمييز أخذه أبوه إلى زاوية القرية ليتعلم بها القرآن . وكانت أسرة عبد الهادي ذات شأن في القرية ، قد أقامت فيها زاوية لنشر العلم ودراسة القرآن . فقرأ الصبيّ القرآن على شيخها الشيخ نيهان من المبتدأ الى الختام (٢) .

فلما بلغ العاشرة أو أتمّها سنة ٩٧٣ هـ / ١٥٦٦ م تحوّل به أبوه محمد الى دمشق (٣) . وكانت دمشق مقصداً لأهل فلسطين يلبغون اليها كلباً ضاق بهم العيش أو نكبهم الزمان . آوتهم عندما هاجروا اليها فارتين بدينهم من الصليبيين في أوائل القرن السادس الهجري (٤) ، وآوتهم عندما أخرجوا من ديارهم وغصب اليهود بلادهم عام ١٩٤٨ م . وترددوا اليها ما بين النكبتين ، نكبة الصليبيين ونكبة الاسرائيليين ، يلتسبون فيها العيش أو يطلبون العلم . فليس عجباً أن يرحل محمد البوريني ، أبو الحسن ، اليها ، ومعه زوجه وابنه ، فينزلون في محلّة ميدان الحصا ،

(١) تقع صفورية على بضعة أميال الى الشمال من مدينة الناصرة . وتقع بورين على بضعة كيلو مترات جنوب نابلس ، غربي الطريق الذاهب الى القدس . (انظر خريطة فلسطين وجنوب سورية . لشرة فيليب - ستانفورد) .

(٢) تراجم الأعيان ص ١٢٠

(٣) المصدر السابق ص ٣٠٤

(٤) انظر أخبار هذه الهجرة في الغلائد الجوهري لابن طولون

خارج دمشق من الجنوب ، ويعمل الأب منجداً ثم عطّاراً ، ويدفع
ابنه ليقراً القرآن في مسجد المحلّة (١) .

وقرأ الحسن القرآن في جامع المحلّة - وهو جامع منجك - على
الشيخ قريحة (٢) ، وهو شيخ لاندري الكثير عنه . كما قرأ الحساب
على محمد التنوري (٣) . ثم ما لبث أن انتقل من جنوب دمشق إلى شمالها :
من ميدان الحصا إلى الصالحية ، ومن جامع منجك إلى المدرسة العمرية .
وكانت الصالحية مركزاً للمقادة . وكانت المدرسة العمرية نفسها أنشأها
فلسطيني من بني قدامة . فاتخذ الحسن بها حجرة (٤) ، وأخذ يقرأ على
الشيخ ابراهيم بن الأحذب ، - نزير دمشق ، وشيخ حلب في الفرائض
والحساب - « النزهة » في الحساب ، وبعض مقدمات النحو والفرائض (٥) .
ثم قرأ ، بعد سنة ٩٧٥ هـ ، على إمامها الشيخ أبي بكر الذباح
« الأذكار » للنووي (٦) .

ويبدو أنّ أباه كان يدفعه إلى القرآن . فضحله ذات يوم إلى شيخ
المقرئين بدمشق ، وإمام الجامع الأمويّ ، الشيخ أحمد الطيبي ، ليقراً
عليه . ويجدثنا البوريني عن اللقاء الأوّل مع الشيخ فيقول :

(١) ذكر الفزّي في لطف السمر أنه نزل في محلّة ميدان الحصا عند مجيئه ،
وأرسل ابنه يقرأ القرآن في مسجدتها . لكنّ المحبّي - المتوفى بعد قرابة
قرن من وفاة البوريني - يذكر أنّ البوريني نزل في ميدان الحصا سنة ٨٩٠
- أي في السابعة عشرة من عمره - بعد عودته من القدس . ونعتقد أنّ
هذا خطأ من المحي . فالفزّي كان معاصراً للبوريني ولعله أدريّ بأمره .

(٢) الفزّي ، لطف السمر

(٣) تراجم الأعيان (ترجمة محمد التنوري)

(٤) المحي ، خلاصة الأثر ٥١/٢

(٥) تراجم الأعيان ، ص ٣٠٤ . ويذكر البوريني أنه لازم الشيخ الأحذب

ما يزيد على خمس سنين

(٦) المصدر السابق ص ٢٧٩

« . . . فنظر إليّ (الشيخ) نظر الشفقة . وقال لأبي : احرص على ولدك هذا فإنه سيصير من أهل العلم . . . فقبل والذي يده . ثم إنه سأل والذي عن بلدته . فقال له : أنا من قرية بورين ، وهي ملاصقة لأرض نابلس . فقال الشيخ لأبي : أنت حينئذٍ من بلادنا . فقال له والذي : أنتم من أيّ قرية ؟ فقال له : نحن من الفندقوميّة (١) . وتعارفا . وأمرني بملازمته . فشرعتُ في القراءة عليه من أوّل القرآن العظيم الى آخر سورة النساء تجويداً لأبي عمرو . وشرعتُ مع ذلك في قراءة « المنهاج » الى باب « صلاة المسافر » (٢) .

ويذكر المحبي أنّه حصل بدمشق سنة ٩٧٥ هـ قحط ، فانتقل البوريني مع أبيه الى بيت المقدس ففضى فيه الى حدود سنة تسع وسبعين (٣) . ولا يذكر ابن جمعة شيئاً عن هذا القحط الذي ذكره المحبي ، على شدّة عنايته بذكر أشباه هذه الأمور (٤) . ثم إنّ البوريني نفسه يذكر في تراجمه أشخاصاً اجتمع بهم بدمشق خلال المدة التي ذكر المحبي أنه كان فيها في القدس . فقد اجتمع بالعمشايوي سنة سبع وسبعين (٥) . كل هذا يدفعنا الى الشك بالتاريخ الذي ذكره المحبي . والمؤكد أنه سافر الى القدس . فهو يذكر أن سفره كان مع والده للزيارة . وأنه عاد منها سنة ٩٨٠ هـ (٦) .

-
- (١) تقع في الشمال الغربي من نابلس ، في منتصف الطريق بينها وبين جنين .
 - (٢) تراجم الأعيان ص ١٠ - ١١
 - (٣) المحي ، خلاصة الأثر ٥١ / ٢
 - (٤) النظر ولاة دمشق في العهد العثماني ص ١٦
 - (٥) تراجم الأعيان ، ص ٤٦
 - (٦) المصدر السابق ص ٤٣ يقول : « ولما قدمتُ مع أبي من زيارة بيت المقدس في سنة ثمانين وتسع مئة »

وسكن بعد عودته بالخانقاه السُمَيْسَاطِيَّة وأخذ يتصل بكبار الشيوخ
اتصل بالطيبي الصغير أحمد بن أحمد وكان على قوله « أفقه من أبيه » .
وكان فقيهاً محدثاً مفسراً مقرئاً عروضياً حاسباً فرضياً . يقول البوريني :
« وأكثر ما قرأتُ على هذا الصغير (١) . . . قرأتُ عليه الارشاد للمولى
اسماعيل . وكان يهتم بمطالعة ، ولازمته سنين عديدة ليلاً ونهاراً .
وأحببني وجذبني اليه . وكان يصحبني في نزهته . . . وكنت أبيت عنده (٢) . . »
وكذلك اتصل بمفتي دمشق وخطيبها العيثاوي . « ولما قدمتُ مع
أبي من زيارة بيت المقدس سنة ٩٨٠ هـ حضرتُ اليه طالباً قراءة الفقه
عليه . فقال لي : اقرأ المنهاج . فقرأناه . وكانت القراءة بالمدرسة الظاهرية (٣) »
واتصل بشيخه العماد الحنفي سنة ٩٨٤ « قرأتُ عليه شرح التلخيص
المختصر ، وشرعتُ في الشرح المطوّل . . . وكان سبب اتصالي به
والقراءة عليه أنه كان يوماً في صحن الجامع الأموي بين العشاءين . فتباحثنا
مع بعض الفضلاء في إعراب شيء من كلام العرب ، واختلفنا في شيء
من اصطلاحات الإعراب . فتباحثنا اليه ، وهو سائر بصحن الجامع
المذكور فيما اختلفنا فيه . . . وطال الكلام معه في تحقيق ذلك . فقال
لي : أين مكانك ؟ فقلت : في الخانقاه السُمَيْسَاطِيَّة . فقال لي : إن
أردتَ السكنى عندنا في الناصرية الجوّانية كنتُ في مساعدتك علماً ومعيشة
وغير ذلك . فأجبتُه الى سؤاله ، ووجتُ اليه في اليوم الثاني الى المدرسة
الناصرية الجوّانية ، فأخلى لي حجرة ، وهي الوسطى من الصف الشرقي
وكاتبها لي ففرشتُها . وشرعتُ أقرأ عليه الشرح المختصر على التلخيص
للمولى السعد التفتازاني . . . ولم أزل أقرأ عليه الكتاب الى أن أتمته . . .

(١) تراجم الأعيان ص ١٦

(٢) المصدر السابق ص ١٧

(٣) المصدر السابق ص ٤٣ - ٤٤

وكان إتمامه في النصف من شعبان سنة أربع وثمانين وتسع مئة بالجامع الأموي . وحضر الحتم طائفة من الأفاضل (١) «

وتمه شيخ كبير اتصل به ايضاً هو اسماعيل النابلسي « قرأت عليه في منزله عند باب الجامع الأموي (الجنوبي) ، شرح جمع الجوامع في الاصول للمحلّي ، وحضرت عنده شرح المفتاح للجرجاني في جامع درويش باشا (٢) » .

مضى البوريني يشدو ألوان العلم ، دائباً على القراءة والتحصيل ، حتى نجده يتصدر سنة ٩٨٨ هـ بقعة للتدريس في الجامع الأموي ، يملئ فيها دروساً فقيهة وغير فقيهة . ويبدو أنه كان موفقاً في دروسه ، نجدنا هو عن ذلك فيقول :

« وكنت أدرس الفقه على مذهب الامام الشافعي عند شبّاك الكامليّة بالحائط الشامي . فوقف (عبد الرحمن الفروري) لحظة يسمع إلقائي . فلما ذهب الى بيته قال لولديّه : رأيت اليوم رجلاً يدرس في الجامع الأموي في فقه الشافعي ، وأظنه قدسياً ، ما رأيت أفصح من لهجته ولا أبلغ من عبارته » (٣) .

وكانت دروسه هذه سبباً لاتصاله بأديب فارسي اسمه حسين الحافظ الشيرازي . حضر دروسه في الأموي سنة ٩٨٨ فاتصل الودّ بينهما « فكان صاحبي وصديقي ، وأنيسي ورفيقي . . . وألفت هذا الرجل الى أن كنت أزوره فأمكث عنده في حجرتّه ثلاثة أيّام بلياليها ليلاً ونهاراً ، على المذاكرة والمحاضرة » . ولم يدع البوريني هذه الصداقة تمضي دون

(١) المصدر السابق (ترجمة العماد الحنفي)

(٢) تراجم الأعيان (ترجمة اسماعيل النابلسي)

(٣) تراجم الأعيان (ترجمة عبد الرحمن الفروري)

فائدة « فتعلّمتُ منه لسان الفارسية ، وكنتُ اعرفه قبل صحبتته في الجملة ، لكنني ما استكملتُ تعلّمه إلاّ منه ^(١) . »

ولما بلغ التاسعة والعشرين من عمره ، سنة ٩٩٢ تزوج . وكان زواجه ثمرة اتصاله بشيخه العياشي . يحدثنا عن ذلك فيقول :

« . . اطلع على أبي طالب للإحصان ، فقال لي : عندي حصان وهي أخت أم أولادي ، وهما بنتا الشيخ محمود الصناديقي . فإن رُمّت أن تكون عديلي كما أنك خليلي فاعزم على ذلك . فأجبتُه الى سؤاله ، وعقد نكاحي على أخت زوجته . وكان ذلك من فضله وفي بيته . وبقيتُ بها في سنة اثنتين وتسعين وتسع مئة . وجعل لي عرساً عظيماً ، وكان بي في الكلفة رحيماً ، لا يكافني سوى الطاقة ولا يجعل في مطلوب صعب عليّ عاقبة ، بل كان يزنُ من كيسه ، مظهرًا البشاشة لا التعميسة . وكان العرس في بيته القديم في حكر كمال الدين ، ثم سكنتُ في أهلي بجملة النحاسين ^(٢) . »

ويحدثنا الغزّي أنه حملت إليه هدايا كثيرة في عرسه هذا . وأن الخواجبا فخر الدين بن زريق اتجر له بما حمل إليه حتى نما . وكان ابن زريق صديقاً للبوريني « يقوم بأكثر مصرفه قبل أن يلي الوظائف ^(٣) » وكان زواجه خيراً وبركة . إذ ما لبثت الوظائف أن توالى عليه . توفي أواخر سنة ٩٩٣ شيخه اسماعيل النابلسي . وكان يدرس في الدرايشية فطلبها البوريني من قاضي القضاة مصطفى أفندي ابن بستان « فوجهها اليّ مع كثرة الطالبين لها . » ^(٤) وأقرأ شرح منهاج النووي للمحقق المحلي .

(١) المصدر السابق (ترجمة حسين الحافظ الشيرازي)

(٢) تراجم الأعيان ، ص ٤٤

(٣) لطف السمر

(٤) تراجم الأعيان (ترجمة اسماعيل النابلسي) ، وانظر لطف السمر

وفي سنة ٩٩٤ تولى خطابة جامع جراح . « فكان يخطب من انشائه » (١) وتوفي شيخه الطيبي الصغير فولي تدريس العادلية الصغرى . ثم وجهت اليه الناصرية الجوانية ، فنزل عن العادلية (٢) . وبدأ نجه يلمع ، وصيته يذيع ، فدرّس في الفارسية ، والكلاسة ، ووعظ بالسليمانية (٣) ، وقتحت له الشامية البرانية صدرها ليدرّس بها « وأخذتها بشرط واقفها لأنها لأعلم علماء الشافعية (٤) » .

وما كاد القرن الحادي عشر يهلّ حتى كان البوريني ملء الأسماع . أقبل عليه الحكّام ، وقدمه القضاة والأكابر والأمراء ، لفضله ولسانه ، وهيئته وطيلسانه . وتقدّم في التدريس والمناصب والمجالس . لا يكون في مجلس « إلاّ كان بلبله (٥) » . ورزق القبول عند الخاصة والعامة . وخالط أهل الأدب وخالطوه ، ولجأ اليه الناس يتوسطونه لدى القضاة والحكّام ، وعرض عليه العلماء والأدباء تواليهم وأشعارهم يسألونه رأيه فيها . فكان يتوسّط لمن لجأ اليه ، ويقرّظ التواليف والرسائل والأشعار إذا عرضت عليه . وصار مقتياً للشافعية . وأوتي في الوعظ أكبر نصيب فبرع فيه وأجاد (٦) . كلّ هذا التقدّم والجاه مع السعة والثراء . بعد الفقر والاملاق . حتى إنّ أباه انقطع عن عمله ، وأخذ يحضر دروس ابنه . وكان الحسن بأبيه بواً (٧) . يعظّمه أنّى كان ويقبل يده (٨) .

(١) لطف السمير

(٢) لطف السمير

(٣) المحي ٢ / ٥٢

(٤) تراجم الأعيان (ترجمة عبد اللطيف المحي)

(٥) الغزي ، لطف السمير

(٦) المحي ، خلاصة الأثر ٢ / ٥٣ نقلاً عن البديمي

(٧) الغزي ، لطف السمير

(٨) المحي ، خلاصة الأثر ٢ / ٥٢

واُتيح للبوريني أن يرحل ثلاث رحلات ، الأولى في سنة ١٠٠٨ هـ الى طرابلس . فرحّب به علماءها ونزل عند أحد أمرائها (١) .

والثانية الى حلب سنة ١٠١٧ هـ . وجّهه اليها أهل دمشق لإخبار الوزير مراد باشا بما صدر من علي بك ابن جانبلاذ وما وقع بينه وبين العسكر بدمشق من خلاف . فنزل في المدرسة البهرامية ولقي كثيرين من علماء حلب (٢) .

وأثّف بعد عودته من طرابلس الرحلة الطرابلسية ، وبعد عودته من حلب الرحلة الحلبية .

أمّا الرحلة الثالثة فكانت الى الحجاز سنة ١٠٢٠ هـ . فقد بلغ من الشأن أن وُلّي - وهو شافعي - قضاء الركب الى الحجّ في تلك السنة (٣) . وكان لا يتوائى ذلك إلا حنفي ، إذ كان المذهب الحنفي هو مذهب الدولة الرسمي .

وكان ازدياد فضله ، وعلوّ شأنه ، وزیوع صيته ، وتقدمه ، من أسباب كثرة حسّاده . فحسده سخفاء العلماء والأعيان . والحسد مُخلق ليكون بين هؤلاء . طعنوا عليه بالاستجداء ، وإدمان الراح لمخالطته الأمراء ، وبذاعة اللسان ، ونسبوه الى النفاق ونسيان مَنْ أحسن اليه . وربما أوقعوه في مكروهات من القول والفعل ، وازدروا به ، وسعوا في توهينه ، على أنه كان كثير التيقظ لمكائدهم . وما ذلك كله إلا لأنهم ما أدركوا ما بلغه من ثراء وغنى ، ولا استطاعوا غشيان مجالس الأمراء والكبار ، ولا أوتوا سعة ثقافته ، وحلاوة حديثه ، وعذوبة

(١) تراجم الأعيان (ترجمة يوسف بن سيف)

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٤

(٣) تراجم الأعيان ص ٢٣٣ ، ولطف السمر

منطقة ، وتوقد ذكائه ، ولا عرفوا كيف تكتسب النفوس وتستدرج الصلوات (١) . وقد اعترف النجم الغزني بذلك فقال : « وكان أكثر مَنْ يؤذيه يؤذيه حسداً لفضيلته » .

بقي البوريني متألق النجم حتى توفي سنة ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م وقد تخطى الستين من عمره . فشيع تشيعاً حافلاً . صلتى عليه شيخ الاسلام أحمد العيثاوي ، وُدفن بمقبرة الفراديس . ورثاه كثيرون ، وكان أحسنهم رثاءً تلميذه مفتي الشام عبد الرحمن العبادي (٢) .

(١) المحي ، خلاصة الأثر ٢ / ٥٥ . وقد ذكر من مكائد علماء الشام له أن بعض الوزراء أقبل علي البوريني واتخذة نديم مجلسه ، وكان يُبالغ في توقيره وتمظيمه . فقصدوا توهينه عنده . فاجتمعوا يوماً في دار الحكومة والبوريني معهم ، فأرسلوا الى والده يتطلبوه الى الوزير بناء على أن الوزير استدعاه . وكان رثاً الهيمية في زمي عوام السوفة . فلم يشمر البوريني إلاّ وأبوه هقبل . فنهض من مقعده مُسرعاً واستقبله وقبّل يده . ثم جاء الى الوزير وقال له : حملت عليكم البركة بقدم والدي ، فإنه بركة هذا الوقت ، الصوام القرام ، الكذا ، الكذا . فنهض الوزير وقبّل يده ، وأجلسه . وبالمخ في تمظيمه . فانقلب أعيان أولئك ولم يعودوا الى مثلها . اه .

(٢) المحي ، خلاصة الأثر ٢ / ٦٠ ، وقد ساق بعض رثائه . وكذلك ذكر الغزني ما قبل فيه من الرثاء . وقد تخصم علماء عصره بمد وفاته على وظائفه خصاماً شديداً . وأصاب بعضهم الأذى . ونظم النجم الغزني في هذه الواقعة نصيدة عينية تدلّ على أخلاق العلماء في ذلك العصر (انظر : لطف السمر ، والمحى ٦٢ / ٢) .

ثقافة البوريني

كان القرن الحادي عشر عصر نهضة علمية في دمشق ، هيأها رجال عاشوا في أواخر القرن العاشر . فأتيح للبوريني أن يرافق هذه النهضة العلمية وأن يكون من رجالها ، ويأخذ عن بناتها كالشيوخ من آل الطيبي والغزطي ، والنابلسي ، والعيثاوي ، والمنقار ، والعماد وغيرهم . وكان كلٌّ منهم إماماً في فنّه . فأفاد منهم جميعاً . أتقن القراءات ، والفقّه الشافعي ، والأصول ، والفرائض . وبرع في العربية وآلاتها ، وقرأ كتب التاريخ والادب ودواوين الشعراء ، ونظم ونثر . ثم تعلّم الفارسيّة حتى صار يتكلّم بها - على قول النجم الغزطي - كأنه أعجمي . فأتاح له ذلك أن يطلع على الأدب الفارسي ويقتبس من معانيه في شعره العربي . ثم أضاف الى ذلك معرفة اللغة التركية . وكانت يومئذ لغة الدولة والوزراء والأمراء . وقلّ أن نجد عالماً فقيهاً - حتى في عهود الازدهار - يتقن اللغات الثلاث : العربية والفارسية والتركية ، معاً ، وأن يحيط بالأدب والشعر والتاريخ .

كان البوريني - كما يبدو من تصفّح آثاره - كثير القراءة والمطالعة . وكان يسجّل ما يروقه من قراءاته في كنفّاش اتخذه لذلك . ولم يفقد هذا الكنفّاش . وهو يدلّنا على الكتب التي كان يقرأها والشعراء والاعرابين الذي كان يلتقط منهم . ففي الكنفّاش نقول من تاريخ الذهبي ، وتاريخ بغداد ، وعميون التواريخ لابن شاکر ، ووفيات الأعيان لابن خلّكان ، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ، وتاريخ حلب لابن العديم . وفيه ذكر حياة الحيوان للدميري ، وكتاب الفلاحة لابن وحشيّة ، والمفتاح للسكّاتي .

وفيه منتخبات شعرية لأكابر الشعراء المعروفين من مثل : المتني ، والشريف الرضي ، وأبي فراس ، وعلي بن الجهم ، وديك الجن ، وأبي تمام ، وابن سكرة الهاشمي ، وابن الحياط ، وابن سناء الملك ، ومحمد بن أمية ، والعرجي ، وابن خفاجة ، والبهاء زهير ، والسري الموصلي ، والمعتمد ابن عباد ، وكشاجم ، وابن المستوفي الاربلي ، ومسلم بن الوليد ، وابن حمديس الصقلتي ، والعباس بن الأحنف ، وأبي بكر بن الجنتان المريسي ، ومهيار ، وابن هاني الأندلسي ، وابن عنيّن ، والشاب الظريف ، وابن منير الطرابلسي ، وأبي العتاهية ، ولييد ، والأرتجاني ، وابن دريد . وكذلك نجد فيه نقولاً من العقد الفريد ، ومقامات الزمخشري ، ورسائل القاضي الفاضل ، وخريدة العماد .

فالذي يقرأ هذه التوايف ويتقي منها ، ويصاحب هؤلاء الشعراء ويذوق شعرهم ، لا بدّ أن يؤتى ثقافة واسعة رفيعة ناعمة . وقد ذكر المحيي أن البوريني حفظ من الشعر والآثار والأخبار والأنساب ... ما لم ير قط من يحفظ مثله ؛ وأنه حفظ علوماً أخرى كاللغة والنحو والسير والمغازي ، ومن آلة النادمة شيئاً كثيراً . فأتاحت له هذه الثقافة الملوّنة أن يتصدّر المجالس فيكون بلبلها . وجعلته طلاقة اللسان ، وفصاحة العبارة ، وجودة الحفظ ، وعدوبة المفاكة ، وحسن الحديث أميراً للمجالس ، مجالس العلماء والأمراء والأدباء والعوام . ولا شك أن ثقافته الأدبية والتاريخية أبعدهته عن جمود الفقهاء وعن سماجات بعضهم . وجعله ذكاًؤه الحادّ يعرف أهواء الناس ، وضعف نفوسهم ، فعامل بعضهم بطول اللسان ، وعامل الآخرين بالمديح والإطراء . فخافه أولئك ، وأجبهه هؤلاء . والنفوس البشرية تخاف السبّ وتعشق المديح . وقد كسب البوريني بلسانه الأصدقاء والأعداء ، كما كسب الصلات والأموال . على أن مديحه

الناس كان أكثر بكثير من ذمّه لهم . حتى صار مدحه عند حاسديه موضع تندر وسخرية ، وحتى 'نسب الى النفاق للكبار .

ولعلّ إقامة دمشق ساعدته على استثمار ثقافته . فهو فلسطيني الأصل . ودمشق معروفة منذ القديم بحب الغريب عنها . شهد بذلك ابن جبير وابن بطوطة وغيرهما . ولم فتحت صدرها للغرباء عنها ، ولم لقي هؤلاء فيها من التكريم والتقديم ما لم يلقه أبناؤها .

وقد صبغت تلك الثقافة الواسعة صاحبنا بصبغة العالم الحق . يذكر الغزّي أنّ البوريني كان « منصفاً في البحث ، معترفاً لأهل الفضيلة ، ليس في مباحثه غيظ ولا حقد ولا تغليظ ، بل مباحثه نظيفة لا تخلو من فائدة . » وهذه صفات المثقف العالم حقاً . وبرغم سعة ثقافته كان « لا يبلّ المذاكرة مع العلماء » ، وبرغم ذبوع صيته « كان يرجع الى شيخه » في كثير من المسائل .



ماذا كانت الثمار العلميّة لهذه الثقافة ؟ لقد أخذ كثيراً من الكتب ومن الشيوخ فماذا أعطى ؟

١ - لقد أتيح له أن يُقرئ كثيراً من الطلاب أصولاً هامة . فنحن نرى من خلال تراجم الأعيان أنه أقرأ « مقامات الحريري » و « الشرح المختصر للتفتازاني على متن التلخيص » و « الآجرومية » في النحو ، و « شرح ابن عقيل » على ألفية ابن مالك ، و « شرح الشذور » لابن هشام ، و « متن العزي » في التصريف و « جمع الجوامع » في الأصول للمحلّي ، و « شرح منهاج النووي » في الفقه ، و « شرح المواقف » للجرجاني ،

و « شرح الحسام الكاتي » لثايساغوجي ، و « الغاية القصوى » في الفقه
للبيضاوي و « الأربعين النووية » ، وغير ذلك .

وهذه الكتب التي أقرأها تدلنا على أن البوريني كان يُقصد للأدب
واللغة وعلومها ، وأنه كان يُقريء ذلك أكثر من إقرائه سائر العلوم من
فقه وأصول ومنطق ... وهذا ما يؤكد قول الغزّي من أن بضاعة البوريني
في الفقه كانت مزجاة وأن براعته كانت في العربية وغيرها من المعقولات .

٢- وأتيح له أن يؤلّف في التفسير والأدب والتاريخ تأليف مختلفة .
أما في التفسير فقد ألّف حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي .
ولم أهد إلى وجود أيّ نسخة منها .

أما في الأدب فقد ترك لنا

آ - شرحاً لديوان ابن الفارض سمّاه « البحر الفاضل في شرح ديوان
ابن الفارض » . وقد طبع مرّات ، ومنه نسخ مخطوطة كثيرة (١) .

ب - ديوان شعر . ذكر المحبّي انه « سائر متداول بين الناس »
وما يزال مخطوطاً (٢) .

ج - رسائل اديّة مختلفة . منها رسالة « مزج الصواب بالمجنون في
حلّ سلسلة المجنون » وهي شرح قصيدة القرم حشدية لحسين
الشامي . ولا تزال مخطوطة (٣) .

(١) انظر طباعته في معجم المطبوعات ٦٠٢/١ ، ومخطوطاته في بروكلمن . واضف
اليها ثلاث نسخ مخطوطة في مكتبة الأوقاف ببغداد ذكرها أسعد طلس في
الكشّاف ص ١٦١ .

(٢) منه نسخة في برلين برقم 1079 ؛ ونسخة ثانية في كوبريلي برقم 1257 (انظر
كوبريلي زاده محمد باشا كتبخانه ص ٨١) .

(٣) منها نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٥٠٣٥ ادب .

ومن رسائله أيضاً رسالة أرسلها الى أسعد بن معين الدين التبريزي .
ومنها نسخة مخطوطة في غوطا (١) .
ورسالة في الاعتذار عن معاقرة الراح ذكرها البديعي ونقلها المحي عنه (٢) .
هذا ما عرفناه من رسائله ، وهي كثيرة على قول المحي .
ج - منتخبات شعرية ونثرية . في كنفاش تقدم الكلام عليه (٣) .
وليس هنا مجال التحدث عن البوريني الأديب بأكثر من هذا .
أما في التاريخ فقد ترك لنا تاريخه المسمى « تراجم الأعيان من ابناء
الزمان » وما يزال مخطوطاً . ونحن ننشره اول مرة . ورحلتين الى
طرابلس وحلب وهما مفقودتان .

-
- (١) انظر فهرس مخطوطات غوطا . رقم ٤٤ / ٢٣
(٢) في خلاصة الأثر ٢ / ٥٣ قال البديعي : وما نفتت عليه من آثاره هذه الرسالة
جواباً عن رسالة أرسلها اليه بعض أحبابه ، موشحة بمتابه ، يذكره تراضع
الكاس في أيام الايناس فأجابه ... «
(٣) محفوظ بدار الكتب بالقاهرة برقم ٤١٥٩ أدب . ونرجح أنه ترك كنفاشات
أخرى لم تصل الينا .

البوريني المؤرخ

وكتابه تراجم الأعيان

كانت ثقافة البوريني التاريخية نتيجة مطالعات خاصة في كتب التاريخ والسير والأنساب . وكان ينتقي من مطالعاته فوائد تاريخية كثيرة سجلها في كتابه الذي وصل إلينا ، أخذها من ابن خلّكان ، وابن العديم ، والخطيب البغدادي ، والذهبي ، وغيرهم .

وقد أُنسِر المؤرخون القدامى في البوريني ، فكانت تواليهم سبب تأليفه « التاريخ » . فهو يحدثنا في مقدمة تراجم الأعيان أنه لما رأى ابن كثير وابن الأثير وابن خلّكان وابن شدّاد وأبي شامة وابن حجر قد ألفوا بعلم الأخبار ، ودوتوا في الكتب محاسن الأخبار ، بعثه ذلك على تأليف كتاب يجمع فيه من كان موجوداً من الأعيان ، من ابتداء ولادته ، سنة ٩٦٣ هـ الى قبيل وفاته . فهو اذن مقلد من سبقه من المؤرخين وسالك على آثارهم .

وكان لصاحب الدفاتر السلطانية بدمشق أمين افندي الدفترى الفضل في حثّه على تنفيذ رغبته في التأليف . فبدأ بتدوين كتابه سنة ١٠٠٩ هـ ، أي بعد عودته من رحلته الطرابلسية .

ترجم البوريني " لعاصريه . وقد حدّد لهذه التراجم زمناً . بدأه من سنة ولادته وهي سنة ٩٦٣ هـ وظلّ يضيف إليها الى سنة وفاته ، وهي

سنة ١٥٢٤^(١) . فالمدّة الزمنية التي ضمت المترجم لهم كانت نحواً من ستين عاماً ، بعضها في القرن العاشر وبعضها في القرن الحادي عشر . فتراجم الأعيان يتمم ، من هذه الناحية ، الكواكب السائرة ، ولطف السمر للغزّي ، وخلاصة الأثر للمجبي ، وكتباً أخرى .

أما من ناحية البلاد فلم يقف البوريني عند دمشق ، بل ترجم لرجال من مصر والمغرب ، ومكة واليمن وحضرموت ، وفلسطين وحلب ، وإيران وتبريز واستامبول . فكتابه يشمل رجالاً من العالم الاسلامي كله ، لا دمشق وحدها .

ولم يقصر البوريني تراجمه على طائفة دون أخرى . فتراجم للعلماء والفقهاء والأدباء ، كما ترجم للملوك العثمانيين والمغرب ومكة واليمن ، وتراجم للقضاة والوزراء والأمراء الأتراك الواردين على دمشق . فكتابه يجمع أصنافاً من الناس مختلفة .

ورتب التراجم على حروف المعجم في الأسماء . ونلاحظ أنه أهمل الترتيب في أسماء الآباء . فإن علم المنشأ والوفاة ذكرهما وما شكّ فيه تركه وأهمله .

وذكر أنه شرط على نفسه أن لا يذكر من أوصاف الناس إلا الوصف الحسن للمحود . وقد خرج عن شرطه هذا في أحيان كثيرة . ولا ندرى عدد الرجال الذين ترجم لهم البوريني على الضبط . فعددهم يختلف باختلاف نسخ المخطوطات التي وصلت إلينا . على أنه بلغ في نسختي الهند والمدينة معاً مئة وأربع عشرة ترجمة .



(١) صحیح ما ذكره السيد رشاد عبد المطلب في مقاله عن تراجم الأعيان (مجلة معهد المخطوطات . المجلد ٤ (١٩٥٨) ص ١٥٣) أن البوريني ترجم ابن عاصره من تاريخ ميلاده في سنة ٩٦٠ هـ الى سنة ١٠٤٠ . فهذا خطأ .

ليست التراجم بالشيء الجديد الذي ابتكره البوريني . فقد سبقه في هذا الفن كثيرون كابن خلدكان الذي بلغ فيه الذروة في التحرير والتنقيح ، وكالذهبي والصفدي وابن حجر والسخاوي وابن طولون الدمشقي . وتبعه كثيرون ايضاً كالغزالي والحلي والمرادي فكيف كانت طريقته في الترجمة ؟ لقد تفرّد البوريني بشيء ما نحسب أن أحداً شاركه فيه ، هو أن شخصيته كانت مركز التراجم كلها . فلقد ترجم على الأغلب لأناس عاصروه . خالطهم وخالطوه ، وكاتبهم وكاتبوه ، وحدثهم وحدثوه . فسجّل الأمور التي رآها وسمعها وعاش فيها وخصّ بالعناية منها ما اتصل بشخصه هو . فكان يترجم لهم لكنّه في الحقيقة يترجم لنفسه ايضاً . كل ترجمة تنعكس فيها صورتان . وكاتبها كانت صلواته بالمترجم له قويّة متينة رأينا الصورتين واضحتين . لذلك كانت تراجمه ، في رأينا ، بملوعة بالحياة ، قريبة الى النفس ، رغم السجع المملّ أحياناً ، أكسبته (أنا) حرارة ودفئاً . علي حين نجد تراجم الماضين من المؤرخين جافة أحياناً ، باردة ثقيلة الظلّ أحياناً أخرى . تقرأها بمشقة ولا نحسّ أيّ اتصال بيننا وبينها . ويكاد المرء يخيل اليه ، في أحيان كثيرة ، أنه يقرأ في تراجم البوريني مذكرات شخصية عن الناس والحوادث .

فقد كان البوريني لا يكتب الترجمة مرة واحدة ، بل مرّات ، وعلى فترات متباعدة . ومن هنا جاء تشبيهاً إيّاها بالمذكرات . لقد بدأها في سنة ١٠٠٩ كما ذكرنا . وكان يضيف الى بعض تراجمها ما يستجدّ من الحوادث أو الأخبار المتصلة بصاحبها ، كما كان يضيف تراجم جديدة لمن كان يعرفه أو يتصل به . ونجد كثيراً من تاريخ الحوادث المثبتة ، أو الأخبار المضافة مثبتاً .

ويبدو أنه كان يكتب بعض تراجمه من رأس القلم كما يقولون وعفو
الخاطر ، لذلك لم يلتزم السجع فيها . ثم عاد فنقحها ، فحذف وأضاف
وسجع . وتقدم لنا مخطوطة الهند - التي سنصفها - النماذج الأولى للتراجم
قبل الحذف والتنقيح .

وتفاوت التراجم في سعتها وضيقها ، حسب صلة المترجم له بالمؤلف
وشأنه . فوجد تراجم زادت على عشر صفحات . وأخرى لا تكاد تتم
صفحة واحدة .



صوّر البوريني في تراجمه رجال عصره ، كما صوّر عصره أيضا . فهي
تراجم غنيّة سجلها شاهد عيان . وقد ساعده على تصوير الرجال كثرة
مخالطته إياهم وتحدثه اليهم ، وغشيانه المجالس العامة والخاصة . وساعده
على تصوير حوادث عصره أنّه كان يُخالط الأمراء والولاة والقضاة ، فيسمع
منهم ما يحدث ويجري . وإن سرده الحوادث الكبرى التي وقعت بين
طائفة السكبانية وولاية السلطنة ، وتصويره حالة لبنان وأمرائه الإقطاعيين
لمن أهم ما كتب في هذا الموضوع . ولقد سبق البوريني ، مؤرخ مصر
الجبرتي ، بقرنين الى الاهتمام بالحوادث المعاصرة له وسردها مرّداً تاريخياً
حيّاً . ويصوّر بعض المؤرخين المصريين المعاصرين الجبرتيّ على أنه المؤرخ
الوحيد الذي سجل حوادث أيامه في الشرق العربي في القرون الأخيرة .
ولعل سبب ذلك عدم اطلاعهم على آثار مؤرخي دمشق في العهد العثماني .
وكذلك فاق البوريني صاحبنا الجبرتي بثقافته الواسعة واطلاعه على مصادر
التاريخ ، واستقائه الأخبار من مراجعها . فبينما نجد البوريني يصاحب
آثار المؤرخين القدماء وينتفع بها ، يعترف الجبرتي أنه ما أتيج له أن

يطلع على أيّ تاريخ من تواريخ الماضين ويقول عنها « هذه صارت أسماء
من غير مسميات » .

وقد قدّم لنا البوريني بوصفه معاصريه ، ووصفه حوادث عصره ،
مواد كثيرة لدراسة الحياة العلمية والاجتماعية والاخلاقية بدمشق في أيامه .
وسيبقى تراجم الأعيان من أهم المصادر لدراسة دمشق في القرن العاشر
والقرن الحادي عشر ، في نواحيها المختلفة . وقد استمد المحبّي منه كثيراً
في تراجمه لأهل القرن الحادي عشر .

مخطوطات تراجم الأعيان

- النسخ المخطوطة التي عرفناها من تراجم الأعيان هي :
- ١ - مخطوطة عارف حكمة بالمدينة المنورة
 - ٢ - مخطوطة الجمعية الآسيوية بكلكتا - الهند
 - ٣ - مخطوطة برلين
 - ٤ - مخطوطة فيننا
 - ٥ - مخطوطة دار الكتب المصرية

مخطوطة عارف حكمة

أما المخطوطة الأولى فمحافظة في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة بالمدينة المنورة برقم ١٨٨ تاريخ . ولدى معهد المخطوطات العربية فيلم عنها اعتمادنا عليه في نشرتنا . تقع في ٣٠٠ ورقة تقريباً . كتبت سنة ١٠٧٨ هـ بيد فضل الله بن محب الله بن محب الدين الشامي .

على الورقة الأولى منها ما يلي :

كتاب تراجم الأعيان في ابناء الزمان
تأليف العلامة الفاضل الفهامة بحر العلوم
والعالم بطرق المنطوق والمفهوم فخر
المتأخرين وزبدة المتقدمين
مولانا ابو (كذا) الضياء حسن البدري
بدر الدين البوريني الشافعي
الأشعري القاري (كذا)

لطف الله به

ويبدأ النص فيها بعد البسمة بما يلي : الحمد لله الباقي وما سواه فان ..

أما خاتمتها فهي :

« يقول العبدُ الفقير فضل الله بن محب الله بن محب الدين الشامي كان
الله تعالى له حافظاً وحامياً (كذا) :

هذه خدمة تضاعف عليه بها مزيد النعمة . ولعمري هي شرف خادمها
وفخر جامع هذه التراجم وراقها . كيف لا وهي بأمر وحيد دهره
سؤدداً وُعلا . نسيج وحده استمالاً على الفضائل واستيلاً . الذي يضيق
نطاق كلّ بليغ عن إحصاء بعض أوصافه وعلومه . بل كلّ منطوق على
أن يعبر بعبارة تفصح عن منطوق كلامه ومفهومه . فرد الوجود في الفضل
والجود . وليّ نعمتي . المولى شيخ محمد عزّتي . حفيد شيخ الاسلام
المرحوم زكريا ابن يبرام . بلّغه الله تعالى أطول الأعمار . وحرسه
بالملائكة الأبرار . وقد قابلت ما أمرتُ به بالقبول . وبذلتُ فيه مجهودي .
ولم آل جهداً في تحصيله وجعلته مقصودي . ولو قدرتُ جعلتُ الورق
من جلدي . بل من صحن خدّتي . والقلم من بناني . والمداد من ماء
أجفاني . لكان ذلك قليلاً في جنب ما أمر به وطلبه . ومن عبده
وداعيه تطلبته . وقد تقيتُ بجمعه من سبع مجاميع ، ولم يتيسّر جمع
الجميع . فإنه مفقود . بل ليس له وجود . فإنّ بعض الأعيان .
لم يترجمهم المؤلف المرحوم الشيخ الحسن البوريني الشامي علامة الزمان .
والبعض كان في هذه السنين . بزوايا الجبايا (كذا) كمين . فأبقى الله
تعالى مدى الأيتام مَنْ كُتبتْ هذه النسخة باسمه ، ووسمتْ بشريف
وسمه . كما كان السبب في إحياء أسماء هذه السادة . ونشر ما انطوى
من أخبار تلك القادة . بجاه خاتم الانبياء . ومبلّغ الانباء . ما ختم
كتاب . وسحّ سحاب .

وكان الفراغ من مباشرة ترتيبه وكتابه وتهذيبه في أوائل رجب
المرجّب سنة ثمان وسبعين وألف من هجرة سيد الأنام . عليه أفضل
الصلاة والسلام . آمين .

فيتبين أنّ النسخة قد جمعها من سبع مجاميع فضل الله المحبّي .
وفضل الله هذا هو أبو الأمين المحبّي صاحب خلاصة الأثر . وكان
له معرفة بالأدب والتاريخ . ترجم له ابنه ترجمة طويلة (١) . وقد ذيل
على تراجم الأعيان . ولم نطلع على ذيله . وتوفي سنة ١٠٨٢ هـ / ١٦٧١ م ،
أي بعد أربع سنوات من جمعه تراجم الأعيان .
ولم يذكر بروكلمن نسخة المدينة هذه .

مخطوطة الهند

أما المخطوطة الثانية فهي محفوظة في خزانة الجمعية الآسيوية
« Asiatic Society » بالهند - كلكتا . ولدى معهد المخطوطات فلم عنها
كان استغلنا عليه . وتقع في ٢٣٥ ورقة . كتبت في القرن الحادي عشر
تقريباً ، وليس عليها اسم الناسخ .
على الورقة الأولى منها ما يلي :

تراجم الأعيان من أبناء الزمان
للشيخ الفاضل والجهد الكامل ، أديب عصره
ووحيد دهره أبي الضياء الحسن
بدر الدين ابن محمد البوريني
الشافعي رحمه
تعالى

(١) المحبّي ، خلاصة الأثر ٢٧٧/٣ .

ويبدأ النص فيها بعد البسلة بما يلي : الحمد لله الباقي وما سواه فان ...
أما خاتمها فهي :

هذا آخر ما وُجد من تاريخ العلامة الأديب الشيخ بدر الدين
حسن البوريني الشافعي المسمّى بتراجم الأعيان من أبناء الزمان . ملفتاً
من مسودتي التاريخ المذكور المؤلف احدهما برسم محمد باشا المنجكي ،
والأخرى برسم محمد أمين الدفتري . فربما وجد فيه مخالفة لما يقع منقولاً
في بعض المجموع عن التاريخ المذكور لكونه منقولاً عن إحدى مسودتيه
فقط . والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم .
فيظهر انّ هذه النسخة جمعها كاتبها من مسودتين للتاريخ كتبت
الأولى برسم الدفتري الذي ذكر البوريني اسمه في مقدمة كتابه ، والثانية
برسم محمد المنجكي . وكان أحد الأمراء الذين اتصل البوريني بهم وأفاد
منهم . وقد ترجم له ترجمة طويلة وأثنى عليه .
ولم يذكر بروكلمن هذه النسخة أيضاً .

مخطوطة برلين

والمخطوطة الثالثة كانت محفوظة في مكتبة الأمة في برلين برقم 9889
وكان المغفور له الأستاذ محمد كرد علي صور منها نسخة لخزّانة المجمع
العلمي العربي قابلنا عليها . وتقع في ٣٨٠ صفحة . كتبت سنة ١٠٧٨ هـ
بيد ناسخ المخطوطة الأولى فضل الله بن محب الله بن محب الدين .

على الورقة الأولى منها :

تراجم الأعيان من أبناء الزمان
لعلامة دهره وأوانه وفهامة عصره
وزمانه الحسن البوريني الشافعي
الأشعري القادري تغمده الله
تعالى برحمته وأسكنه بكرمه
فسيح جنّته . جمع الفقير فضل
الله ابن محب الله ابن
محب الدين عفى الله
تعالى عنهم بفضله
أجمعين
آمين

ويبدأ النص فيها بعد البسلة بما يلي : الحمد لله الباقي وما سواه فان ...
أما خاتمتها فهي كخاتمة نسخة عارف حكمة تماماً :
« يقول العبد الفقير فضل الله بن محب الله بن محب الدين الشامي ،
كان الله تعالى حافظاً له وحامي (كذا) ...
» ... وقد تقيّدتُ بجمعه من سبع مجاميع ، ولم يتيسّر جمع الجميع ،
فإنه مفقود ، بل ليس له وجود ...

« ... وكان الفراغ من مباشرة ترتيبه ، وكتابته وتهذيبه ، في أوائل
رجب المرجّب سنة ثمان وسبعين وألف من هجرة سيد الأنام عليه أفضل
الصلاة والسلام . »

وكُتِبَ في آخره :

« الحمد لله على جزيل نعمائه . هذا التاريخ اللطيف من جملة كتب
الفقير مصطفى بن السيد علي الحموي الدفترى بدمشق الشام . »

مخطوطة فينا

أما المخطوطة الرابعة فهي محفوظة بمكتبة فينا برقم 1190 ولم نطلع عليها . وقد جاء وصفها في فهرس مخطوطات فينا كما يلي :

تقع في ١٥٥ ورقة . كتبت بخط نسخي . كتبها مصطفى بن محمد ابن أحمد الكنجي . برسم نقيب السادة الأشراف السيد حمزة افندي العجلاني بتاريخ ١٢ جمادى الثانية سنة ١١٨٥ هـ / ٢٢ ايلول ١٧٧١ م والنص فيها يتبدىء كما يلي : الحمد لله الباقي وما سواه فان ... وعدد التراجم فيها ١٩٤ ترجمة (١) .

مخطوطة دار الكتب بالقاهرة

والمخطوطة الخامسة محفوظة بدار الكتب بالقاهرة برقم ٥٧٦ تاريخ . تقع في ٣٩٦ صحيفة . كتبها السيد احمد بن احمد الجزائري ، ونقلها من النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينة المنورة . وليس على النسخة تاريخ النسخ . ومن المرجح أنها من أواخر القرن الثالث عشر أو أوائل الرابع عشر . وقد توفي شيخ الإسلام سنة ١٢٧٥ هـ .

(١) النظر :

Flügel. G, Die arabischen, persischen und türkischen Handschriften der K. K. Hofbibliothek zu Wien, Vienne, 1865 — 1867, No 1190

دراسة المخطوطات

إن دراسة مخطوطات تراجم الأعيان تثير بعض المشكلات وكثيراً ما تظهر هذه المشكلات عامة لدى المحققين أثناء اشتغالهم بالنشر ، لكنهم يتغافلون عنها أكثر الأحياء .

فخواتم النسختين المخطوطتين في المدينة والهند - وهما أقدم النسخ الموجودة لدينا ، كتبنا في عصر المؤلف نفسه - تدلنا كيف جمع تاريخ البوريني بشكله الذي وصل إلينا . فقد جمع نسخة المدينة ورتبها المحبّي من سبع مجاميع ، لا ندري عنها شيئاً . وهذه المجاميع السبع لم تشتمل على التراجم كلها ، لأن المحبّي يقول : « ولم يتيسّر جمع الجميع فإنه مفقود » . أما نسخة الهند فلا نعرف من الذي جمعها ، ولكن نعلم من خاتمتها أنها جمعت من مسودتي التاريخ المكتوبتين برسم المنجكيّ والدفتري . ويظهر أن البوريني كتب مسودتين : واحدة لهذا ، وثانية لذلك . وجعل كل مسودة تزيد أو تنقص عن الأخرى . لكن مخطوطة الهند تضم ما في المسودتين معا .

وهكذا نرى أن كلاً من الجمعَيْن ليس من عمل البوريني نفسه . إن اختلاف مصدر هاتين النسختين : نسخة المدينة ونسخة الهند ، سبب اختلاف شكل التراجم فيها ، وزيادة بعض التراجم في الواحدة ونقصها في الأخرى كما سبب اختلاف ترتيب التراجم أيضاً .

فنحن نرجح أن نسخة الهند تضم التراجم كما كتبها البوريني أوّل مرّة . فأسلوب التراجم فيها - أحياناً - مرسل غير مسجّع . وطريقة

كتابة العصر كانت السجع . في حين نجد هذه التراجم نفسها في نسخة المدينة مسجعة قد نمت ألفاظها .

ونلاحظ كذلك أن في تراجم نسخة المدينة زيادات قد يكون البوريني أضافها فيما بعد ، كما نجد أخباراً في نسخة الهند ، بعضها في الطعن على المترجم لهم - قد أسقطت من نسخة المدينة .

ونلاحظ ان التواريخ تختلف احياناً في النسخين ايضاً .
الأمر الذي يدفع الى الاعتقاد أن البوريني عاد ، بعد كتابة مسودتي التاريخ ، فنظر في تاريخه . فنقح وأضاف وحذف وتمتق وصحح ، وأنه أعاد كتابة بعض التراجم كلها ، كترجمة العيشاوي ، أو بعضها ، فوقع كاتب نسخة الهند على مسودات التاريخ قبل التنقيح ، ووقع المحبتي على مجاميع بعضها أو كلها منقح .

ولتوضيح الاختلاف بين النسخين تقدم بعض الأمثلة :

نسخة المدينة

نسخة الهند

ترجمة العيشاوي

« وصدرت منه لطيفة . ذلك أنه اطلع على أني طالب للاحصان ، فقال لي عندي حصان . وهي أخت أم اولادي . وهما بنتا الشيخ محمود الصناديقي . فإن رُمّت أن تكون عديلي ، كما انك خليلي ، فاعزم على ذلك ، واجزم بما هنالك . فأجبتُه الى سؤاله ، وتقرّبتُ الى كماله

» وقد عادلتُه في تزوج أخت زوجته ، والأختان بنتا الرجل الصالح الشيخ محمود ابن الشيخ احمد الصناديقي وكان ذلك بإيسارته . وصدر العقد بمنزله المعمور بدمشق في محلة حكر كمال الدين . وحصلت جمعية العرس بمنزله المذكور ايضاً

ترجمة أحمد العجمي

وتبدأ في نسخة المدينة كما يلي :
 « هو رجل من الأعيان ، والكرماء
 ذوي الشأن . جمع مالاً غزيراً ، وعقارا
 كثيرا . اشتوى بيتاً عظيماً كان للأمير
 قانصوه الغزّاوي ، واستمر على ذلك الى
 أن دخل الى الشام أمير الأمراء مراد باشا
 حاكماً بها ، فولاه أمانة البهار . . .

تبدأ الترجمة في نسخة الهند بما يلي :
 « كان هذا الرجل في مبتدأ أمره
 قصيباً . وكان والده من أرباب الصنائع
 ونشأ له اولاد منهم احمد المذكور ، هنا .
 ولما اشتهر امرهم بالقصابة يحمل لحم العمارة
 السلمانية والسليفية فحملوا ذلك . فتج
 حالهم . . .

ترجمة ابراهيم بن محب الدين

العنوان : صاحبنا المرحوم سيدي
 الشيخ ابراهيم بن محب الدين الدمشقي
 الاصل والمنشأ والوفاة .

العنوان : ابراهيم بن محمد بن منصور

ترجمة ابراهيم الحلبي

هو الشيخ الفاضل ، جامع اشتات
 الفضائل ، الأصيل العريق ، وارث علوم
 الأسلاف بالتحقيق ، نتيجة البيت القديم ،
 صاحب الفضل الجسم . اجتمعت به لما وردت
 الى حلب المحروسة في سنة سبع عشرة
 بعد الألف . . .

هو ابراهيم الذي ورث الفضائل ،
 كابراً عن كابر . وروى خبر القتوى عن
 جهابذة أكابر ، حجّ في سنة عشرين بعد
 الألف . . .

ترجمة أسد الدين التبريزي

قدم من تبريز مع والده الخواجه معين الدين التبريزي الى ديار بكر ثم الى دمشق الشام . فسكن مع والده في صالحية دمشق مدة . وترك ولده في دمشق وسافر الى باب السلطنة قسطنطينية . فصدرت من ابيه احوال مخالفة لقانون الاستقامة من تليس في المعاملة ، وتزوير في المكاتبة في زمن وزارة الوزير الأعظم رستم باشا . فلزم أن الوزير المذكور عرض أمره علي حضرة السلطان فأمر بصلبه . فصلب في قسطنطينية . . .

الشيخ العلامة ، الكامل الفهامة ، فريد زمانه ووحيد أقرانه . . . ورد دمشق مع والده معين الدين المذكور من تبريز الى ديار بكر ثم الى حلب ثم الى دمشق واستوطنها . وسار والده الى قسطنطينية . . . فجري عليه امر اقتضى صلبه ، ولم يجد خلاصة من هاتيك النكبة الصعبة واستمر ولده أسد الدين المذكور بدمشق الشام . . .

ترجمة أحمد ابن الأكرم

ولما هدم القاضي احمد الانصاري البناء الذي أحدثه في المدرسة المقدمية الجوانية غير عمامته البيضاء الحسنة بعمامة من الصوف المسمى بالمتزر وترك شعر رأسه ، وربى له ذوائب من الشعر الأبيض . وكانت بارزة من جانبي رأسه . وكل ذلك من صلاحه وعدم تقيده باصطلاح الناس . فرحمه الله رحمة واسعة .

وكان قبل هدم المدرسة كما سبق ذكره يلبس العمامة البيضاء الحسنة . فلما هدمت المدرسة عدل عن لبس العمامة البيضاء الى لبس المتزر الصوف الذي يلبسه صوفية زماننا ، وترك له ذوائب شعر من جانبي رأسه ، فبقي من أعاجيب المخلوقات . رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

فهذه الاختلافات تدلّ دلالة قاطعة على أن البوريني قد أعاد النظر في مسودّاته الأولى .

والى هذا يُضاف التنقيح الكثير الذي نجده في الألفاظ بما تكشف عنه مقابلات النسخ التي أجريناها . وهذا التنقيح يبدو في قصائد البوريني التي ساقها في كتابه .

هذا حال النسختين القديمتين المتصلتين بالأصول الأولى للتراجم .

على أن حال نسخة بولين يثير مشكلة جديدة لم نستطع حلّها .

فالمتوقع أن تكون هذه النسخة اختماً لنسخة عارف حكمة فكاتبها وجامعها واحد ، وقد جمعتا من المجاميع السبع ، وتاريخها واحد ، وخطها واحد . لكن الواقع أن نسخة بولين تتفق في زياداتها أو نقصها أو عباراتها مع نسخة الهند في كثير من الاحايين ، كما تتفق في أحيين أخرى مع نسخة عارف حكمة . بل هي اقرب الى نسخة الهند منها الى نسخة المدينة .

ولو أن خطّ النسختين كان مختلفاً لجزمنا أن الناسخ لنسخة بولين نقل خاتمة النسخة الاولى ، دون أن يذكر تاريخ نسخه هو .

وقد قلبنا الامر على وجوه كثيرة فلم نجد له حلاً .

نزهة التحقيق

اسقطنا في مقابلات النسخ نسخة دار الكتب لحدائثها ولوجود الأصل الذي نقلت عنه .

واعتمدنا على ثلاث مخطوطات : نسخة المدينة ، ونسخة الهند ، ونسخة بولن .

١ - فاتخذنا نسخة المدينة أمّاً

٢ - عارضناها بنسخة الهند ونسخة بولن

٣ - أضفنا التراجم الساقطة من نسخة المدينة ونهنا الى ذلك

٤ - ما حذف من عبارات في نسخة المدينة ووجد في نسخة الهند أو بولن أضفناه بين [] وأشارنا اليه .

٥ - ما كان ساقطاً من نسخة الهند ونسخة بولن وكان موجوداً في نسخة المدينة جعلناه بين خطين قائمين | | ليُعرف ما أضافه البوريني بعد كتابه مسوّدّة التاريخ .

٦ - اذا اختلفت التراجم تماماً أثبتنا نصّ نسخة المدينة ، واردفنا به بحرف أدقّ نصّ نسخة الهند .

٧ - اذا اختلفت عبارات بعينها أثبتنا نصّ نسخة المدينة وذكرنا في الحاشية عبارة نسخة الهند .

٨ - اذا اختلف ترتيب النصّ في النسخ ، اثبتنا ترتيب نسخة المدينة ونهنا أن في الترتيب اختلافاً .

- ٩ - إذا اختلفت الألفاظ في النسخ اثبتنا أصوبها وأحسنها موقفاً ،
وراعينا أن نحافظ أغلب الأحيان على نص نسخة المدينة .
- ١٠ - إما كان ترتيب التراجم يختلف في نسخة الهند ونسخة المدينة
فقد اثبتنا ترتيب نسخة المدينة .
- ١١ - صححنا بعض أخطاء الرسم دون أن نشير الى ذلك .
- ١٢ - اثبتنا اختلاف النسخ . وكثير منه لا يرجع الى النسخ بل
جاء كما نعتقد من المؤلف نفسه .
- ١٣ - 'عينا بالأماكن المتعلقة بدمشق ، التي وردت في النص ،
فدللنا عليها أو أحلنا على المراجع التي تحدثها .
- ١٤ - اتبعنا النص بلاحق وفهارس متنوعة .

شكر

ونختم هذه المقدمة بشكر معالي الاستاذ الجليل خليل بك مردم بك
رئيس المجمع العلمي العربي الذي اهتم بهذا الكتاب ، وقدره حق قدره ،
وتكرّم فجهله في مطبوعات المجمع . وقد تلطّف فعرضنا عليه الفوائد
الواردة في هذا الجزء وأفدنا من ملاحظاته .

والشكر للصديق الاستاذ عبد الهادي هاشم الذي بذل لهذا الكتاب
الكثير من عنايته ، وأشرف على تصحيح تجارب طبعه ، بسبب غيابنا في
القاهرة .

ولئن استطعنا اخراج هذا الكتاب ، فالفضل في ذلك راجع الى معهد
المخطوطات بجامعة الدول العربية الذي وجدنا فيه مخطوطتي المدينة والهند ،
ولولاها لما استطعنا أن نعمل شيئاً .

الرموز

م نسخة المدينة (خزانة عارف حكمة) . وقد نرمز اليها بحرف «ص»

ه نسخة الهند (مكتبة الجمعية الآسيوية)

ب نسخة بولن (مكتبة الأمة)

[] بينها ما أضيف الى نسخة المدينة من النسخ الأخرى

| | بينها ما سقط من نسختي الهند وبولن

< > بينها ما أضفناه من عندنا من حرف او لفظ أسقطه الناسخ سهواً .

الفقيه محمد بن محمد بن الحسين
القاضي بمساركا ناطول
المعمور

من اخوان الحسين
ابراهيم بن محمد
عقيل

تأليف تراجم الأعيان في بناء الزمان
تأليف العلامة الطائفة الفهامة سماه
وله الميراث المنطق والفروع في
التأخرين وزيادة المتكلمين
سوانا ابوالضياء الحسيني
بدر الدين البوراني القشيري
اشعري الشافعي
لفظ الله به

١٩٣
مكتبة التواضع
١٨٨



يقول العبد الفقير فضل الله بن محمد الله ابن محمد الدين الشامي
كان الله تعالى له حافظا وحامي هذه الخدمة تضاعف عليه بها مزيد
النعمة ولعمري هو شرف خادما وفخر جامع هذه التراجم وراقها
كيف لا وهو باسرح وحيدهم سوادا وعلاء نسج ووجه اشتراك
على الفضائل واستثناء الذي يضيق نطاق كل بليغ من احصا بمصن
اوصاف وعلومه بل كل منطوق على ان يصير نصيابة تقصيح عن تنطق
كلامه ومفهومه فرد الوجود في الفضل والجودة اول تعق المولى شيخ
محمد عزق حفيد المولى شيخ الاسلام المرحوم زكريا ابن سيرام طه
الله تعالى اطول الاعماره وحرسه بالملائكة الابران وقد قابلت
ما مرت به بالقبور وبذلت فيه مجهودي ولم آل جهدي في تحصيله

وجعلته مقصودي ولو قدرت جعلت الورق من جلدي بل من صحن
خدي والقلم من بناني والمداد من ما احفاني لكان ذلك قليلا
في جنب ما امر به وطلبه ومن عبده وداعبه نطلبه وقد تصيدت
بجعه من سبع مجاميع ولم يتيسر جمع الجميع فانه مفقود بل ليس
له وجود فان بعض الاعيان لم يتوجههم المؤلف المرحوم الشيخ
الحسن البوريني الشامي علامة الزمان والبعض كان في هذه
السنين بزوايا الجيايا كمين فابقي الله تعالى مدى الايام من
كتبت هذه النسخة باسمه ووسمت بشريف اسمه كما كان
السبب في احب اسماء هذه السادة ونشرها انطوى

من اجبار تلك القادة بجاه خاتم الانبياء

وتمبلغ الانبأ ما ختم كتابه ورحمته

وكان الفراغ من مباشرة ترتيبه

وكتابتها ونهذبية في اويل

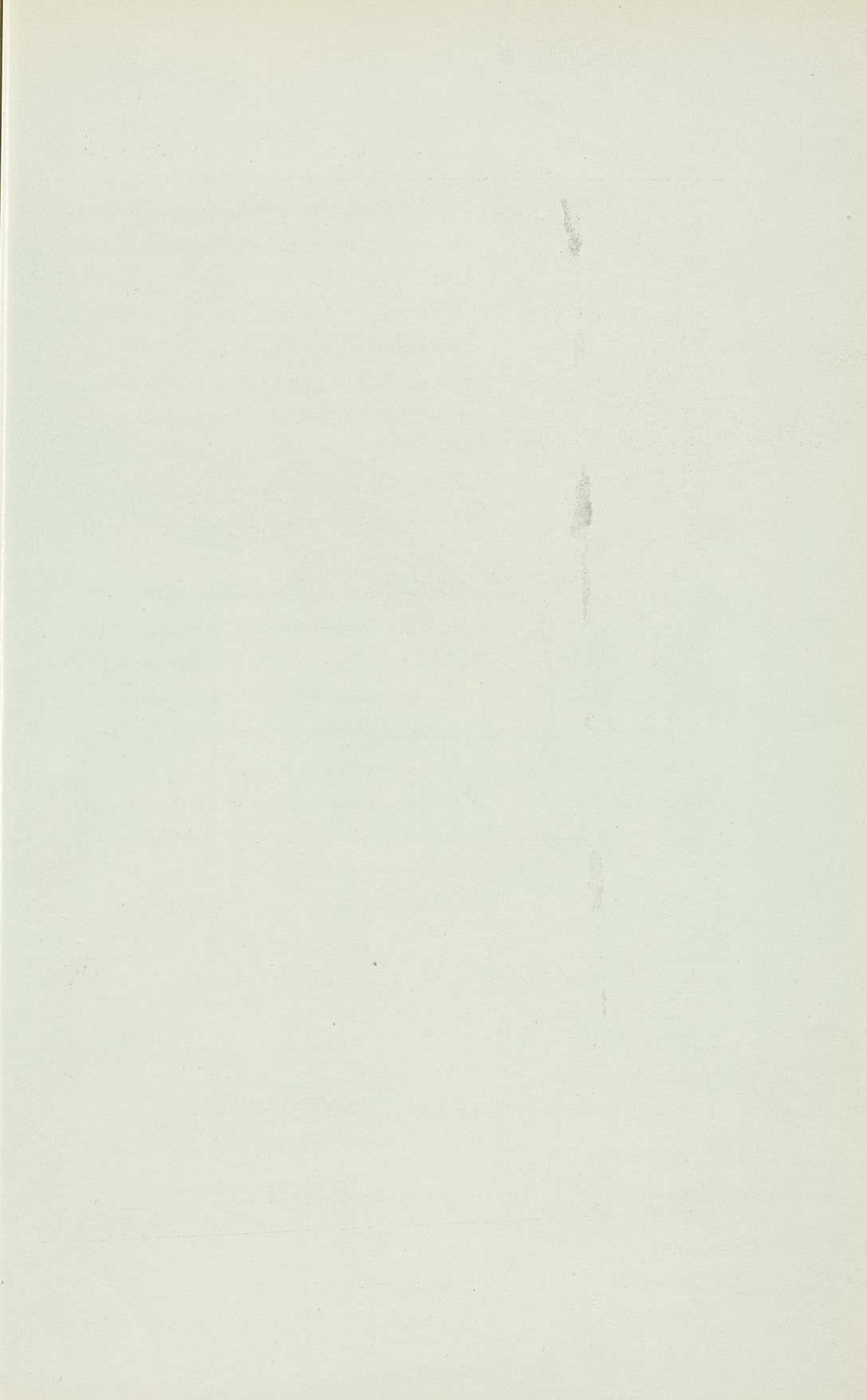
رجب المرجب سنة

ثمان وسبعمائة الف

من جملة سيد الانام

عليه افضل الصلاة

والسلام



تراجم الأعيان من أساتذة الزمان
للشيخ الفاضل والشهيد الكامل أبي عمرو
ووجيد دهره أبي الضياح الحسن
بدر الدين ابن محمد البوريني
في المشافعي رحمه

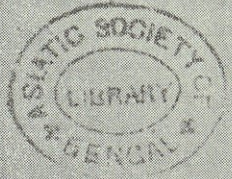
١٥٠
تراجم الأعيان
تاريخ البربريني



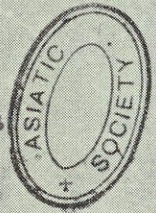
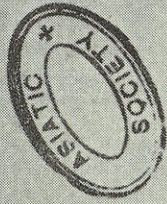
مكتبة الجمعية الآسيوية
بنكوك



College of St. William



التي قتلته تاريخ صحب دم الدجال اهله الشريف
 هذا اخذنا وجد من تاريخ العلامة الاديب الشيخ
 نبرالدين حسن البوريني الشافعي المسمى بتراجم
 الأعيان من ابناء الزمان سلفا من سواد
 التارخ المذكور المؤلف احدها برسم
 محمد يان المنجكي والاضوي برسم
 محمد ايبين الرفقوي فريها
 وجد فيه مخالفتا
 تقع منتقلا في
 بعض المباح
 عن التارخ
 المذكور
 لكن منتقلا عن اخرى
 مسودته فقط
 والختم وجده
 وصلو الله على
 سيدنا محمد
 وآله وصحبه
 وسلم



كانت ما يرت به بالجن لا و...
جفت البري من طوله على من...
جنته بالعبير والظلمة...
الجحش كما لم يفتقره...
بدر ربي المشاهير على...
مدى الأيام من كنيته...
السعادة ونقصها...
ويجب على من...
سنة ثمانين وسبعين...

هذا ما كان عليه
منه
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

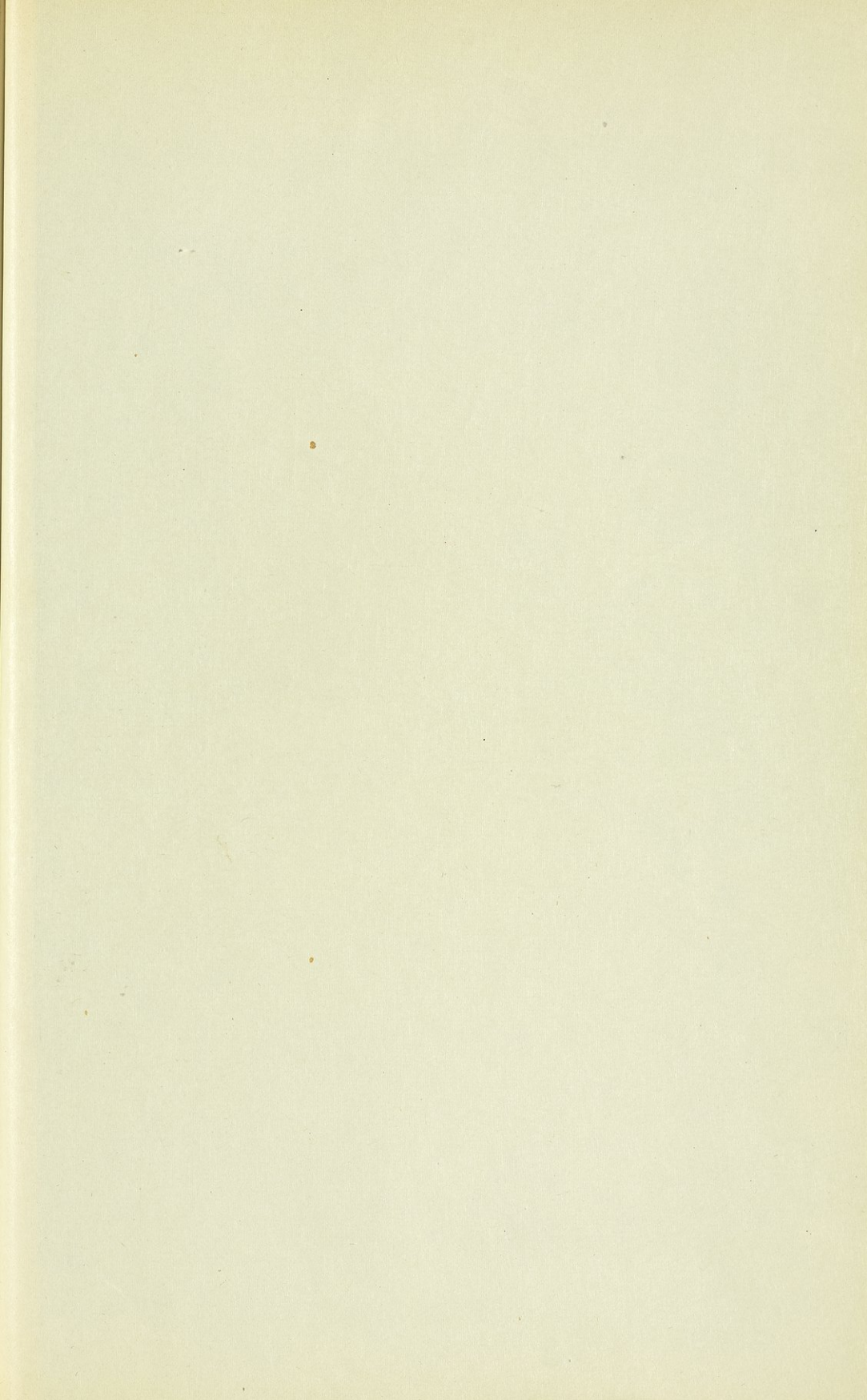
اذما نرى في الدنيا الامم
خان لم يسد قبلنا الارار
والصاحب من بني السعديان
اسما لترسم الامم تسال
فالمدح من جحش الحفر
دار تقوم قوارهم
لله در عصابة ناصهم
اولاد جفنة عن قعر ابيهم
يقفون في درابنهم

من نخط كتابه حسن البوريني
 بحق منظوم ومن ثناياها وقتها فاني عبده من رعاياها
 باناسيب عجزها الما من ذنوبها مهله فان نواهد من ليس كما يا ظلي وعقد
 رقيبته الشا مني بين هذا وعلى طول الاهر قوما كما
 مولانا نوحا صدرت عينك كالذي ليل الهجوم وقتها انك كما
 ان كان انشاك كالمح ان ذوا ذيب من ذالذي انك كما
 اعاذك الله من ليل يبيت به برعي النجوم من زيل ليلتك
 يا ما كن بحمدك كنت اعهدك جاشا كنند لم تسوفا شكا
 يا ما كان في اللودا رقا ففكر لا نجره على من في الناس الا كما
 خضعت فيك تقوم لظلالك لم ما كنت اعبر فم في الدهر لولا كما
 قطعت عند سبيلك الجحيم ليل السبت من شهر سوار
 دار سلمتي لتلقى في الجحيم الشريعة عما ساكنها افضل الصلوة والسلام

خليلين بالود القديم تحمله سلامي الذاكر الخباب للعظيم
 لدا اجنتي ارضيا بالسعد الحنا وينيل المني والعفون لكان مجرم
 قبله فنتا ما تقصد ان بزور لقبى النبي الهاشمي المكرم
 فقولها بارض الشام حبه تقدر اقام حليفا لاسي والتتد
 اسير انت احسن منقذ جرح فواودانت انفع موم
 تحطم بيستاهي منه تشوقا والبت غير الخدم
 اقام بارض الشام كثر جسمه بلدا المشوق للبيت
 ارجوك يا غوث العالمين اذ اصرمت في قبلي من الصيق ظلم
 فكن تسعدك في يوم يومه وكن منقذ من كل شدة عظ
 عليك سلام الله ما دام ذرؤي سمير الاله من كل ذنوب
 ذنوب

تراجم الأعيان

من أبناء الزمان



[مقدمة المؤلف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الباقي ومساواه فان ، الدائم وغيره معدوم بمجوات الحداثان .
تعالى عن الزوال ، وتقدس عن التحوّل^(١) والانتقال . حكم على
طوائف الأمم بما حكم به من العدم ، واختصّ بالبقاء والدوام والقدم .
فسبحانه من إله تنزهت ذاته ، وتقدست أسمائه وصفاته ، أحمدُه
حمد من ذكره وشكره ، وأشكره على نعمه لا يحيط بها النظر ،
ولا تحصيها الخواطر ولا الفكر .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده . وأشهد أن سيدنا محمداً الذي
جعله الله خاتماً للأنبياء وما أرسل أحداً بعده . صلى الله وسلم على ذاته
الطاهرة ، وعلى آله وأصحابه الذين هم النجوم الزاهرة . وعلى التابعين
لهم في الآداب ، إلى يوم البعث والحساب .

أما بعد : فإني قد رأيت كثيراً من العلماء الأعلام ، الذين بهم
افتخار الليالي والأيام ، قد استغلوا بعلم الأخبار ، ودوتوا في الكتب
محاسن الأخبار ، لاسيما علماء الحديث ، فإتسم اجتهدوا على ذلك في
القديم والحديث . وأنت عالم بما صنّفه ابن كثير^(٢) ، وبما ألفه في ذلك

(١) ب « التحويل »

(٢) يشير الى كتابه « البداية والنهاية » . توفي ابن كثير سنة ٧٧٤ هـ . انظر

كتابنا المؤرخون المشقبون ص ٥٥

العلامة العزّة ابن الاثير^(١) . وإن نظرت إلى الشهاب بن خلّكان^(٢) رأيت من ذلك ما لا يحتاج إلى البيان . وهذا العلامة يوسف بن شدّاد^(٣) ، الذي كان في زمنه من العلماء الأجداد ، قد ألف أيضاً في ذلك . والعلامة أبو سامة^(٤) سلك من ذلك أقوم المسالك . وأما الشهاب ابن حجر^(٥) شيخ الاسلام ، فإنّه قد جمع من ذلك ما^(٥) هو مشهور بين الخاصّ والعام . وذلك أمرٌ معلومٌ ، واضحٌ غير مكتمل .

وقد كنتُ عزمتُ من مدّةٍ مديدة ، وأعوامٍ عديدة ، على أن أجمع تراجم مَنْ كان موجوداً من الأعيان ، من ابتدأ ولادتي وإلى هذا الآن . من عالمٍ عامل ، أو فاضلٍ كامل ، ومن سلطانٍ أو أمير ، أو صاحبٍ فنٍّ هو به شهير . سواء رأيتُه أو سمعتُ بأخباره من ثقات الدهر وأخياره . فإن علمتُ المولد والوفاء ، ذكرتُ ما علمتُه من ذلك بلا استثناء . وما سككتُ فيه تركتُه (٢ ب) وأهملتُه وما ذكرته . ومَنْ كان عند ذكره في الحياة موجوداً ، جعلتُ الاقتصار على أوصافه مقصوداً . ولكن كان يعوقني عن ذلك المرام ، ما يعاوي أمثالي من حوادث الأيام ، التي تشغل الانسان عن نفسه ، وتفسد عليه ما استقام من فكره وحديثه . فتمناقتُ عن ذلك

(١) يشير الى كتابه « الكامل في التاريخ » . توفي ابن الاثير سنة ٦٣٠ هـ .

انظر وفيات الأعيان ٣ : ٣٣

(٢) ألف ابن خلّكان كتابه الجيد « وفيات الأعيان » . توفي سنة ٦٨١ هـ .

انظر المورخون المشقيون ص ٣٧

(٣) ألف أبو سامة كتاب « الروضتين في أخبار الدولتين » . وتوفي سنة ٦٦٥ هـ .

انظر المورخون المشقيون ص ٣٣

(٤) ألف ابن حجر « الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة » وكتباً أخرى .

توفي سنة ٨٥٢ هـ . انظر الضوء اللامع للسخاوي ٢ : ٣٦ ؛ ومجموع المؤلفين

٢٠ : ٢

(٥) ب « مما » .

أعواماً عديدة ، وما ملتُ إليه من مدّةٍ مديدة ، إلى أن اتَّفقتُ اجتماعي في دمشق المحروسة ، بصاحبِ الذاتِ المأنوسة ، الكاملِ في ذاته ، المدوحِ في جميعِ صفاته ، صاحبِ الكلماتِ الظاهرة ، والفضائلِ الشهيرةِ الباهرة ، مَنْ جمعَ بينَ المحاسنِ المتباعدة ، وحَصَلَ المناقبُ الجميلةُ المتزايدة ، سيدنا ومولانا محمد أمين أفندي ، السابقي الجعفري ، الطيّاري ، صاحبِ الدفاترِ السلطانيّةِ ، بدمشقِ المحمية ، حماها ربُّ البرية ، من طوارقِ البليّةِ . وكان ذلك الاجتماعُ في أوائلِ سنة ثمانٍ بعد الألفِ من هجرةِ خيرِ الأنام ، عليه من الله أفضلُ الصلاةِ والسلامِ . فتذاكرتُ معه ما كنتُ قصدتُه من الجمعِ المذكور ، وقلتُ له : هذا أثرٌ يبقى على ممرِّ الدهور . فعصَّني على الشروع ، فيما كنتُ قصدتُه من الجمعِ . وقال لي : بادِرْ إلى مطلوبك فإنه يصيرُ بعونِ الله لذةً للنظرِ والسمعِ . وذكر لي أنه خَطَرَ في باله فيما مضى من الزمن ، أن يطلبَ مني تأليفَ مثلِ هذا الجمعِ الحسنِ ، فبادرتُ إلى امتثالِ أمره ، ولازمتُ الدعاءَ له مع حمدِهِ وشكْرِه . لأنّه الباعثُ لي على إبرازِ ما نويتُه إلى الوجودِ ، والسببُ الداعي إلى تصفيةِ هذا الحوضِ المورودِ .

ثم اعلم أنّ ولادتي كانت في شهرِ رمضانِ المباركِ من سنة ثلاثٍ وستينٍ وتسعٍ مئة ، وقد ابتديتُ في تدوينِ هذا الكتابِ في شعبانِ المعظمِ من سنة تسعٍ بعد الألفِ من هجرةِ خيرِ الأنام . عليه من الله أفضلُ الصلاةِ وأتمِّ السلامِ ، وعلى آلهِ وأصحابِهِ الكرامِ ، وعلى التابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ القيامِ .

واعلم أنّي قصدتُ ترتيبَ هذا الديوانِ على حروفِ المعجمِ ، إضاحاً للكشفِ على ما هو مُبهمٌ . ومَنْ كان مشهوراً بلقبه أكثرَ من شهرتهِ باسمه ، داعيتُ في ذلكِ الشهرةَ قصداً لتسهيلِ علمه .

واعلم أني لا أذكر من أوصاف أحدٍ في الغالب إلا الوصف المحمود،
طلباً للثواب يوم تنقسم الوجوه إلى بيضٍ وسود . وقل أن يخو رجل
من تخليط . ومن هو المعتدل بين الإفراط والتفريط ؟
وأنا أستقبل الله العثرة إن زلت القدم ، فيما يُوجب في القيامة
الندم . فإن الانسان محلُّ الزلّ ، في القول والعمل . وإلى الله
الالتجاء في أن يوفق للاتمام ، وأن يسهل بلطفه الحتام . بعونه وحوله ،
وفضله وطوله . إنه تعالى إذا دُعي أجاب . وإذا (آ ٣) نودي سمع
الخطاب . وسميته :

تراجم الأعيان ، في أبناء الزمان

[حرف الهمزة]^(١)

الأحمدون الطيبون الثلاثة

فأوتهم :

١

أحمد الطيبي الأكبر

هو الشيخُ الصالح ، العالمُ الفالِح ، الوليُّ العارف ، صاحبُ المعارف ،
المقريُّ بالقراءات المختلفة ، الموصوفُ من القنع والصلاح بأكمل^(٢) صفة .
ورد والدُه الى دمشق الشام^(٣) ، وكان ولده هذا معه فوق سنِّ
الاحتلام ، فقرأ على مشايخ دمشق^(٤) وتفقّه عليهم على مذهب الإمام
الشافعي رضي الله عنه ، ومهر في الفنين المذكورين ، ولكنه كان على
سنن السلف الماضين في عدم التكلف والتكلف . فلذلك جلس في دكان
الطيبِ بباب البريد^(٥) . وكانت معيشته من ذلك . وكان في الغالب
لا يتناول من الوظائف شيئاً . وكان ضيقَ الخلق جداً حتى إنه كان يضرب
من يغلط من تلامذته في القراءات المختلفة وغيرها . واقتنى بيتاً في محلة

(١) الزيادة من ه ، ب

(٢) م « بالمثل » ، اثبتنا ما في ه ، ب

(٣) ه « ورد دمشق الشام »

(٤) ه « دمشق الشام »

(٥) يعني السوق الذي أمام باب الجامع الأموي الغربي المسمى بباب البريد

مدرسة القيمرية^(١) . ولم يزل مواظباً على ذلك الى أن مات في ثيء وستين وتسع مئة ، ولا أعرف الوقت بالتعيين في وفاته رحمه الله تعالى ، ودُفن في تربة مرج الدحداح^(٢) بالقرب من مزار الشيخ أبي شامة رضي الله عنه . وقبره عند قبور أولاده وأحفاده مشهورٌ هناك .

ونشأ ولده :

(١) تقع محلة القيمرية في شرق الجامع الأهوي . عن المدرسة القيمرية انظر

النيمي ١ : ٤٤١

(٢) في الناحية الشمالية من دمشق ، خارج باب الفواديس . انظر كتابنا خطط

دمشق ، ص ١١٨ ؛ ومخطط دمشق القديمة لنا .

٢

أحمد بن أحمد الطيبي الكبير

هو جمالُ الزمان ديناً وعلماً ، وابتهاجُ الأيام شرفاً وفهماً^(١) |
الشيخُ العالمُ العاملُ ، الفاضلُ الصالحُ الكاملُ ، فخرُ أيامه ، ومَن
اشتهر في الفضل قبل احتلامه ، صاحبُ التصانيف المفيدة ، والتحقيقات
الفريدة ، والدرر النضيدة ، والصلاحِ الشهير ، والزهدِ الكثير . كان
مِن يُسْتَسْقَى به الفَيْثُ في زمانه ، ومِن يُقاس بِالْحَسَنِ البَصْرِيِّ
بين أقرانه .

قرأ القرآن على والده ، وحازَ به من الفضل طريق المجد كتمالده .
وقرأ عليه بالقراءات المختلفة ، وتفقه عليه حتى تمرن به وعرفه . ثم
شرع يقرأ على الشمس الكفرْمُوسِي ، والشيخ تقي الدين القاري ،
وعلى الشيخ تقي الدين البلاطُنْسِي ، وعلى بقية مشايخ زمانه ، حتى
تفرد بالكمال بين خلائه ، وسلك مسالك الصّلاح ، وظهر عليه نورُ
الولاية ولاح .

تولّى إمامة جامع الأموي دهرأ طويلاً ، وخطب به عمرأ ليسَ
قليلاً . وصنّف الخطبَ الفصيحةَ ، وحبّر النصائح المليحةَ ، ونقلها عنه
الخطباء ، ورواها أكابرُ النجباء . وتولّى تدريس | المدرسة |^(٢) العادلية

() انظر ابن العماد ، شذرات ٨ : ٣٩٣

(١) ما بين الخطين ساقط من ه ، ب

(٢) ساقط من ه

الشغرى^(١) ، وتدرّس بقعة بالجامع الأموي للإمام . وكان مع ذلك يكتب أوقاف الأمراء بني منجك في دمشق الشام ، ويُدرّس بالكتابة المذكورة الرزقَ التام . وكان يُدرّس بالجامع المنجكي في محلة مسجد الأقباب^(٢) ، ويُعَلِّمُ هناك جميعَ الطُّلاب . وكانت له الشفقة الكاملة ، والألطفُ الوافرة (٣ ب) الشاملة ، على الطلبة لاسيما الغرباء ، وبالجملة فإنه ما تقاعس عن الوصف الجميل ولا أبى ، بل كان عامراً الأوقات ، بالعبادات والبركات . لا يفتر ساعةً عن فعل خيرٍ أو طاعة .

قرأ عليه فضلاءُ دهره ، ونال بذلك نهايةَ فخره . فممن قرأ عليه ، وجلس دهوراً بين يديه : الشيخُ الفاضلُ العلامة ، جامعُ أَسْتات الفضائل والكرامة ، شيخنا بل شيخ الشام ، الذي شاع فضله بين الأنام ، المقتي الجليل ، المرحوم الشيخ اسماعيل ، مفتي الشافعية في زمانه ، وحائز مرتبة الصدر بَيْن أقرانه ، الشهيرُ بالنابلسي . وستأتي ترجمته عن قريب ، بعون لطف | الله |^(٣) السميع الجيب . وكان يفتخر بالقراءة عليه في مجالس فخره ، ويرى أنه أدرك بذلك صدارةَ دهره .

ومن قرأ عليه ، ونال الفخر بانتسابه إليه . شيخنا المحقق ، وأستاذنا المدقق ، العمادُ بن العماد ، مَنْ عليه في تحقيق المشكلات الاعتماد ، الشيخُ عماد الدين محمد الحنفي . سقى الله ثراه ، وبلغه في الجنة ما يتمناه . وستأتي ترجمته في حرف العين ، صدقاً من غير مَين^(٤) .

وقد قرأتُ عليه . رحمه الله تعالى ، وأنا ولدٌ صغير ، فنظر إليّ نظر الشفقة وقال لأبي : احرصْ عليّ ولدك هذا فإنه سيصيرُ من أهل العلم .

(١) انظر عنها النعمي ، ١ : ٣٦٨

(٢) محلة معروفة تقع خارج باب السلامة . انظر عن المسجد ذيل ثمار المقاصد ٢٢٢

(٣) ساقط من هـ

(٤) هـ « صدقاً مني من غير مَين »

فقبل والذي يده . ثم إنه سأل والذي عن بلدته ، فقال له والذي :
أنا من قرية بورين (١) وهي ملاصقة لأرض مدينة نابلس (٢) . فقال الشيخ
المذكور لأبي : أنت حينئذ من بلادنا . فقال له والذي : أنتم من
أي قرية ؟ فقال له : نحن من القنْدَقُومِيَّة (٣) . وتعارفا ، وأمرني بملازمته ،
فشرعتُ في القراءة عليه من أول القرآن العظيم الى آخر سورة النساء ،
تجويداً لأبي عمرو . وشرعتُ مع ذلك في قراءة « المنهاج » إلى باب
صلاة المسافر .

وكان الشيخ أحمد بن المرزات المقيُّ الصالحِيُّ يقرأ عليه وقت
قراءتي عليه « النشم » لابن الجزري في القراءات العشر . وسنأتي ترجمة
الشيخ أحمد هذا إن شاء الله تعالى .

والشيخ الطيبي هذا علم (٤) الناس في زمنه تجويداً (٥) القرآن
والقراءات العشر ، وكان في زمنه يُقال له الحسنُ البصري . ولقد حضر
مرةً ختم التفسير المنظوم الذي نظمه شيخ الاسلام البدر الغزي العامري ،
وكان البدر المذكور قد عقد له المجلس وراء مزار رأس يحيى بن
زكريا عليهما | الصلاة و | (٦) السلام ، وحضر علماء البلدة وقاضيا
ومفتيا ، فكان من جملة ما دار في المجلس أنه قال البدر المذكور : أنا
رددتُ على صاحب القاموس في سبعة مواضع منه ، وذكر منها أنه

(١) قرية مشهورة في فلسطين قريبة من نابلس ، ما تزال قائمة .

(٢) مدينة مشهورة في فلسطين انظر (معجم البلدان)

(٣) قرية في فلسطين بين نابلس والقدس .

(٤) هـ « أعلم »

(٥) هـ « في تجويد »

(٦) ساقط من هـ

جعل الخزل (١) بالخاء المعجمة والخزل بالجيم في علم العروض بمعنى واحد ،
والحال أن كلاً منهما بمعنى مستقل غير معنى (٢) الآخر . وفي اليوم
الثاني أرسل إليه الشيخ أحمد الطيبي المذكور صاحب الترجمة ورقة
ينتصر فيها لصاحب القاموس ويقول | له | (٣) فيها : إن الدماميني قد
نص على ذلك ولم ينفرد به صاحب القاموس . فأرسل البدر الغزي أبياتا
الى الشيخ الطيبي المذكور يقول منها :

أَمْوَلِي شَهَابِ الدِّينِ يَا فَاضِلَ العَهْرِ وَيَا مَنْ رَقِيَ فَوْقَ السَّكَابِينِ وَالتَّسْرِ
زَعَمْتَ أَنَّ الخِزْلَ وَالخِزْلَ وَاحِدٌ كَمَا قَالَ القَامُوسُ ذَوَا المَجْدِ وَالفَخْرِ
وَقَلْتَ الدَّمَامِينِيُّ قَالَ بِقَوْلِهِ وَحَقَّقَهُ بِالتَّقْلِ عَنِ فِتْيَةِ غُرِّ
وَإِنَّ الدَّمَامِينِيَّ تَلْمِيزٌ رَبِّهِ وَإِحْسَانٌ ظَنُّ بِالشُّيُوخِ مِنَ البَرِّ
وَمَا بِالتَّسَاوِي نَرْتَضِي وَلَعَلَّنَا نَرُدُّ عَلَى القَامُوسِ رَدًّا بِلا حَضَرِ

وقد كان الشيخ الطيبي ينظم العلوم . نظم « مناسك الحج »
رجزاً كالماء الزلال من رفته . وصنّف في « أسكال المنطق الأربعة »
تأليفاً خاصاً ، وجعل لكل شكلٍ جداولَ للأشكال المنتجة والأشكال
العقيمة . وهو تأليف حسن . وصنّف « المفيد في علم التجويد » .
وشرحه الشيخ أحمد بن المرزفات المذكور آنفاً شرحاً حسناً . وللشيخ
الطيبي المذكور « ديوان خطب » في غاية الحسن .

(١) ذكر في القاموس أن الخزل سقوط الألف وسكون التاء من متفاعلين كالخزل
بالفتح . ثم جاء في مادة « جزل » : والخزل اسقاط الراءم من متفاعلين
(أي الالف) واسكان ثانية (أي التاء) في زحاف الكامل .

(٢) « المعنى »

(٣) ساقط من هـ

وكان يعظ بدمشق .
ولقد أدركته وهو شيخٌ كبيرٌ قد حناه الزمان ، وهصر (١) قامته
تخالفُ أحوالَ الحدّاثان ، وهو ينشد قول القائل :
وعهدي بالشبابِ وغُصْنُ قَدِّي حكى أَلِفَ ابنِ مُقَلَّةٍ في الكتابِ
فصرتُ اليومَ منحنياً كأنِّي أفشُّ في الترابِ على شبَّابي

★

[وله من النظم قوله] (٢) :

إن كنتَ تبغِي نَيْلَ كُلِّ أَلْمَنِ وراحةَ القلبِ مع الأُنْسِ
فكنْ مع الحقِّ بلا خالقه (٣) وكنْ مع الخلقِ بلا نَفْسِ
وله في بيان « يكون » (٤) لجماعة الذكور - من وكى (٥) دعاءه
إذا ربطه - فإنَّ صيغتها تُشابهه في اللفظ صيغة يكون الذي هو (٦)
مُضارع كان قال :

أَيكونُ قومٌ لا يكونَ سقاءُهم في أزيمةٍ مثلَ الذينَ يكونوا
قد ضلَّ مَنْ بالفضلِ ضنَّ وظلَّ في طردٍ ومَنْ بالعهدِ ليس يَقوناً
وكان يكتب الخطَّ الحسن . ورأيت بخطه دفاتر كثيرة عند الأمير

(١) « غصن »

(٢) الزيادة من ه ، ب

(٣) « كلفة »

(٤) وكى القرية يكيها إذا شدّها بالوكاء أي الرباط ، ويكون هنا المضارع
لحقته وأو جماعة الذكور

(٥) م « وكان » ه ، ب « من وكن »

الكبير^(١) | محمد بن منجك في « بيان أوقاف الجوامع التي بدمشق من بناء بني منجك » .

وكان قليل الأكل في آخر عمره . قال لي ولده شيخنا الشيخ أحمد الطيبي الصغير : إن والده المذكور كان يقتصرُ في آخر عمره على بيضة نيمرشت^(٢) يأكلها بعد صلاة العشاء .

وكان يكرم الطلبة الغرباء الذين يردون من الآفاق ، ويتلطف بهم في التعليم ، وإن كان الرجل منهم مبتدئاً .

وكان الشيخ أحمد القابوني الآتي (٤ ب) ذكره في هذا الكتاب^(٣) ، إن شاء الله تعالى ، تلميذه الخاص به . وكان يأتي له من بيته بالأكولات الطيبة في الصباح والمساء . وكان إذا لم يجده يضع له الأكل في خزانة له بالمشهد المنسوب لابن قيصر الملاصق لحجرة الشيخ الطيبي المذكور ، بينها وبين مأذنة عيسى عليه الصلاة والسلام . ولقد أخبرني الشيخ القابوني المذكور أنه جاءه يوماً بمحْصٍ مُتَبَلِّ على الصَّبَاح وكان بائناً . فكتب له ورقة صغيرة ووضعها الى جانب إناء الحمص وفيها :

الأخ العزيز الشيخ أحمد يَمَفْضَلُ ويتناول هذا الحمص فإن أهل الشام يقولون : « من أطيب الطيبات ، الحمص إذا بات » .

وله من الدين والورع والزهد والتقشف في العبادة ما لا يدرك . وكان يُذكر السلف الماضين بزهده وورعه . وكان لا يفتي في الفقه أصلاً ويقول : إن البدر الغزي أولى بالفتوى مني ، وهو يُعني عني . وباللّٰه لقد

(١) ساقط من ه

(٢) أي نصف مسلوقة وهو ما يسمّى بالفرنسية *à la coque* . ويجوز الناس الكلمة في أيامنا فيقولون « بيض برشت »

(٣) انظر الترجمة دات الرقم ٦

رأيته بعيني يدلّ رجلاً على حجرة الشيخ الغزّي المذكور ويقول له :
اذهب الى تلك الحجرة ودقّها فإنّ المقي ساكن فيها . نعم كان يُفتي في
مشكلات الفرائض لانفراده بها في زمانه وبين أقرانه .

ولم يزل قائماً بالحقّ قائلاً بالصدق ، لا يرى في الله لومة لائم ، ولا يسكت
عنّ مقالة الحقّ بإكثار اللوائم ، إلى أن تُوفي في سنة إحدى وثمانين
وتسع مئة ، ودُفن في تربة مرج الدّحدّاح بالقرب من مزار الشيخ أبي
شامة . وكانت جنازته من أحفل الجنائز وأعظمها . رحمه الله تعالى (١) .

ولده

أحمد بن أحمد بن أحمد الطيبي الصغير

وَلَدُ الَّذِي قَبْلَهُ شَيْخِنَا شَيْخَ الْإِسْلَامِ أَحْمَدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ أَحْمَدَ .
وهؤلاء الثلاثة المذكورون في هذا التاريخ على الولاء من غير فاصلة .
وقد قرأتُ على الأوسط وهو الكبيرُ وعلى هذا وهو الصغيرُ ، والأول
هو الأكبر لم أدركه ، غير أن قراءتي على الكبير قليلة ^(١) ، وأكثر
ما قرأتُ على هذا الصغير .

ماتَ أبوه في التاريخ المذكور . ونشأ ولده هذا في أيام أبيه على
عزّةٍ وقَدْرٍ رفيعٍ ونعمةٍ واسعةٍ . وتولّى مناصبَ أبيه بعده فصار مدرساً
بالعادية الصغرى ، وبقعة مشيخة الإقراء بالجامع الأموي ، وتولّى
إمامة الجامع الأموي . وكان أفقه من أبيه . أفقياً بدمشق نحو عشرة
أعوام ، وسلّم له أقرانه ومن قبله أيضاً . وكان فقيهاً محدثاً مفسراً
مقرئاً عروضياً حاسباً فرضياً . قرأ هذه العلوم على أبيه ، إلاّ الفقه فإنه
قرأه على النور السنفي المصري ، ولازمه حتى أجازته بالفتوى والتدريس .
وأجازته بالفتوى أيضاً شيخُ الإسلام البدرُ الغزبي . شهدته يوماً وقد
كتب صورة استفتاء وأرسله مع رجل إلى (هـ آ) شيخ الإسلام المذكور
ليفتي عليه . فعرف الشيخ خطّه فأرسله من غير إفتاء ، وقال للرجل :
خذ هذا الاستفتاء إلى كاتبه وقل له : يقول لك الشيخ : أفْتِ أَنْتَ عَلَى
هذا الاستفتاء ، فإنّ الشيخ قد أجازك بذلك .

(١) م « غير أني قرأتُ على الكبير قليلاً » أثبتنا ما في هـ ، ب

فلما جاءه الرجلُ ذهبُ إليَّ الشيخُ وقال لي : اذهب معي يا فلان . فذهبتُ معه . فاستأذن عليَّ الشيخُ . فلما رآه قال له : يا شهاب الدين ! أفتِ ، فقد أذنتُ لك في الإفشاء . فقَبَّلَ الطيبي يدَ الشيخِ وبكى ، وقال : يا سيدي ! جعل الله في عمرك البركة . أَيْفَعِي وَأَنْتِ فِي الْمَدِينَةِ حَيٌّ تَرْزُقُ ؟ فقال له : والله يا شهاب الدين إنَّ نفسي لتطيبُ بقفوك . فأفنتِ ، فقد أذنتُ لك في ذلك . فتوقف الطيبيُّ المذكورُ . فألزمه الشيخُ بالكتابة على الاستفتاء بحضرته . فكتب عليه امتثالاً لأمر الشيخِ ، وعرض ما كتب على الشيخِ ، فقال له : أحسنتَ وأصبتَ في ما كتبتَ .

وخرج من عنده ، وشرع في الإفشاء بعد ذلك من غير توقف . وكان رحمه الله تعالى يباشرُ الدرس [تحت] ^(١) القبة بالجامع الأموي كلَّ يوم بعد الظهر إلى قريب العصر .

وكنتُ قد قرأتُ عليه « الارشاد » للمولى العلامة اسماعيل بن المقرئ . وكان يهتمُّ بمطالعة الى الغاية . ولازمته سنين عديدة ليلاً ونهاراً . وأحببني وجدببني اليه . وكان يصحبي في نزحته وعند الذهاب الى بعض قرى دمشق للتنزه . وكنتُ أبيتُ عنده في بيته الكائن في محلة القيسرية . وكان ينظم الشعر كثيراً . وكان قد أحبَّ بعض أحداث دمشق وحصل له بسببه ضررٌ عظيم ، حتى قيل إنه كان سبباً لتلافه ، وإنه سقاه مسؤماً فلم يزل يترصُّ حتى صار كالطفل الصغير . وكان يُحمل الى الحمام فيرى كالطفل الصغير الذي يحمله أبوه الى الحمام . وباع غالب كتبه في مرضه . وبالجملة فهو بمن تشرفتُ به دمشق . غير أنه لم تَطُلْ به أعوامه ، ولم تصفُ له أيامه . وكان له قريبٌ من أولادٍ عفيف الدين يُقال له محمد بن عفيف الدين .

وكان مجد المذكور قد شهد شهادةً نُسبَ فيها إلى الزور واختفى ،
فطلب من الشيخ المذكور ، ولم يكن له به علم . وكان حاكم دمشق
حسن^(١) باشا ابن الوزير مجد باشا ، ولم يكن عارفاً بالشيخ أحمد
المذكور . فلما طُلب إليه زجره وطلب منه الرجل المذكور بإزعاج .
وكان الشيخُ اسماعيل النابلسي رئيسَ الجماعة حينئذ ، ولم يكن محباً
للشيخ المذكور . فقال لحسن باشا : إنه لو حلَّ إزاره لسقط مجد بن
عفيف الدين منه . ونال بذلك مكروهاً . وخرجَ للتفتيش على الرجل
المذكور في قرية جبة العسال^(٢) فلم يجده .

وكان يكتب إلى الشعر الكثير ، وكنت أجيبه عنه . وسأذكر منه
حصّةً إن شاء الله تعالى .

ولقد قال لي مرةً : لا تتغدّ فانّ (ه ب) عندي سمكاً مقلباً ،
وسأرسلُ لك منه . فذهَبَ إلى البيت فلم يرَ من السمك إلا قليلاً ،
وكان يظنُّ أكثر من ذلك . فأرسل إلى الموجود وكتب إليّ هذه
الآيات^(٣) :

أقسمتُ بالذي السمواتِ سمكٌ لم ألقَ في المنزلِ غيرَ ذا السمكِ
لكن في العشرِ الأخيرِ من رجبٍ نسيرٌ للعدنِ كي ترى العجبِ
وربنا يرزقنا من كرمه فإنه عودنا بفضله
وما يُصادُ السمكُ الطريُّ إلا إذا ما ساقه الوليُّ
ونحنُ منه نرتجي الألفافا ونطلبُ الإسعادَ والإسعافا

(١) انظر كتابنا : ولاية دمشق في العهد العثماني ، ص ١٨

(٢) « جبة عسال » . وهي قرية في جبل قلهون المعروف قديماً بسنير

(٣) « هذه الآيات شعراً »

لازلتَ بجرأ قاذفًا بالدُرِّ عَذْبًا نَمِيرًا دافعًا لِلضَّرِّ
مَا غَرَّدَتْ فَوْقَ الغُصُونِ وَزُقْ ولاح من أرض الحبيبِ بَرَقُ
وكان رحمه الله تعالى قد وعدني بشيء فما تيسرَ انجازه . فكتب اليّ
معتذراً عن عدم الاتمام وأجاد في النظام :

يا سيدي لستُ والرحمن أنساكا فَإِنَّ في خاطري الوهانَ مَنَوَاكا
ولم أكن تاركاً ما قد وعدتُ به فكيف وهو سبيلٌ إليّ^(١) لِالْقِيَاكا
فأسمعُ فديتُكَ من خِلِّ الأودِّ به ولا تَكُنْ حاقدًا حاشاكا حاشاكا

وكنتُ قد سرتُ الى قرية مَنِين^(٢) ، في سنة تسع مئة وتسعين ،
فكتب اليّ قصيدة يتشوقُ بها اليّ ، ويتشوقُ بضمونها عليّ . وقصيدته
كانت عندي ففقدتها ، وبالغتُ في التفتيش عليها فما وجدتها . وبلغني
أنها عند زوجته بنت شيخ الاسلام الشهاب الفلوجي ، فإنها تقرأ وتكتب ،
غير أن جوايي له من نظمي عندي مضبوطٌ . فمن ذلك جوايي له عن
قصيدته التي أرسلها إلى قرية منين | قولي |^(٣) :

واهاً لوجدِ ماله من براحٍ وَمُفَرِّمِ عانٍ كثيرِ النواحِ
وحرٌّ^(٤) شوقٍ نائرٍ زائدٍ إِنَّ غَرَّدَتْ ورقاه عند الصباحِ
شوتاً الى سكاّنِ قلبي وإن غابوا عن العين وزادوا^(٥) انتراحِ

(١) سافط من هـ

(٢) بالفتح والكسر . قرية مشهورة في جبل سنين ، قرية من دمشق - انظر
(معجم البلدان)

(٣) سافط من هـ

(٤) في الاصول «حيّ»

(٥) هـ «زاد»

كم لي اليهم من حينٍ إذا
ياليت شمري وأنى ضلة
وهل سميري بربوع الحمى
لاصبر لي عنهم وإن^(١) انحنوا
باحادياً يطوي الفلا سائقاً
يمم ربوعاً قد سقاها الهدى
ربوع شيخ العضر من لم يزل
شهاب أفق الفضل من قد غدت
وقل له خلفت صباً له
وقل له خلفته باكياً
شوقاً لمن لم يرقبوا ذمة
يطيئني قلبي إذا مسته
كيف احتيالي في حبيب يري
قص جناح القلب صدأ وقد
دم ياوحيد الدهر في نعمة

بَرَقَ من الغورِ تَرامى ولاح
هل لي إليهم من رجوعٍ يُتاح
يَذْكَرُني عند الوجوه الصِّباح
قلبي بأسيافِ التناهي جراح
بجيتهم^(٢) تلك المطيِّ الطلاح (آ٦)
فأطلعت نبت النجا والنجاح
يهدي البرايا لسبيل^(٣) الفلاح
به دياجي البحث ذات انضاح
شوق^(٤) اليكم ماله من براخ
يسقي بدمع العين تُرب البطاح
كان تقص العبد منهم مباح
شوقاً وفي السلوان يُبدي الجماح
قتلي مُباحاً بعد رمي السلاح
طار إليه بعد قصّ الجناح
ماهيج الوجد هبوب الرياح

(١) ه، ب « ولو »

(٢) ه « لجيم » ، ب « لحييم »

(٣) ه « لسيل »

(٤) م، ب، ه « شوقاً »

وما تَغَمَّتْ ذاتُ طَوْقٍ عَلَى أَغْصَانِ دَوْحٍ فِي ضُحَى أَوْ رِوَاحٍ^(١)

قلتُ : وقد كنت يوماً في بستانٍ مع بعض الخُلَّانِ في سنة ثمان
وثمانين وتسع مئة ، فأرسل إليّ^(٢) الشيخُ المذكورُ ، عليه رحمة الملك
الغفور ، أبياتاً وضمن فيها قول الشاعر :

أَيُّهَا الماطِلُ دَيْنِي أَغْنِيْ وَتَماطِلُ ؟
عَلَّلِ القَلْبَ فَإِنِّي قانِعٌ مِنْكَ بِباطِلِ

شكايته من خلٍّ كان يواه ويطلب هواه ، ويُعرضُ بعدة
وصالٍ ، نَقَصَهَا^(٣) المطال . مع القدرة عليها ، والوصول إليها .

واستدعى الجواب سريعاً ، ولم يكن رسوله لعذر التأخير سميماً . فأجبتُه
مرتبجلاً ، واعتذرتُ إليه منه خَجِلاً :

مَنْ لَدِمِعِ فَيْكَ سائِلٌ وَفُؤادِ مِنْكَ ذاهِلٌ
ياغزِلاً صَرَخَ القَلْبُ بِالْحَماظِ قَوايِلُ
طَرَفِكَ الفَتاكُ سَيْفٌ وَعِذارِكَ^(٤) الحائِلُ
إِنَّ فِي طَرَفِكَ سِخْرًا سَحَرَ السَّخَرَ بِبائِلِ
قَدُّكَ العَسالُ^(٥) رُمَحٌ وَهوَ لِحْظُكَ عَمايِلُ
مَنْ لَقِبِ فَيْكَ مُضَيٌّ مَنْ لِحالِ فَيْكَ حائِلُ

(١) م « راح »

(٢) ساقط من هـ

(٣) هـ « نقصها »

(٤) م ، هـ « عذارك »

(٥) عسل الريمحُ عَسالاً فهو عَسالٌ إذا اشتدَّ اهترازه (القاموس)

أَسْرُهُ اللَّيْلَ وَحَيِّي رَاقِدٌ فِي اللَّيْلِ غَافِلٌ
هَلْ إِلَى رَدِّ رُقَادِي بَعْدَ أَنْ غَابَ وَسَائِلُ
غَابَ عَن عَيْنِي وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ فِي الْقَلْبِ نَازِلٌ
هَدَمَ الْقَلْبَ نَوَاهُ وَهُوَ بِالْأَشْوَاقِ آهَلٌ
فَسَقَى اللَّهُ زَمَانِي بِالْحَمَى غَيْثَ الْهَوَاطِلِ
حَيْثُ مَنَ أَهْوَى مُوَافٍ وَالَّذِي أَرْضَاهُ حَاصِلِ
يَا عَشِيَّاتِ التَّصَايِي هَلْ زَمَانِي بِكَ آيِلِ
زَلْتِ عَنِّي وَغَرَامِي وَسَقَامِي غَيْرُ زَائِلِ
قَسَمًا لَوْلَا وَتُوقِي بَوْفَا صَدْرِ الْأَفَاضِلِ
بَعْدَهُمْ مُتَّ عَذَابًا (١) حَيْثُ لَمْ تُغْنِ الرِّسَائِلِ
يَا وَحِيدَ الدَّهْرِ يَا مَنْ جُمِعَتْ فِيهِ الْفَضَائِلِ
لَكَ يَا مَوْلَايَ نَظْمٌ دُونَهُ زَهْرُ الْخَمَائِلِ (٦ ب)
قَدْ أَتَى عَقْدًا يُجَلِّي جِيدَ نَظْمِي وَهُوَ عَاطِلِ
مَنْ لِمَنْ لِي أَنْ يُسَاوِي نَظْمَكُمْ أَوْ أَنْ يُمَائِلِ
فَاعْذُرْنِي إِنْ بَقِيَ شُعْلًا لِلنَّهْمِ شَاغِلِ
مِنْ زَمَانٍ قَدْ تَرَقَّى فِي عُلَاهُ كُلِّ سَافِلِ
وَغَدَا الْفَاضِلُ فِيهِ سَاقَطَ الرُّتْبَةُ خَامِلِ

فاسلمن يافخر^(١) دهري في ذبول العز رافل
حائزاً ما ترتجيه عالي الرتبة كامل
ما تفتت ذات طوق في ضحى أو في أصائل

قلتُ : وقد خلف بنتين ولم يترك ذكراً . وعمر بيت أبيه الذي في [حلمة] ^(٢) القيمرية ، وأجرى إليه الماء . وأخذ حصّة من الأرض إلى جانب البيت وجعلها جنيّنةً ، وزرع فيها غالب الفواكه اللطيفة . وعمر مصنع ماء في جانب الجنيّنة ، وتأنّق | في | ^(٣) البيت بالدهان والماء والغراس ، حتى صار نزهةً للعيوب وفرحة الفؤاد المحزون . ثم إنه تأثّل وشرى فرساً أصيلاً وبغلةً تنظرُ بعينيّ باز . ولما ارتفعت له العلامات علامات . ولما مرّت إليه الدنيا باعها باعها . ولم يزل يمرض ، وحفرته يميل ويتعرض ، حتى وقع في شبكة المرض ، وفوّت إليه سهامُ المحن كالغرض . ولم يزل ينقص جسمه ، ويقلّ من العافية سهمه ، حتى أخذته الدنيا بأظافرها ، وساقته إلى حفرة لم يكن يحافرها . وثوئي إلى رحمة الله تعالى في أوّل سنة أربع وتسعين وتسع مئة .

وكنْتُ قد أخذتُ تدريس الشافعية ، في المدرسة الدرويشية ^(٤) ، في أواخر سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة . وكان المرحوم صاحب الترجمة يقول لي في مرضه : لا تبدأ بالدرس ^(٥) حتى يزول مرضي ، وتحضر صحتي ،

(١) م « يافخري »

(٢) الزيادة من ه ، ب

(٣) ساقط من ه ، ب

(٤) هي جامع الدرويشية الذي بناه درويش باشا والي الشام . والجامع معروف جداً وما يزال قائماً . انظر كتابنا ولاية دمشق في العهد العثماني ص ١٦ ؛

وذيل ثمار المقاصد لأسعد طلس ص ٢١٦

(٥) ه ، ب « الدرس »

وأحضر معك في درس الدرويشية ، وأجعلُ مماطاً عظيماً لابتداء
درسك . فكان يظنُّ أنَّ الحياةَ له عائدة ، وأنه يرى زائرَه ويتفقدُ (١)
عائده . ولم يعرف أنَّ الدهرَ قد غيرَ أحواله ، وأنه قد تسلَّطَ على
لونه فأحاله . ودُفنَ في تربةٍ مرج الدحداح عند أبيه وجدته . ولم يكن
ذا معارضة حتى يكون موته فرحاً لضده .

وكان رحمه الله تعالى حليماً كريماً لطيفاً سليماً ، يعفو عن الظالم
ويتباعد عن المظالم ، ويرى العفو مغنماً والعقاب مغرمًا . وتعطلت بموته
الدروس ، وتوحشت بوفاته النفوس . فعليه رحمة الله على الدوام ، وسقاه
من رحيق مسكه ختام والسلام .

٤

شيخ الاسلام أحمد الفلوجي

شيخُ الاسلام على الاطلاق ، وحافظُ الشام بالاتفاق . مَنْ طارِصِيتهُ في الآفاق ، وتناقلتُ أحاديثُ فضله الرفاق . كان قد ارتحل أوائل أمره إلى مصر المحروسة هو وأخوه شيخُ الاسلام الشيخ محمد الفلوجي ، وطلب وأدرك درجة الفتوى ، وركب كرسِيَّ الوعظ ، ورمقه (٧٧) كلَّ لحظ . وجرت له وقائعُ مع علماء مصر حتى انهم رموه مرةً عن كرسِي الوعظ . نزل رجل أعمى تحت كرسِيته وقام به . وكان الغالبُ عليه حفظ المسائل دون التحقيق . ولم يكن بارعاً في العربية الى الغاية ، بل كان الغالبُ عليه معرفة متون الأحاديث ، وحفظ المسائل الفقهية ، وضبطَ أحوال السَّير ، إلى غير ذلك . وكان إليه مرجعُ الفتوى ، ويقول للحاضرين من العوامِّ وغيرهم : تعلمون أنَّ هذه المسئلة لا يعرفها في البلدة غيروي . ويحلفُ على ذلك يميناً مغلظةً .

ومرَّةً قال (١) : أنا أعلمُ علماء الشافعية الآن .

فإن قلتَ : لانسلمُ بذلك ، وما الدليل على ذلك ؟

قلتُ : لأنِّي مدرِّس الشافعية بالشامية البرانية (٢) ، وهي مشرُوطَةٌ

لأعلم علماء الشافعية . فلو لم أكن أعلمهم لما توليتها .

وكان إماماً بالجامع الأموي ، يقرأ بالقرآآت السبع ، ويدعي معرفة

النغمات المختلفة . وكان يجيئ لنفسه أنه يعرفها معرفة تامة .

(١) هـ « وقال مرة »

(٢) انظر النعمي ١ : ٢٧٧ ؛ وخطط دمشق ص ٧٣ .

وكان يكتبُ على حواشي كتبه كلمات غريبة : منها أنه كتبَ مرة على حواشي « شرح الروض » قوله : قلتُ وهذه مسألة تقتضي ان بيتنا مُعاف^(١) من العوارض . وكتب في مكان آخر : قلت وهذه مسألة تردُّ على خصمي ابن عبد الحقّ المصري وهي التي كانت^(٢) سبباً لإلقائي عن الكرسي بمصر في سنة كذا .

وحاصل الأمر أنّه كان في أيامه بركة للمسلمين وهداية الضالين . دُفن في تربة باب الصغير في سنة إحدى وثمانين وتسع مئة . رحمه الله رحمة واسعة . وكانت جنازته في غاية الوجاهة والعظمة^(٣) . رحمه الله تعالى .

(١) هـ « معارف »

(٢) هـ ساقط من هـ .

(٣) هـ « العظم » .

الشيخ أحمد شهاب الدين الغزي

شيخ الاسلام ابن شيخ الاسلام ابن شيخ الاسلام شهاب الدين أحمد ابن بدر الدين محمد بن رضي الدين محمد الغزي العامري القرشي . ولد شيخ الاسلام البدر الغزي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

شيخٌ درج من حجر العلوم ، ورضع من ثديها در المنطوق والمفهوم ، تحنك بالفصاحة عندما كان طفلاً ، وارتدى برداء الكمالات يافعاً وكهنلاً . كان رحمه الله تعالى قد نشأ في حجر والده ، وأنفق عليه ماملكته يده من طريقه وتالده ، الى أن صار في العلم علماً ، وأصبح الحُجُجُج كعبه الفضل حرماً . ودرس بعدة مدارس ، ورَبَعُ كماله بالتقوى ليس بدارس ، حتى إنه مات وهو مدرسٌ بالمدسة الشاميّة الجوّانية (١) . وعنه أُعطي لوالده ضميّة الى المدسة التقيّة (٢) . كما ذكرنا ذلك في ترجمته . وكان الغالب عليه طريق الانطراح وعدم التكلّف . كان يجالس الفقراء الذين لا يؤبه بهم . وكانت دمعته سريعة . كان فقيهاً أصولياً فرضياً (٧ ب) عالماً بموادّ التفسير . وله الشعر الحسن والكلمات المقبولة . وقرأ على والده جميع مصنّفاته . وله في آخر كل كتابٍ منها اجازة خاصة .

ولقد رأيتُه مرّة خرج من عند أبيه من حجرتِه الحليّة ويده كتابٌ وهو يضحك . فسأله الحاضرون عن سبب الضحك فقال : أضحك

(١) انظر عنها النيمي ١ : ٣٠١

(٢) انظر عنها النيمي ١ : ٢١٦

فرحاً برضى سيدي ووالدي عليّ . كتب لي إجازةً في آخر مؤلفه هذا وصرح فيها بالرضى عني ، والحمد لله على ذلك .

وأعطاني الكتاب في يدي فنظرتُ إليه فإذا هو نظمٌ « جمع الجوامع » المسمّى « بهنّج الهوامع » ، نظم جدّ صاحب الترجمة . هو القاضي رضيّ الدين . وشرحه ولده البدرُ الغزيّ . وقرأ الشرح على مؤلفه البدرِ ولده الشهابُ صاحب الترجمة وكتب له بذلك إجازةً بخطّه منظومة ، وصرح فيها بالرضى عنه . وكان فرحه لذلك .

وبالله لقد سمعته في حال حياته يقول : اللهمّ أمّتي في حياة سيدي . يريد والده . فاستجاب الله تعالى دعاءه ومات قبله في سنة ثلاث وثمانين وتسع مئة . وكان أمير الأمراء بالشام جعفر باشا مريّ^(١) السلطان . فحضر الى الجامع الأمويّ ، وصلى على الشهاب الغزيّ المذكور . ولم يتمكن والده الكبيرُ الغزيّ من التوجه الى المقبرة مع الجنائز لزمّانة كانت قد لحقتُ في آخر عمره . فحمله الناسُ الى جهة باب الزيادة بالجامع^(٢) . فصلى على ولده هناك ورجع ، والناسُ يحقّون^(٣) به ويقبلون يده ويعزّونه ، وهو يقرأ قوله تعالى : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون^(٤) ، حسبي الله ونعم الوكيل^(٥) ، ماشاء الله لا قوة الا بالله^(٦) ﴾ .

ورأيتُ جعفر باشا المذكور يقبل يد الشيخ كثيراً الى أن وقعت تقبيلة على يد رجل صالح من حاملي الشيخ .

(١) م « مري » خطأ . وكان هذا الأمير يسمّى لالا جعفر باشا . انظر كتابنا :

ولاية دمشق في العهد العثماني ص ١٧ ، ١٨

(٢) هو الباب الجنوبي لجامع دمشق . انظر كتابنا مسجد دمشق

(٣) م « محفون »

(٤) سورة البقرة ، ٢ : الآية ١٥٦

(٥) سورة آل عمران ، ٣ ، الآية ١٧٣

(٦) سورة الكهف ، ١٨ ، الآية ٤٠

وكان الشهابُ المذكور صاحبَ أحوالٍ ظاهرةٍ وكالاتٍ باهرة . كان كثيرَ الزياراتِ للصالحينَ أحياءَ وأمواتاً . وكان يحضر مجالسَ^(١) الذكر ويبكي بها ويتواجد . وكان ضعيفَ الجسد ، قليلَ الأكلِ إلى الغاية . وكان متقللاً من ملاذِّ الدنيا . وكان قد أمرني والدُّهُ البدرُ الغزني أن أقرأ عليه ، فقرأتُ عليه بإسارته « شرح الورقات في الأصول » لابن خطيب الكاملية .

وله الشعرُ الحسن . فمنه قوله :

فَطُورُ التمرِ سُنَّةُ رَسولِ اللهِ سَنَّةُ
يُنالُ الأجرَ شَخْصٌ يُجَلِّي مِنْهُ سَنَةَ

وله أيضاً | رحمه الله تعالى |^(٢):

إِماتَةٌ نَفْسي في مِطالمةِ الإِحياءِ^(٣) وِاحيائِ رُوحِي في مِشاهدةِ المُحياءِ^(٤)
فِياربِّ هِذا دأْبُ عِبدِكَ دائِماً وَدَيدُنُهُ مادامَ في هِذه الدنِيا

وهكذا كان في دينه ملازماً لمطالمة الإحياء وملازمة المحيا .

ولقد كان يتعهدُ (آ ٨) زيارة مسجدِ جمعة السليمانية^(٥) شمالي باب الفراديس . وكان قديماً أخبرني أن والدَه أخبره عن والدِه القاضي رضي الدين أنه رأى القطب في ذلك المسجد . وكان ناظرُ المسجد كثيراً ما يبقله ويتركه معطلاً^(٦) . فذهبنا مع الشيخ يوماً لزيارة المسجد المذكور ، فدخلنا إليه ،

(١) م « مجلس »

(٢) ساقط من ه ، ب

(٣) يعني احياء علوم الدين للغزالي

(٤) يعني مزار النبي يحيى بن زكريا في المسجد الأموي

(٥) هذه الحلة بقرب العقبة . انظر كتابنا معجم الأماكن الطبوغرافية بدمشق .

(٦) م « مقفولا »

فوجد الشيخ حاله مضطرباً . فقال الشيخ لناظره : هلاَّ عَمَرْت هذا المسجد الذي تأكلُ وقفه وتخرب سقفه ؟ فقال له الناظر : ياسيدي أنا خنزرتُ . يريدُ بنيتُ سنادة^(١) للحائط . وهم يسمونها خنزرة . وتكرر هذا الجواب من الناظر مرّات . فقال الشيخ رحمه الله تعالى هذين البيتين وكتبهما على حائط المسجد :

وما نِعِ مسجدٍ ذِكراً عليه الظلمَ أنكرتُ
إذا ما قلتُ عمّره يقولُ الكلبُ خنزوتُ

ومن لطائفه أنه رأى يوماً جمال الدين الجمال الفرغوريّ الآتي ذكره إن شاء تعالى وفي يده كتاب . وكان الجمالُ المذكور صاحبَ الجمال الذي يُبهر الأقطارَ بأنواره ، والروضَ عندما يتجلّى بنواره ، حسناً وجمالاً ، ولطفاً وكلاماً . فقال له : ياسيدي ما كتابك ؟

فقال : « ألفيّة ابن مالك » في النحو .

فقال : في أيّ باب تقرأ ؟

فقال : في أفعال القلوب .

فقال له : كم لك في القلوب أفعال !

ومن لطائفه أيضاً أن صاحبنا الشيخ مصطفى العجمي الحلبي ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، طلب من الشيخ إعادة « شرح المرادي على ألفيّة ابن مالك » . وكان به يعبده ، وهو بالطلب يتعمّده . فقال له عند تكرّر الطلب في النادي : مرادي منك نسيانُ المرادي . فعلم الإشارة من قوله هذا .

وآخرُ لفظٍ سمعته [منه]^(٢) حديثُ شريف . وذلك اني كنت

(١) ب ، ه « ستارة »

(٢) زيادة من ه

جالساً قريباً من باب السلسلة^(١) من جانب الإيوان الشرقي ، فرأيتُه مقبلاً من جهة حجرة أبيه منفرداً ، وعليه آثارُ الضعف . فاستقبلتهُ وقبلتُ يده . فدعاني وقال لي : رَوَيْنَا بالسند الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ ، وَتَأَدَّبُوا مَعَ مَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ . ومضى .

في اليوم الثاني دخل حمامَ السلسلة الكبير^(٢) وقَفَ الحائِقاهُ الشَيْصَاطِيَّةَ^(٣) ، فما خرج منه إلا ميتاً . فمات رحمه الله تعالى متطهراً متوَّراً ، ودفن في تربة حِضرة سيدي الشيخ رسلان^(٤) رضي الله عنه . وقبر أبيه هناك أيضاً . ولم تنظر عيناى مثل جنازته أبداً لاقبله ولا بعده . رحمه الله تعالى .

ورثاه الشيخُ محمد الصالحى الهلالي ، حفظه الله تعالى ، بقصيدة قافية حسنة ومطلعها :

سَفَحْنَا لِدُرِّ^(٥) الدَّمْعِ قَبْلَ عَقِيْقِهِ إِلَى أَنْ جَرَى الْوَادِي وَسَفَحَ عَقِيْقِهِ

(٨ ب) وهي قصيدة لطيفة في بابها . رحمه الله تعالى ورضي عنه .

وأنشدني هذين البيتين ولا أدري هل هما له أم تتمثل بهما وهما :

(١) هو الباب الشمالي في الجامع الأموي . انظر كتابنا مبعج الأماكن الطبوغرافية بدمشق

(٢) في الهارة الجوانية ، شرق المدرسة الاخنائية ، في الطويق الآخذة الى المدرسة

الشريفية الحنبلية . انظر كتابنا حمامات دمشق ص ٢٠

(٣) انظر عنها النعمي ٢ : ١٥١

(٤) تربة تقع أمام باب توما ، الى الشرق . (انظر خطط دمشق) تنسب الى

الشيخ أرسلان الدمشقي من كبار الصوفية الدماشقة في القرن السادس .

(٥) كذا بإدخال اللام على در .

قصدتُ أبا المحاسن كي أراه بشوق كاد يجذبني إليه
فلما أن رأيتُ رأيتُ فَرَدًا ولم أر من بنيه أبنا لديه^(١)

وله في مدح صاحبه وتلميذه الأمير عبد اللطيف بن منجك رحمه الله تعالى :

الآنمُ عينُ المسمي دليلُ قولي لمن شك

لطفٌ وظرفٌ حواءُ عبدُ اللطيفِ بنِ منجك

رحمه الله ورضي عنه وعن جميع العلماء العاملين .

(١) أي لم يجد لديه محاسن .

٦

الشيخ أحمد شهاب الدين القابوني

هو الشيخُ الصالح ، الفاضلُ الفالِح ، المقرئُ الفقيه ، السكاملُ النبيه ، تلميذُ شيخِ الاسلام الطيبي الكبير ، المذكور بين الأكبر والصغير (١) .

| كان من القابون الأعلى (٢) بالقرب من دمشق . فطلب العلم وتفقّه على مذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه . وغالب قراءته على الشيخ الطيبي المذكور (٣) .

قرأ عليه القراءات والفقّه والنحو والفرائض والحساب ، ولازمه مايزيد (٤) على ثلاثين سنة . وكان غايةً في الصلاح . والعجبُ أنه كان يؤمُّ في مسجد القابون الأعلى مدةً ويحضرُ الى دمشق كلَّ يوم لقراءةِ الدرس على شيخه المذكور ، ويطلع الى القابون بالبقاب ويعودُ الى دمشق . ولم يزل على ذلك حتى انقطع عن القابون ، واستقلَّ بمجدة شيخه المذكور وبمطالعة الدروس . الى أن درّس بالمدرسة الكلاسة (٥) بدمشق . وصارت له بقعةٌ تدريسٍ بالجامع الأموي ، وأمٌّ بالمدرسة السهاريّة (٦) بمحلة القيمرية ، وأعاد عند شيخ الاسلام البدر الغزي الآتي ذكره بالمدرسة التقويّة (٧) ، واستمر مُعيداً بها الى أن مات .

(١) ب ، هـ « المتقدم ذكره » بدلاً من « المذكور بين الأكبر والصغير »

(٢) قرية مشهورة من قرى غوطة دمشق . انظر : غوطة دمشق لكوذعلي

(٣) ماين الخطين القائمين ساقط من هـ

(٤) ب ، م « ولازمه على مايزيد »

(٥) انظر النعمي ١ : ٤٤٧

(٦) انظر النعمي ٢ : ١١٤

(٧) المصدر السابق ١ : ٢١٦

وكان دائماً يخاطبُ الشيخَ المذكورَ بعد تمامِ درسِ التفسيرِ بقوله :
أجزتم رضي الله تعالى عنكم لنُ حضر وسمع أن يرويه عنكم ، وجميع
ما تجوز لكم روايته بشروطه عند أهله ؟
فيقول له الشيخُ : نعم .

وكان دائماً يتلو محاسنَ شيخه الطيبي المذكور حتى كأنها وردت .
وكان يبكي عند ذكره .

حكى لي من لفظه أنه كانت له خزانةٌ صغيرةٌ بالجامع الأموي .
وكان الشيخ دائماً يجعل له الطعام من بيته بمحلة القيسرية الى الخزانة .
فيأتي من القابون فيجد الطعام فيأكله . ففي يوم من الأيام لم يكن عند
الشيخ طعام سوى الحمص المتبل ، فأحضر له منه حصّةً الى الخزانة وكتب
له ورقة صغيرة يقول فيها :

الأخ الأجد ، الشيخ أحمد^(١) ، يتصرف في الطعام ويعذر ، فابن أهل
الشام يقولون : أطيب الطيبات ، الحمص إذا بات .

وسار شيخنا العماذ الحنفي رضي الله عنه الى قرية بالمرج^(٢) ومررتنا معه ،
وسار معنا الشيخ الشهاب القابوني . وكانت الجماعة يتذكرون الأشعار الحسنة .
وكان (٩٩) الشيخ القابوني المذكور ساكتاً لأنه كان بالنسبة الى الشعر من
قوم لا يشعرون . فقال له شيخنا : يا شيخ شهاب الدين ! ما بالك ساكتاً ؟
فقال : اسمعوا لي ما أحفظه للبهاء زهير ، فأنشد :

مالي أراك أضعتي وحفظت غيري كل حفظ
فظ علي ولم تكن يوماً على أحد بفظ
هذا لعمرك أباك من جور الزمان وسوء حظي

(١) وردت هذه العبارة من قبل في الترجمة الثانية هكذا « الأخ العزيز الشيخ أحمد »

(٢) يقصد المرج الملاقق لقوطة دمشق .

فاستحسن الحاضرون منه ذلك ، وتعجبوا من كونه يروي مثل هذا
الشعر ، مع أنه كان دائماً يقول : أنا فقيهُ جبَل . وكان شيخنا يقول له :
نعم ، أنت جبَلٌ من حجر .

وكان يفرحُ بذلك ويقول : استغفر الله يامولانا .
الى غير ذلك من مكارم أخلاقه ، لازال فائزاً بالرحمة من خلاقه .
دُفن رحمه الله تعالى بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى .

٧

الشيخ الصالح المسلك الفالح الشيخ
أحمد بن سليمان^(١) الدمشقي الصوفي القادري

كان والد المذكور الشيخ سليمان رجلاً صالحاً يتقوت من كسب يمينه في نسج الصوف . وكان تشرف بدين الاسلام . وكان ولده الشيخ أحمد المذكور ينقل عنه كراماتٍ عجيبة يعلمُ الله تعالى حقيقتها . ونشأ ولدهُ هذا على مجاهداتٍ وعبادات . واستمر في محلة السلاحة^(٢) بدمشق . وانتقل الى القليجية^(٣) بدمشق . وعزل التراب الذي كان بها من بقايا الحراب في فتنه اللنك ، وقطن بها ، وأسكن في حجراتها^(٤) عدةً من الفقراء . وكان عاقلاً واسعاً ، قليل التردد الى الحكام . وكان يُقيمُ حلقة الذكر بالجامع الأمويّ يوم الجمعة بعد الصلاة عند باب الخطابة^(٥) . وكان يقيمها بالمدرسة المذكورة يوم الاثنين بعد العصر .

والمدرسةُ المذكورة تُعرفُ الآن بمزار سيدي سيف الدين . وسيف الدين هذا هو الأمير سيف الدين الاسفهلار الأمير الكبير المجاهد المرابط .

(١) انظر المحبّي ، خلاصة ١ : ٢٠٧

(٢) محلّة تقع اليوم من شمال قبر السيدة رابعة الى قرب باب السلامة . انظر كتابنا مجمع الأماكن الطبوغرافية بدمشق . وقد ذكرها ابن طولون في حارات دمشق .

(٣) انظر التميمي ١ : ٤٣٤

(٤) م « حجراتها »

(٥) انظر كتابنا مسجد دمشق

كان من الأمراء النورية . وكانت له فضيلة زائدة . ويطل على تربته شبتا كان ، على رأس كل واحدٍ منها حجرٌ فيه أسطرٌ منقوشة . فأما الأول فعليه من الكتابة هكذا : « قال ^(١) الأمير الكبيرُ المجاهدُ المرباطُ الاسفهلار [السعيد الشهيد] ^(٢) سيف الدين بن علي بن قليج [بن عبد الله] ^(٣) رحمه الله تعالى هذه الأبيات وأمر أن تُكتب على قبره . »

وعلى الحجر الثاني الأبيات وهي :

هذه دارنا التي نحن فيها دارٌ حقٌّ وما سواها يزولُ
فأعتمِرْ ما استطعت داراً إليها عن قريبٍ يُفِضي بك التحويلُ
وأعتمدْ صالحاً يُؤانسك فيها مثلما يؤنسُ الخليلُ الخليلُ

(٩ ب) واستمر الشيخُ أحمد المذكور بالمدرسة المذكورة مدة عمره . وكان يتعاطى الإصلاح بين الناس . وكانت له حَفْدَةٌ ^(٣) يأخذون بمنَّه يحضر عندهم بعض دراهم ويقولون : لأجل زيتِ الزاوية . وخلف الشيخُ ولداً صغيراً يُقال له عبد القادر . وهو من بنت قاضي القضاة ابن الفرفور . فإنَّ الشيخَ المذكور قد تزوج ثنتين من بنات الفرفور ، فأعقب من الثانية الولدَ المذكور . وهو الآن مقيم مع والدته وبعض أتباعهم بالمدرسة المذكورة . ويتعاطى الذكر على عادة أبيه .

وحاصل الأمر أنَّه كان من محاسن دمشق . وكانت له كلماتٌ في

(١) انظر *Répertoire d'épigraphie arabe* الجزء الحادي عشر : ١٧٨ ؛
وذيل ثمار المقاصد ص ٢٤٦ ؛ وخطط دمشق ص ٩٦ والمصادر
المذكورة فيه .

(٢) الزيادة من الكتابة نفسها التي وجدنا إليها . وانظر المصادر السابقة .

(٣) م « حضرة »

التصوف راقية ، وعبادات رشيقة فائقة . ودُفن في مدفن الأمير سيف الدين بالمدرسة المذكورة .

ولقد شاهدتُ له واقعة ربّما تدلُّ على كرامة . وهي أنّه كان له مريدٌ ملازمٌ له مدةً طويلاً يُقال له ناصرٌ بن عبدان . وكان ناصرٌ هذا دنيءَ المقام في أوّل أمره . فلما اختصَّ بمجْدمة الشيخ المذكور صارت له وجهةٌ بين الناس . فكان يُغلظ الكلام على بعضهم بسبب حضورهم للمصالحة . فأثر ذلك في خواطر بعض الناس حتى إن الشيخ نفسه كان ينصحه في ذلك فلم ينتصح . فلزم أنّ خاطر الشيخ تغيّر عليه ، فوقع بينها كلامٌ أدّى إلى سوء أدبٍ من ناصرٍ في حقّ شيخه . فقال له الشيخُ كلاماً معناه : يا ناصر ! أنت في حياتي ما عليك خوفٌ ، وإِنّما أخافُ عليك بعد وفاتي . فقال له ناصر المذكور : أنا بعدك ما أجلس في دمشق .

فلما انتقل الشيخُ بالوفاة إلى رحمة الله تعالى أفلح ناصرٌ عن بعض وقوعه في الناس ، ، ولكنّ الطبع أغلب . فصدرت ماجرية بين الشيخ عمر القاري والسيد محمد بن المرحوم السيد حسين بن حمزة بسبب وقف بني مزلق أدّت إلى مخاصمةٍ بينهما . وكان ناصر من أتباع السيّد محمد المذكور . فلم تزل نار هذه الفتنة تشتعل لأمرٍ يطولُ شرحها حتى أدّت إلى القبض على ناصر المذكور . وجعل القاضي محبّ الدين قاضياً ، وصدرت^(١) الدعوى على ناصر بأنّه مفسدٌ في الأرض . وأبوز المدعي عليه حكّمين سلطانيين بصلبه . وكتب عليه ما شهدت به الشهود الذين أحضروا للشهادة . فصلبه الباسا المذكور تحت قلعة^(٢) دمشق في سنة ثمان بعد الألف . فخطر للناس ما حذره به شيخه في حال حياته ، بل أخبرني بعضُ

(١) م « صارت »

(٢) انظر عن « تحت القلعة » نزهة الانام للبدرى ، ص ٦٢ - ٦٣ ؛ ومعجم الاماكن الطبوغرافية لنا .

الناس أنه أخبره بهذه الواقعة على الصورة التي حصلت ، فدلّ ذلك على كرامة الشيخ .

وبالجملة لقد طالت خدمته لطريق الله جلّ وعلا . وكان يلازم الإصلاح بين الناس ، وعظم صيته وارتفع قدره ، الى أن صارت الأمراء والحكام يقصدونه للزيارة . وكان رحمه الله تعالى من أحسن أهل الطريق في زمانه . رحمه الله رحمة وافية ، وأسكنه الجنة العالية (١٠ آ) ، بمنته وكرمه آمين . وكانت وفاة الشيخ أحمد المذكور في رمضان من سنة خمسٍ بعد الألف . رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وسقى قبره سحائب الرحمة الهامعة . آمين .

٨

الشيخ الصالح أحمد ابن الشيخ حسين ابن الشيخ حسن

الشهير بابن سعد الدين الجباوي الحوراني

كانوا أولاً في قرية جباً^(١) تبعاً لجدّهم الأعلى الشيخ سعد الدين الجباوي قدس الله | الله^(٢) سره العزيز ، فارتحل الشيخ حسن المذكور الى قرية يقال عنها بيت جن^(٣) : ثم ارتحل إلى دمشق فسكن في محلة القُبَيْبَات^(٤) وعمر هناك زاوية^(٥) وقطن بها .

فلما توفي الشيخ حسن المذكور جلس على سجاده ولده الشيخ حسين المذكور فطالت مدته ، وحمدت سيرته .

ثم لما توفي الشيخ حسين المذكور جلس على سجاده ولده الشيخ أحمد صاحب الترجمة . فنشأ غايةً في الدين والصلاح ، والكرم والفلاح . واشتهرت له كرامات بين الناس ، وكان في الكرم حاتم زمانه ، وفريد أقرانه . أخبرني عنه غير واحدٍ ممن رآه أنه كان يتعرّى من قميصه ويتصدق به . وكان متقللاً من اللباس إلى الغاية . وطالت مدته وهو شيخ على طريقة أسلافه . ومن طريقتهم أن الشيخ منهم يحضر إليه من يريد الإنابة

(١) قرية في حوران

(٢) ماقطة من هـ

(٣) ناحية في جبل حرمون المعروف الآن بجبل الشيخ . انظر كتاب الريف السوري

(٤) محلة تقع اليوم في الميدان الفوقاني . انظر كتابنا معجم الأماكن الطبوغرافية بدمشق

(٥) انظر عنها : ذيل ثمار المقاصد ، ص ٢٥٣ ؛ و

بين يديه فيجلسه أمامه ويقص له خصلة من شعر رأسه ويقول له :
أعاهدك عهد الله تعالى على أن تكون فقير الشيخ سعد الدين ، قدس
الله | (١) روحه ، على الدين والتقوى ، والحائز يحوئه الله تعالى . فيقول
المريد : نعم . ثم إن المريد يتواجد . وقد يقع على الأرض بعد التواجد
كالخشب . فيأتي إليه نقيبان يقولان له : قم على بركات الشيخ سعد الدين
قدس الله روحه . فيستغفر الله تعالى ويقوم . وهكذا يفعل كل مريد
لهؤلاء الطائفة عند الوقوع والتواجد .

ومن طريقهم أن الشيخ منهم يخط خطوطاً في ورقة لا يعلم منها
حروف في الظاهر ، ويدفعها للمريض فيأخذها معتقداً ، ويأمره الشيخ
بالحمية . وقد يقص له الورقة على مقادير صغيرة ويأمره بأن يشرب كل
يوم واحدة . وفي الغالب تنتج أوراقه ببركة السلف .

ويقال إن من كان ملهوساً من الجن يكتبون له ويحونه من
الزفر (٢) فيسفي .

وكذا يقال عن بعض المقعدين أنه يقوم بتعويذاتهم كما يأمرونه في
شروطها .

وحاصل الأمر أن طريقهم سائفة في بلاد الشام .

واستمر الشيخ أحمد المذكور ملازماً على الجلوس بزوايتهم بمحلة
القبيبات خارج دمشق الى أن توفاه الله تعالى في سنة ثلاث وستين وتسع
مئة . ودفن خارج (١٥ ب) باب الله بتربة (٣) القبيبات . وقبره هناك
معروف يُزار ويتبرك به .

(١) ساقط من هـ

(٢) تطلق هذه الكلمة في اصطلاح الدماشقة على المآكل الدسمة .

(٣) انظر كتابنا خطط دمشق ص ١١٨

وحكى عنه أهل زمانه كراماتٍ عجيبةً وأحوالاً غريبةً ، تدلُّ على أنه كان والياً على مصر (كذا) الولاية ، بالغا إلى رتبة العناية .

فمن جملة ما نقل عنه من الكرامات ما رأيتُه في الكتاب المسمى « بالمحمدية »^(١) في أحوال الفقراء السعدية . قال مؤلفها : سرنا معه إلى بيت المقدس في سنة ثمان وخمسين ، فبينما نحن سائرون في القرب من طبرية وإذا بغزال كبير مطرود دخل بين الجماعة فمَسَّ كوه . وإذا بعبدٍ أسود في يده خنجر مسلول ، وهو يقول : ابن الغزال ؟ فتقدّم ليأخذه قهراً . فقال الشيخ أحمد لبعض جماعته : اضربه على يده التي بها السكين . فضربه ، فوَقعت السكين من يده . وبيست يده حتى ما يستطيع تحريكها . فبكى وذهب إلى قريته وأتى بأهلها . وكان سيده شيخ القرية المذكورة . فطلبوا من حضرة الشيخ أن يرضى عن العبد . فقال : في الذكر . فطبخوا الغزال وأكلوا منه . وقام الذكر فدخل العبدُ الحلقة . ولما حمي الذكر كبَسَّ الشيخُ يد العبد فرجعت إلى ما كانت عليه . ووقع كبقية الفقراء . وصار من أصحابهم . فاعلم ذلك .

ثم جلس بعده على سجّادته أخوه الشيخ سعد الدين الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

٩

شيخ الإسلام مفتي الأنام أحمد بن يونس العيثاوي^(١)

هو^(٢) الشيخ الذي ظهر فقهه كالشمس في رابعة النهار ، وبهر صلاحه حتى علم به غالب أهل الأقطار . وهو مفتي دمشق وابن مقيتها ، وخطيبها وابن خطيبها . ووالده الشيخ يونس العيثاوي ، وسنذكره في حرف الباء إن شاء الله تعالى .

ورد أبوه من قرية عيثا - وهي من قرى بقاع العزيز - من نواحي دمشق الشام . ونشأ في بعض مدارسها ، ونشأ ولده صاحب الترجمة أحمد كاسمه ، مستقيماً كفهمة .

قرأ الفقه على والده ، وحاز به طارف المجد كتالده . ثم قرأ أيضاً القراءات وغيرها على الشيخ أحمد الطيبي الكبير . ولازم درس الشيخ النور السنفي المصري بتقديم السين ، حتى اجازته بالفتوى . ولما قدمت مع أبي من زيارة بيت المقدس في سنة ثمانين وتسع مئة حضرت إليه طالباً قراءة الفقه عليه . فقال لي : اقرأ « المنهاج » تقسيماً مع الإخوان ، وبذلك يحصل المرام بالعجلة من غير توان .

فقلت له : سمعاً وطاعة ، لا مخالفة لأمرك ولا إضاعة .

فمسرّعنا في القراءة على أربعة أقسام ، وكانت حصتي الربع الأخير

(١) انظر المحي ، خلاصة الاثر ١ : ٣٧١

(٢) يوجد اختلاف كبير في نص هذه الترجمة هنا ونصّها في ب ، ه . اثبتنا نص

ه ، ب في ذيل هذه الترجمة ، لهوازنة بينها .

من « منهاج النووي » الإمام . فأتمناه في مدّة قصيرة ، وحصلنا بقرآته فوائد كثيرة . وكانت القراءة بالمدرسّة الظاهريّة (١) ، المشروطة للشافعية . وكان صاحبنا (١١١ آ) البدر بن الموصليّ يحضر الدرس ، وله قسم خاص ، بل هو من أكبر القراء الحواص ، لأنه ابن أخت الشيخ أحمد المذكور . وسيأتي ذكره بلطف الملك الغفور . وهو اليوم في هذا التاريخ - وهو سنة تسع عشرة بعد الألف - مفتي دمشق على مذهب الإمام محمد ابن إدريس ، وواعظها وصاحب نصيحتها بالتحقيق من غير تليس . وقد أجازني بالفتوى من سنة ألف من الهجرة . ولن أنسى لطفه في ذلك ولا جبره . فإنّه خاطبني بذلك غير طالب ، وعدّ ذلك في اهتمامه به من أعظم المطالب . وصدرت منه لي لطيفة ، وذلك أنه اطّلع على أنني طالب للإحصان ، فقال لي : عندي حصان . وهي أخت أمّ أولادي ، وهما بنتا الشيخ محمود الصناديقي . فإن رمت أن تكون عديلي ، كما انك خليلي ، فاعزم على ذلك ، واجزم بما هنالك . فأجبتّه على سؤاله ، وتقربتُ الى كاله . وعقد نكاحي على أخت زوجته ، وكان ذلك من فضله وفي بيته . وبنيتُ بها في سنة اثنتين وتسعين وتسع مئة ، وجعل لي عرساً عظيماً ، وكان بي في الكلفة رحياً . لا يكلفني سوى الطاقة ، ولا يجعل في مطلوب صعب عليّ عاقبة ، بل كان يزن من كيسه مظهراً البشاشة لا التعبسية . وكان العرس في بيته القديم في حكر كمال الدين (٢) . ثم سكنتُ في بيت أهلي بمحلّة النحاسين (٣) . وحصل بقربه البركة ، في السكون والحركة . وكان قد ضعف واعتلّ ، وطالت ملازمته للفراش حتى ملّ . فأعدنا عيادته ،

(١) انظر النعمي ، ١ : ٣٤٨

(٢) لم أهدد الى معرفة مكان هذا الحكر اليوم .

(٣) كانت محلّة النحاسين مكان زقاق النقيب شمال المدرسة المقدّمية الجوانية بالعارة .

انظر معجم الاماكن الطبوغرافية .

وطلبنا من الله سلامته . فلما ظهرت عليه امارات الشفا ، حمدنا الله الذي
أعطاه الصحة وسقى . وأرسلتُ إليه هذين البيتين وهما :

شربَ المعالي وبَدَرَ^(١) الهدى ومن منه كلُّ الورى يستفيد
نذرتُ الصيامَ ليومِ الشفا وكيف يصومُ الفتى يومَ عيدِ

وقد قرأ عليه كثيرٌ من الفقهاء واستفادوا منه ، بل كلُّ مَنْ يطلب
الفرق على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه فإنه يأخذ عنه .
أخذ عنه الشمسُ الميداني أحدُ مَنْ يُبقي الآن بدمشق على مذهب
الإمام الشافعي رضي الله عنه .

وأخذ عنه أيضاً صاحبنا البدرُ الموصلي ، وهو ابن اخته ، وهو الآن
مدرس بالمدرسة الجوزية^(٢) .

وأخذ عنه أيضاً صاحبنا الشمسُ الجوخى المدرّس بالمدرسة الغزالية^(٣) .
وأخذ عنه كاتب الحروف الفقير حسن البوريني المدرّس بالمدرسة
الناصرية الجوانية^(٤) .

وأخذ عنه بليده الكمال العيناوي الشافعي . وهو أيضاً يتعرّض
للقنوى على مذهب الشافعي .

وبالجملّة فهو مفتي دمشق وواعظها ، وبركتها وإمامها ، ومرجع أهلها
في الأمور الدينية . وإذا أُجذب أهلُ دمشق فهو الذي يصلّي بهم صلاة
الاستسقاء ، ويخطب (١١ ب) خطبة الاستسقاء . وهو اليوم قاطنٌ بالتربة

(١) م «وب»

(٢) انظر النيمي ، ٢ : ٢٩

(٣) انظر المصدر السابق ١ : ٤١٣

(٤) انظر المصدر السابق ١ : ٤٥٩

الأشرفية^(١) . الملاصقة لجامع بني أمية من الجهة الشمالية . جعل الله في عمره البركة ، وأعطاه التوفيق في السكون والحركة ، إنه سبحانه سامع الأصوات ، وبجيب الدعوات^(٢) .

(١) انظر النعمي ٢ : ٢٩١ .

(٢) وهما هو ذا نصّ الترجمة كما ورد في ه ، ب . انظر ما ذكرناه في مقدمتنا عن الاختلاف بينها :

شيخ الاسلام احمد العيثاوي

هو أحمد بن الشيخ العلامة شيخ الاسلام يونس العيثاوي ، نسبة الى عيثا ، قرية من قرى البقاع العزيز من نواحي دمشق الشام . كان والده المذكور قدم من قريته المذكورة كما سيأتي تفصيل حاله إن شاء الله تعالى . وولد له أولاده منهم الشيخ أحمد المذكور . وهو حيّ إلى يوم تاريخه . فتفقّه على والده ، ولازم درسه كثيراً ، ثم قرأ في الفقه على شيخ الاسلام النور السنفي المصري الآتي ذكره إن شاء الله تعالى . ولازمه مدة طويلة حتى برع في الفقه ، وأجازته بالفتوى . وقرأ على شيخ الاسلام الشهاب الطيبي الكبير المتقدم ذكره . ودرّس بعدة مدارس منها : العمورية بصاحية دمشق ، ومنها العزيزية بالقرب من الجامع الأموي ، ودرّس آخراً بالظاهرية الشافعية وجامع بني أمية .

وهو أحد الوعاظ بدمشق بالجامع الأموي . ويغلب على وعظه تعليم الفروع الفقهية ، وتقرير الأحكام الضرورية .

اجتمعت به في سنة سبع وسبعين وتسع مئة . ولازمته في تقسيم المنهاج في الظاهرية مع جماعة من الفضلاء وانتفعت بدروسه . وانتفع به خلق كثير ، سيأتي ذكرهم بمصنوعهم إن شاء الله تعالى .

والتألب عليه السكون ومكارم الأخلاق والحلم والشفقة على الغريب .

وله من نحو سنة أربع وثمانين وتسع مئة الى سنة تاريخه ، وهي سنة تسع بعد الألف ، يُفتي على مذهب الامام الشافعي . وفتواه مقبولة ، وإلى الألفاق منقولة ، وإلى الحكم محمولة .

وهو من محاسن مصر . وقدّم مرة إلى خطبة الاستسقاء بدمشق في زمن الأمير حسن باشا ابن الوزير الأعظم محمد باشا . فخطبها في جامع المصلّي خارج دمشق . وحضره الأمير المذكور بنياح ليست مُكلّفة . وحضره أهل دمشق . وخطب أيضاً -

- خطبة استسقاء في سنة ثمان بعد الألف في سطح المزة ، وفي مسجد المصلى حصلت الإغاثة بمون الله تعالى .

وإليه مرجع الفتوى يومئذ بدمشق .

وقد عادلته في تزوّج أخت زوجته . والأختان بنتا الرجل الصالح الشيخ محمود ابن الشيخ أحمد الصناديقي رحمهما الله تعالى . وكان ذلك بإشارته . وصدر المقدّم بمنزله المعمور بدمشق ، في حلّة حكر كمال الدين . وحصلت جمعية العرس بمنزله المذكور أيضاً ، وكان سعيه في ذلك مشكوراً . شكر الله سعيه في الدارين .

ومرض مرة مرضاً شديداً ، ورجف الناس به . واتفق أن الله شفاه وعافاه ، فكتبتهُ إليه مهنثاً شعراً :

شهاب المعالي وربّ الهدى ومَن منه كل الورى يستفيد

نذرت الصيام ليوم الشفا وكيف يصوم الفقى يوم عيد

وهو اليوم مفتي دمشق وامامها وواعظها وناصحها ومتمقدها .

١٠

شيخ^(١) الاسلام الشيخ أحمد
ابن أبي الوفا ابن مفلح الحنبلي الدمشقي

هو الشيخُ الفاضلُ ، والعالمُ الكاملُ ، بركةُ الأنام ، ومقتدى^(٢) أهل الشام . له السكونُ والحلمُ ، والعبادةُ والعلمُ . وله الآثارُ الحسانُ ، وتلاوةُ القرآن .

اشتغل على عدة مشايخ بدمشق منهم شيخنا شيخُ الاسلام الشيخُ أبو الفداء اسماعيل النابلسي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى | وقرأ في الفقه على شيخ الاسلام الشيخ موسى الحجازي صاحب « الاقناع » ، وعلى بقية تلك الطبقة من ذوي الانتفاع |^(٣) . وبرع في أنواع العلوم ، وأحاط بفنون المنطوق والمفهوم ، مع السيرة التي تُذكر^(٤) الحسَنَ البصريَّ وأمثاله ، وتحسَّن من كل موقفٍ أحواله . متقلِّلٌ من اللباس ، متجنبٌ غالب الناس . لم يمل إلاَّ الى عبادة ، ولا تراه إلاَّ في محرابٍ أو على سجادة .

وهو من بيت مفلح البيت الشهير بالعلم الكثير ، المعروف بالتصنيف والتأليف بين الكبير والصغير . من أجداده شيخ الاسلام البرهان بن مفلح صاحب « الفروع » وغيره من بني مفلح المفلحين ، والعلماء العاملين ، والقضاة

(١) في ب « مولانا وسيدنا شيخ الاسلام ... »

(٢) ب « معتقد »

(٣) ما بين الخطَّين القائمين سائط من ه ، ب .

(٤) ه ، ب « تذكر الانسان بالحسن »

العادلين . لم تُعرف له صوبةٌ ، ولا نُقِلتْ عنه كبوةٌ . ملازمٌ على تعليم العلوم بأنواعِها ، وتقويم الفنون بأوضاعها . له المتانةُ الجيدةُ في علمي الفرائض والحساب ، والإحاطةُ الشاملةُ في الفقه بلا ارتياب . مع المهارة في علم العربية ، وحفظ التواريخ النقلية ، وغير ذلك من بقية العلوم .

وبالجملة فهو مقفي الحنابلة في هذا الزمان ، واليه مرجع المشكلات في مذهب الامام أحمد عليه الرضوان .

درّس بعدة مدارس بالشام . وهو الآن مدرّس بدار الحديث (١) بصالحية دمشق بالقرب من المدرسة الأتابكية (٢) . وله بقعة تدريس بجامع بني أمية . وله مصاهرةٌ مع الشهاب العيثاوي المذكور قبله . وما تأهل من نسله إلا لكونه أهله . وبالجملة فيها الأحمدان المحمودان . لهما الدين الكامل ، والعلمُ الشامل ، والفلاحُ الشهير ، والعلمُ الغزير .

ولقد شهدتُ له مجلساً يفتخر به زمانه ، ويبتهج به أقرانه ، وذلك أنه لما انتقل بالوفاة القاضي محمد سبط الرُّجَيْحِي الحنبلي ، وكان أكبر قضاة الحنابلة بدمشق ، انحلَّ مكانه وبقي زماناً بغير قاضٍ . وكان قاضي القضاة بدمشق مولانا مصطفى افندي ابن مولانا حُسَيْن افندي [ابن مولانا سنان افندي] (٣) صاحب « حاشية التفسير » . فاستدعى الشيخ احمد صاحب الترجمة ليُجعله قاضياً في منزلة سبط الرُّجَيْحِي المذكور . (١٣ آ) وكنتُ أحد الحاضرين بالمجلس . فبالغ في ملاحظته ليقبلَ منصب القضاء فامتنع ، وألحَّ عليه القاضي فترتّم وما اتخدع . وبالغ الحاضرون في الطلب ، وبالغ هو في الهرب ، حتى إنه قال آخرأ :

(١) هي دار الحديث الأشرفية البرانية ، انظر النعمي ، تنبيه ١ : ١٢٩

(٢) انظر المصدر السابق ١ : ١٢٩

(٣) الزيادة من ٥ ، ب

يامولانا ! أنا رجل ثقيل السمع لا أسمع ما يقول المتداعيات بسهولة وذلك يقتضي صعوبة فصل الأحكام ، بين الأخصام . ولم يزل يتلطف بالقاضي حتى عفا عن ذلك الطلب ، وقضى من امتناعه العجب . وخرج من عنده خائفاً من تكرار طلب القضاء . فأيد الله عليه الرضاء وأحياه وحيّاه ، وأعطاه وإيانا في الجنة مناه .

|^(١) ولعمري إنّه شيخُ المذهب والمتحلّي من التقوى والعبادة بالطراز المذهب ، السالكُ من طريق الصّلاح في أقوم مذهب ، الذي عطر الكون نسيم لطفه مُدْهُبٌ . قد علا قدره ، وسما فخره ، ومع ذلك يتواضع للكبير والصغير ، ولا يقيم في الغالب إلاّ بأمور الآخرة . وهو مع ذلك واسعُ الانفاق ، موصوفٌ بالإرفاق ، من أوقافِ نالها ، وأدرك منالها . وذلك لامرأةٍ تزوجها من بنات ذوي الأوقاف ، واستولدها فأدركته بذلك الألفاظ . وصار يقسم غلتها ، ويسدّ من نفسه خلتها ، لطفاً من الله بعباده الصّالحين ، وإحساناً منه لحزبه المفلحين .

وهو الآن مفتي المذهب الأحمديّ ، والقائمُ بفروض البيت المفلحي . وله شعرٌ قليلٌ أنشدني ولده سيدي عبد اللطيف منه هذه الأبيات :

شبيهةٌ بدو التيمّ بالله أنجزني وفاءً لمشتاقٍ به الضنكُ والبلوى
لقد ضاقَ ذرعاً بالعباد ومن يكن محباً لليليّ لا تليقُ به الشكوى
رعى الله أيامَ الوصالِ وعطفها عليّ فما أحلى سناها وما أشهى

أخبرني الشيخ أحمد المذكور من لفظه أنه ولد في سنة خمسين تقريباً . كذا أخبرني بذلك في غرّة سنة اثنين وعشرين وألف في منزلي بمحلة النحاسين | .

(١) كل ماسيأتي سائط من ٥ ، ب . يبدو أن هذه الزيادة أضيفت بعد سنة ١٠٢٢ هـ كما ستري .

الشيخ أحمد الشويكي

هو الشيخ الفاضل ، العالم الكامل ، القاضي شهاب الدين أحمد الشويكي الحنبلي . وهو من بيت نجابة ، وفتوى وخطابة .

وُلد بصالحية دمشق الشام وكان يحفظ القرآن العظيم ، وحفظ « المنع » أيضاً على مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه ، واستمر نحو ستين سنة يُفتي على مذهب الإمام المذكور فما عُرفت له زكته ، ولا أبطل أحدٌ نقله . وتولّى القضاء نيابة بدمشق مدةً مديدة ، وأعواماً عديدة . وترك الصالحية في أواخر عمره (١٢ ب) وقطن بدمشق قريباً من الجامع الأموي ، وخطب مدة طويلة بجامع منجك^(١) بمحلة ميدان الحصار . وكان صوته حسناً وتلاوته حسنةً . وامتحن في عمره مرّات . وسافر إلى قسطنطينية في بعضها ، وسُرقت ثيابه وما كان يملك غالباً في منزله بدمشق ، ويُقال إن ذلك بسعاية صبيٍّ روميٍّ يُقال له أحمد العقّاد . كان الشيخ المذكور مال إليه ثم تركه . وكان رحمه الله تعالى يُنسب إلى نوعٍ مساهلةٍ في الدين ، وإلى قلّةٍ عفةٍ في الفتوى والقضاء . فذاق بذلك ماضق به صدره ، ونقص بين الناس قدره . ولقد صار ممثلاً مشهوراً بتجويز بقاء التزويج بعد الطلاق الثلاث . وقرّر بعد ذلك لأزواجهنّ كثيراً من الأناث . وكان يحكم ببيع الأوقاف ، ويرتكب في ذلك طريق

(١) هو في الميدان الفرّاني . انظر النيمي ٢ : ٤٤٤ ، وذيل ثمار المقاصد ص ٢٥٥ .

الاعتساف . فصار آخر عمره مذموماً ، متروكاً مصروماً . ولقد كانت العوام يضربون المثل بردة الطلاق البائن ، ويعدون له ذلك من جملة المحاسن . غير أنه كان غزير العلم ، سريع الفهم ، فصيح العبارة ، جميل الشارة ^(١) . يتوقد ذكاؤه ، ويتفجر سخاؤه . سلم له فقهاء مذهب أحمد ، ورأوا الانقياد لما يقوله فيه أولى وأحمد . وحل ^(٢) الى مصر فاستفاد بها ما أراد . ورجع منها فايزاً من العلوم بالمراد .

كان ابتداء اجتماعي به في المدرسة الحاجية ^(٣) بالصاحية المحمية . وهو إمامها في سنة خمس وسبعين وتسع مئة . ورأيته يُقريء بعض الخبالة متن « المقنع » إقراءً حسناً . وأظهر للعاشرين فصاحةً ولَسْنَا . وتقلبت به الأحوال وأحاطت به الأهوال ، حتى فارق وطنه بالصاحية ، وقطن بدمشق طالباً أن يسلم من البرية .

ولقد اجتمعت به على إثر محنة صدرت له من بعض الأعداء فشكا ، وحكى وبكى . وأنشدني لأبي تمام معدّ أخي ^(٤) الملك العزيز (كذا) العلوي الفاطمي قوله :

أما والذي لا يعلم الأمر غيره
ومن هو بالسر المكتم أعلم
لئن كان كتمان السرائر مؤلماً
لأن إعلانها عندي أشدّ وألم
وبي كل ما يصيب الحليم أقله
وإن كنت منه دائماً أتكتّم
وتوفي في ستة بعد الألف في يوم عرفة من السنة المذكورة عن نحو
سبعين سنة ، وُدفن بصاحية الشام رحمه الله تعالى .

(١) ب ، هـ « الاشارة »

(٢) هـ « دخل »

(٣) انظر النسيبي ١ : ٥٠١

(٤) م ، هـ « آخر »

الشيخ أحمد ابن الأكرم

هو مولانا وسيدنا العريقُ الاصيلُ ، صاحبُ المجد الأثيل ، والمكارم العبية ، والألطف الغزيرة الجسمية ، الذي كان له من شهرته بالأكرمية أوفى نصيب . ومن الساء كما قيل تنزلُ التسمية والتلقب ، (١٣ آ) فهو الكريمُ ابنُ الأكارم ، والعظيم ابن الأعظم .

كان والده الشيخ محمد بن كريم^(١) الدين بن الأكرم ، في أواخر دولة الجراكسة أميراً من أمراءهم ، وكبيراً من كبارهم ، فلما ذهبت دولة الجراكسة وجاءت دولة الأروام أعطاه السلطان سليم الفاتح لبلاد العرب زعامةً بأربعين ألف عثماني فاستمر مباشراً لزعامته ، ومؤدياً لما يلزم من خدمته . الى أن عيّنوه خادماً للسلطنة في جميع أموال العرب فكتب مكتوباً الى حضرة الشيخ العارف الشيخ علوان الحموي قدس الله سره العزيز يذكر فيه استناده اليه بعبارات حسنة ، وإشارات مستحسنة . ولوّح في المكتوب المذكور الى ما هو مبتلى به من خدمة السلطنة ، وأشار الى استفهامه عن هذه الأحوال هل يخلص صاحبها عند الله تعالى . فكتب اليه الشيخ علوان الحموي روح الله رُوحه مكتوباً يقول فيه : ولا بأس بخدمه السلطان إذا كانت على طريق الاستقامة وأيضاً فإن الرأي أن تكونَ حيث أنزلك . حتى يكون الله عنه نفلك . [وايضاً فإن الله

(١) « بن القاضي كريم ... »

لو لم يُرد لك هذا الأمر الذي أنت فيه ماسهله لك . وساق من ذلك
فصلاً . وكتب بعده في حاشية المکتوب [(١)]
ومع ذلك فإني أقول :

سُجِبُوا لطيبِ ألسنتهم ياليتهم كانوا صموت
موتُ النفوس حياتها من رام أن يحيي يموت

فلما وقف على هذين البيتين علم الإشارة ، فنزع ثيابه كلها وعنق
بماليكه . ودخل في عدلٍ تخين لبسه ، وجلس في محلة العنابة (٢) في
مسجد العين (٣) ثلاثة أيام لا يكلم أحداً ، ولا يأكل ولا يشرب ، وترك
الزعامة والدولة .

واستمر في بيته بمحلة العنابة جالساً منفرداً عن الناس لابساً ثيابَ
الصوفية ، الى أن توفاه الله سعيداً ، ولكنه قصد السلطان سليمان ، عليه
الرحمة والرضوان ، لما قدم الى مدينة حلب . فأعطاه في جوالي دمشق
أربعين عثمانياً . واستمر يتناولها الى أن مات .
وكانت طريقته في التصوف علوانيةً بشكوى الخواطر (٤) من المرید
والجواب عنها من الشيخ .

أخبرني صاحب الترجمة الشيخ أحمد أن والده اجتمع بالشيخ عمر
العُقَيْبِي عند الشيخ علوان ، وكان الشيخ عمر خليفةً للشيخ علوان . فقدم
الشيخ علوان ابن الاكرم على الشيخ عمر وقال له : يا ولدي يا عمر ! لا يكن
عندك في القلب شيء من تقديم ابن الأكرم فإنه خرج عن أربعين مملوكاً

(١) الزيادة من ه ، ب

(٢) تقع هذه المحلة خارج باب السلامة ، ويوصف هوؤها بالجودة .

(٣) لعل هذا المسجد هو المسمى بمسجد المنابة الذي ذكره ثمار المقاصد ص ١٤١ .

(٤) ه « يشكو الخاطر » ، ب « بشكوى الخاطر »

بجوانص الفضة . وأما أنت فإنك خرجتَ عن قطعةِ خشبٍ ، وهي التي كنت تقطع عليها المداسات . فهتته أعلى من همتك .

ونشأ ولده هذا أحمد شهاب الدين سالكاً في طريق أرباب العلوم ، باحثاً عما يبحثون عنه من منطوقٍ ومفهوم ، فدرس بالمدرسة الجفقيّة (١) بدمشق الحمية ، شمالي جامع بني أمية . ودرس آخراً بالمدرسة المقدّمية الجوانية (٢) ، المنسوبة الى مَنْ هو منتسبٌ إليه . وهو أمير الأمراء شمس الدولة بن المقدّم ، الذي كان من كبراء أمراء الملك العادل نور الدين الشهيد [ثم صار من كبار الأمراء الصلاحية . وحجّ فوق بينه وبين أمير الحجّ العراقي طائتكيين . فضرب ابن المقدّم بسهم وقع في عينه فمات من غده .] (٣)

وكان الشهاب هذا ساكناً بمحلة القيمرية ، في بيوت ابن الحارة . ثم عنّ له آخراً أن يسكن بالمدرسة المقدّمية المذكورة [لأنه كان يُدعى الشهاب الأكرمي ، هذا لأنّ تدريسه بالمقدّمية كان عن وراثة وشرط واقف ، وأنه من الذريّة . وأظهر على ما ادّعاه عدّة تمسّكات . وولده الشيخ مجد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الميم مدرّس بها اليوم بالمشروطية أيضاً . فلما ثبت تدريس المقدّمية بيد الشهاب المذكور ، شرع يعمّر لنفسه وأولاده بها مساكن ، لأنه لم يكن مالكاً في دمشق بيتاً ، لكون بيوتهم كانت بمحلة العنابة كما سبق ذكره [(٤) فغير صيفتها (٥) في الجلة لما في كتاب الوقف الذي بيده ، أن المتوليّ على الوقف من

(١) انظر النجمي ١ : ٤٨٩ .

(٢) انظر المصدر السابق ١ : ٥٩٤ .

(٣) الزيادة من ٥ ، ب .

(٤) الزيادة من ٥ ، ب .

(٥) هـ « صفتها »

الدرية يتصرف في ذات المدرسة وفي أوقافها وجهاتها كما يريد . وكان تغيير الصيغة المذكورة في زمان قضاء مولانا أحمد افندي الأنصاري . فسمع بتغييرها فأرسل نائبه مصطفى أفندي ، وهدم منها مائتة أنه تغير عن الترتيب السابق . وقد حضرت الكشف على البناء المذكور ، ورأيت صنّاع البناء وهم يهدمون بعض جدرانها . والشيخ أحمد المذكور يلومه في ذلك ويقول له : اصبر . تَأَنَّ يا مصطفى افندي ! . وهو لا يبالي بذلك .

ثم دخل الناسُ بينه وبين القاضي المذكور فرضي أن تكون العمارة المذكورة وفقاً على المقدمة أيضاً ، يتصرف فيها مَنْ يأتي بعده من المدرّسين والمتولّين كما يتصرفون في بقية أوقافها . وكتب بذلك تمسك شرعي . وشُرع في البناء كما أراد ثانياً . [فعمل بها قاعة داخلية وقصراً منيفاً على دهليز المدرسة . وفعل ما فعل . وسكن بها مدة دون السنة .

[وكان في نفس الأمر من عجائب الدنيا ، لانه كان مع هذه الصفة التي وصفناه بها من العلم يتزيّاً بزيّ أكابر العلماء الرؤساء . وكانت له همة | عالية |^(١) .

[ومن لطائفه أنّه كان حاضراً مرّة في جمعية عرس . وكان حافلاً جامعاً للعلماء وغيرهم . فقرأ الشيخ بعث الله الأعمى المصريّ ، قارىء الموالد بدمشق ، قوله : فظهرت أنوار سيد المرسلين ، بنصب سيد المضاف إليه ، مع وجوب خفضه . فقال الشيخ يوسف العلوي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى : انوار سيد المرسلين ، بجر سيّد ، لكونه مضافاً إليه ، والنصب لحنّ من القاريء . فقال له الشيخ أحمد صاحب الترجمة : اسكت ! لفظ سيّد هنا منصوب على العظمة . وسمع ذلك غالب الحاضرين من العلماء .

وكان ذلك سبباً لانبساط نفوسهم وذهاب كدرهم وبؤسهم فسمّاه علماء عصره بعد ذلك : المنصوب على العظمة .
[وله لطائف من هذا النوع كثيرة .

[وكان مع ذلك من أكرم الناس نفساً ، له مكارم أخلاق وافرة ، ونجملات فائضة متكاثرة ، مع الحشمة الزائدة والأنفة المتزايدة .

[وكان قد تولّى الخطابة بجامع السلطان سليم بصاحية دمشق فلما وضع رجله اليمنى على الدرجة الأولى سقطت وساخت تحت رجله وسمع لها صوت عالٍ سمعه كل من بالمكان . وتحدث الناس بذلك ، واشتهر وانتشر ، حتى كان سبباً لانفصاله عن منصب الخطابة . فنظم كل واحد من فضلاء دمشق في ذلك أبياتاً يخبرون فيها بالواقعة ، فمنهم الشيخ شمس الدين ابن المنقار الآتي ذكره ، إن شاء الله تعالى ، فإنه قال في ذلك شعراً :

خُصِفَ الجَامِعُ السَّلِيمِيُّ لَمَّا حَلَّ فِيهِ الخَطِيبُ جِهلاً بِشَاشِهِ
وَعَدَا قَائِلاً وَيُنشِدُ جِهراً هَدَنِي جِهْلُهُ وَجَرُّ قَاشِهِ

والأولى السكوت عن بقية ما كُتِبَ في هذه القصة من واقعة الحال وحال الواقعة ، لأنّ بعض أبياتها يوحش لفتحها سامعه ، ويقتضي أنه يسدّ مسامعه . ومثل ذلك لا يُنْقِصُ مقداره ، ولا يطفئ أنواره ، فما زالت الأشراف تُهَجَى وتمدح . [(١)

ولقد رأيتُ عجيبة (٢) من الشهاب أحمد المذكور . وذلك أن قاضي القضاة أحمد أفندي الأنصاري المذكور طلب منه أصل كتاب الوقف

(١) الزبادات من ٥ ، ب

(٢) ٥ « عجباً »

الذي يتعلّق بالدرسة المقدّميّة . فقال له : سأحضره . ثم حضر إليه بعد أيتام .

فقال له : ابن كتاب الوقف ؟

فقال له : يامولانا : لنا قريب يُقال له الشيخ أبو البقاء ، وهو مجذوب في الجملة ، وكان كتابُ الوقف عنده فوضعه في إناءٍ به قَطْرُ نبات . فلم يزل في الإناء حتى امتزج بالقطر وصار بمنزلة التّفاح الذي يتربّى في القطر فكان يأكلُ منه كلّ يوم حصّة حتى أتى على آخره أكلاً . فهو في باطن الرجل المجذوب . وما عنده إلاّ نسخٌ منقولة من أصل كتاب الوقف المذكور الذي صار ممتزجاً بالقطر .

فضحك القاضي من هذه القصة .

وكان رحمه الله تعالى كريم الاخلاق جداً ، كنت جالساً عنده في الحجرة الخليليّة التي كانت سكن الشيخ بدر الدين الغزّي ، في الجانب الشرقي من جامع بني أميّة . وأُذِن لصلاة العصر وأقيمت الصلاة .

فقلت له : يامولانا قد أقيمت الصلاة ، أفلا نطلع الى الصلاة مع الجماعة ؟

فقال لي : اسمع ، الشيخ ابراهيم فقه المؤذّن يشتمني ويدعو عليّ ، وهو يظن أنّي لستُ بالحجرة . (١٤ آ) فإن طلعتنا في هذا الوقت وأنا فيحصل عنده حجاب ، فالأولى أن نصبر الى أن يذهب ونصلّي بعد ذلك مع الجماعة الثانية .

فقلت له : يامولانا هذا غاية مكارم الاخلاق .

فقال لي : هو رجلٌ كبير والأولى الإعراض عن ما يصدرُ منه مطلقاً .

واتفقتُ لي معه في ذلك المجلس لطيفةً . وهي أنّ الشيخ ابراهيم ابن

شيخ الاسلام البدر الغزّي حضر عنده في الحجرة المذكورة فجاء يجلس

من تحتي فجذبته من كتمه وأجلسته فوقى . فنظر إلى الشيخ الشهابي المذكور
وتبسّم ، وأنشده (١) :

وأكرم أحداق الحدائق منشداً لعين تجازى ألف عين وتكرّم
كانت يُشيرُ بذلك إلى أن إكرام الشيخ ابراهيم المذكور لأجل
والده شيخ الاسلام البدر الغزي .

| ولما هدم القاضي أحمد الأنصاري البناء الذي أحدثه في المدرسة المقدّمية
الجوانية غير عمامة البيضاء الحسنة بعمامة من الصوف المسمى بالئزر ،
وترك شعر رأسه ، وربّي له ذوائب من الشعر الأبيض ، وكانت بارزة
من جانبي رأسه . وكلّ ذلك كان من صلاحه وعدم تقيده بأصطلاح
الناس . فرحمه الله رحمة واسعة (٢) |

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة ، ودُفن عند
تربة أبيه بمرج الدّحداح في الجانب الغربي من قبر أبي شامة . رحمه الله
تعالى وأعطاه في الدنيا (٣) الكرامة . آمين .

(١) هـ « وأنشده »

(٢) من قوله : ولما هدم الى هنا يختلف عما ورد في هـ . وهذا نصّ هـ : « وكان
قبل هدم المدرسة كما سبق ذكره يلبس العمامة البيضاء الحسنة . فلما هدمت المدرسة
عدل عن لبس العمامة البيضاء الى لبس الئزر الصوف الذي يلبسه صوفية زماننا
وترك له ذوائب شعر من جانبي رأسه . فبقي من أعاجيب المخلوقات . رحمه
الله تعالى رحمة واسعة » هـ

(٣) هـ « الدارين »

١٣

الشيخ^(١) أحمد بن عبد القادر بن المعمار الدمشقي الشاغوري العوفي
- نسبة إلى عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه - الشافعي

هو الشيخُ الصالحُ ، الكاملُ الفالحُ . العالمُ الفاضلُ ، الفقيهُ النبیه .
كان والده الخواجا عبد القادر من أغنياء دمشق ومن ذوي الثروة . ونشأ
الشيخُ أحمد هذا طالب علمٍ . قرأ في الفقه على مذهب الإمام الشافعي
رضي الله تعالى عنه على الشيخ تقي الدين القاري الآتي ذكره إن شاء
الله تعالى . وحصل فيه طرفاً صالحاً ، لكن توفي والدُه وسنّه سبع عشرة
سنة . وهو في قلب الاشتغال بالعلم . فاشتغل بعائلتهم ، وكانت كثيرة .
فلزم أن خفّ اشتغاله ففاته ما كان يرجوه من الارتقاء الى الدرجة العالية
من العلم .

أخبرني ولدُه المرحوم الخواجا محمد بن المعمار أنّه كان يقوم غالب
الليل في العبادة ، وأنه عاشه ما يزيد على خمسين سنة فما علم له كبيرة
ولا صغيرة .

ومن فضائله أنّ قاضي القضاة محمد بن شيخ الاسلام المفتي أبي السعود
رضي الله عنه الآتي ذكره إن شاء الله تعالى لما كان قاضياً بدمشق دعا
الشيخ أحمد المذكور والتبس منه أن يكون نائباً^(٢) في القضاء على مذهبه .
فامتنع ، (١٤ ب) وألح عليه فما انغمر بالدنيا ولا اتخذع .

(١) ٥ ب « مولانا الشيخ ... »

(٢) ٥ « قاضياً »

وأخبرني سبط الرّجعيّ القاضي محمد الحنبلي أنّه ذهب الى بيت الشيخ أحمد المذكور مع القاضي كمال الدين الحزاوي وجماعة من أعيان دمشق وأخّثوا عليه في قبول القضاء من قاضي القضاة المذكور ، فاعتذر اليهم وصمّم على الامتناع وحمه الله تعالى .

توفي في شهر رمضان سنة أربعٍ وثمانين وتسع مئة . وأولادُ أولاده ونسله الى الآن بمجلىّة الشّاعور^(١) بدمشق وهم من أعيانها كثر الله منهم ومن المسلمين أجمعين آمين .

(١) علّة بالباب الصغير بدمشق مشهورة وهي في ظاهر المدينة (مجمع البلدان)

١٤

الشيخ أحمد بن قاسم المصري

شيخ الإسلام على الإطلاق ، وعالم العصر بالاتفاق ، الجامع بين العلم والدين ، الممدود من أهل الوصول بيقين . الأسعد الأجد ، مولانا الشيخ أحمد بن قاسم المصري .

المحقق المدقق المقرر المحرر ، من قاسه أهل زمانه بالسعد^(١) والشريف . وكان زمانه بسعد شرفه متصفا بغاية الشريف .
رجلٌ كان غالبُ أوقاته مصروفة في تحصيل الثواب ، إما بالبحث عن العلم أو بطلب الرضوان من الملك الوهاب .

نشأ بمصر وبها ولد وطلب العلم بها وتصدر للإقراء والتأليف ، والتعريب والتصنيف ، وعمّر عمراً^(٢) طويلاً . نال به خيراً جزيلاً . كيف لا وهو لا يصرفه إلا في مدارسة أو مؤانسة ، أو إفادة أصل أو مقايسة . كان غاية في العلم والعمل . ونهاية في أوصاف تبتهج بها الدول . ما قدم أحد من مصر إلى الشام إلا وصفه بأنه مفرد الأنام ، وابتهاج الأتباع ، وعلم العلماء الأعلام . كان - مع أنه كان في المكان الأعلى من التحقيق ، وفي الحل الأسنى من مراتب التدقيق - يحضر إلى مجلس الاستاذ البكري في التصوف ، من غير تحجب ولا توقف ، ويرى فوت ذلك سبباً للتأسف ، وداعياً إلى عظيم التلهف . وكان أيضاً يحضر في

(١) يعني السعد التنفازاني والشريف الجرجاني . وفي ب « السعد الشريف »

(٢) ساقطة من ه

حلقة الشمس الرمليّ فقيه الزمان ، وشافعيّ الدوران . وكان جلوسه خلفه للتعظيم ، ويلتفت إليه عند الخطاب والتكليم ، ولقد صنّف « حاشيةً على شرح جمع الجوامع في الأصول » . جمع فيها بين تحقيق المعقول وتحرير المنقول . سمّاها « الآيات البيّنات » . يجمع فيها بين الحاشيتين للكمال ابن أبي شريف وللقاضي زكريا . وله بينها المحاكمات العادلة ، والإفادات الشاملة .

واجتمعت بالمولى الفاضل ، العالم الكامل ، مولانا توفيق أفندي ، العالم الربّاني المنسوب إلى بلدة سيدي عبد القادر الكيلاني . وكان اجتماعي به بدمشق في منزل المولى محمّد أمين أفندي الدفترى بدمشق ، فتذاكرنا تعريف المسألة وطال الكلام في أنّها هل يجب أن تكون أمراً (١٥ آ) كلياً أم يجوز أن تكون أمراً جزئياً ، وكنتُ ذاهباً إلى الثاني ، وكان المولى المذكور ذاهباً إلى الأوّل . وقال : المسألة بما يجب أن يبرهن عنه في العلم . وقد شرطوا في البرهان إيجاب الصغرى وكليّة الكبرى فلم نجد نقل المسألة في كتاب من الكتب المشهورة ، إلّا في الحاشية المذكورة المسماة بالآيات البيّنات . وحاصل ما ذكره فيها أنّ اصطلاح أبواب المعقول يقتضي وجوب كونها كليّة كما ذهب إليه المولى المذكور . وأما اصطلاح أهل العربيّة ، والأصوليين وما شابههم فيجوز أن تكون جزئية ، كما ذهبنا إليه . والمقام يحتاج إلى زيادة تفصيل في الكلام . والله تعالى أعلم بحقيقة الحال .

ولصاحب الترجمة أيضاً حاشية عظيمة المنافع ، تسرّ النواظر وتطرب المسامع ، على شرح « المنهج » للعلامة شيخ الاسلام قاضي القضاة زين الدين زكريا (١) . جمع فيها كل فائدة ، وحشد اليها كل عائدة . وله غير ذلك مما أفاد فيه وأجاد ، واستحسنه الفكر واستجاد .

(١) في « زكريا الانصاري »

وأظنُّ أنه قرأ صغيراً على شيخ الإسلام القاضي زكريّا ، لكن
لستُ على يقين من ذلك .

وكان يحجُّ كثيراً : حجّ في سنةٍ من السنين وهي سنة اثنتين وتسعين
وتسع مئة ، وجاور تلك السنة بمكة ، فمات بها في السنة المذكورة رحمه
الله تعالى وعطّر مشواه ، ونوّر مرقده ومأواه .

وبالجملة فلقد كان بهاءَ زمانه ، ووحيد أمثاله وأقرانه . لم يخلف له
مثيلاً ، ولم يترك له عديلاً . وتأسّف عليه المصريون أسفاً كبيراً ، ورأوا
لموته حزناً كثيراً والحمد لله وحده .

١٥

أحمد ^(١) بن عبد القادر الشهرير بابن التينة المؤدب

كان يؤدّب الأطفال بمسجد المجاهدين ^(٢) عند باب الفراديس . اشتغل وتفقه على التقي القاري . وقرأ التجويد والقراءات على الشيخ علي القميري . وكان فاضلاً صالحاً ورعاً زاهداً .

وكان نفسه مباركاً على من يقرأ عليه .

وكانت فراسته في الأولاد عجيبة . وكان يقول : هذا يصير شيخ الإسلام ، وهذا صاحب حرفة ، وهذا لا ينتفع بشيء . فكان الأمر يصير كما يقول .

وكان الولد يخرج من عنده حافظاً للشاطبية ، والأجرومية ، والجزرية . وكان كثير التلاوة والتجويد . وكان من أولاد العلماء ويبتهم بيت وعظ وقرآن . وتوفي سنة تسع وسبعين وتسعمائة ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان قدس الله سرّه العزيز .

(١) ه ، ب ، « الشيخ شهاب الدين أحمد »

(٢) هو في المدرسة المجاهدية البرانية (النيمي ١ : ٤٥٥) ومسجد المجاهدية حورف فجعل مسجد المجاهدين . وباب الفراديس هو باب العمارة ، من شمال المدينة (انظر كتابنا : دمشق ، أسوارها ، أبوابها ، أبراجها)

١٦

أحمد أفندي الشهير بابن حسن بك قاضي دمشق

هو الفاضل الأديب ، الحافظ اللبيب . وَرَدَ دمشق قاضياً بها في سنة أربع وتسعين وتسع مئة ، بعد أن (١٥ب) تولى القضاء بمدينة حلب . وكان محمودَ السيرة في المدينتين . حلف لي يمينا مغلظةً أنه ما ارتشى في مدة قضاؤه قط .

كان والده حسن قاضياً مشهوراً من قضاة الروم وتولى قضاء الشام ومصر وقسطنطينية ، وقضاء العسكر .

ونشأ ولده هذا صاحبُ الترجمة مخدمياً ، كريماً حليماً . ولم يزل يتنقل في مدارس السلاطين بقسطنطينية حتى ترشح للقضاء فوَّلي قضاء حلب ، ثم قضاء الشام ، في زمن سلطنة السلطان مراد بن سليم رحمهما الله تعالى . لكن قدم الى دمشق ضعيف المزاج ، محتاجاً الى العلاج . فلم يزل كذلك يتعلل ويتملل الى أن توفي الى رحمة الله تعالى وهو قاض بدمشق الشام ، سقى الله ثراه قطر الغمام .

وكانت وفاته في سنة خمس وتسعين وتسع مئة . ودُفن بالقرب من مدفن المرحوم السلطان نور الدين الشهيد ^(١) [تجاهه من جهة الشمال] ^(٢) وقبره الآن معروف بدمشق . وتأسف الناس عليه كثيراً . وحضر جنازته الوزيرُ الأعظمُ المرحومُ سنان باشا حين كان محافظاً لبلاد الشام .

(١) دُفن نور الدين محمود بن زنكي في تربته في المدرسة النووية الكبرى . انظر

النعمي ١ : ٦٠٦

(٢) الزيادة من ب ، هـ

وكنا نسمع به قبل قدومه قاضياً الى دمشق بنحو عشر سنين ، وأنه عارفٌ بالعربيّات ، وحافظٌ للقصائد البليغات ، وأنه ربما زاد حفظه على عشرين ألف بيت من كلام العرب العرباء ، فضلاً عن المولدين . ولما رأيناه بدمشق وصاحبناه رأينا منه بعض آثارٍ من معرفة العربية ، لكن لم نره كما سمعنا . واعتذر لنا عنه بعض أصحابه بأنّه ضعيفُ المزاج ، وأنّ ضعف مزاجه قطعه عن الحفظ والتحفظ ، بل عن التكلم والتلفظ . دخلتُ عليه يوماً والسماءُ قد سمحت بالغيث ، من غير ريّث . فقلت له : الحمدُ لله حصل مطرٌ ، من غير ضرر . وبوارقٍ من غير صواعق . فقال لي : نعم . وأنشد قول القائل :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مَفْسِدِهَا صَوْبُ الرِّبْعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي
وأطال في هذا المجال ، من غير إخلال .

وكان عنده من الكتب ما لم نره عند غيره من كبار الموالى ، في سالف الأيام والليالي . رأيتُ عنده « إحياء علوم الدين » للإمام حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنه ، في جلدٍ واحدٍ بتمامه وكماله . ورأيتُ عنده « روضة » الإمام النووي رضي الله عنه في مجلدة واحدة أيضاً بتمامها معُ حُسْنِ الحُطِّ ، ولطف الضبط . وأمّا دواوينُ العرب فقد كان عنده منها نهاية الأدب .

كان والدهُ المرحوم حسن أفندي من قسم المماليك والموالى ، فترقت به الحال حتى صار من أعظم الموالى . سمعتُ أنه صار قاضياً بالعساكر المنصورة العثمانية . فتحاكم لديه خصمان أحدهما وكيلٌ عن سيّدته بنت رُسْتَمِ باشا الذي هو من مماليكه . فحكم على سيّدته لكون الحقّ في جانب (٦٦) خصمها . فقيل له في ذلك فأنشد :

وَإِذَا السَّعَادَةُ لَأَحْضَتْ عَبْدَ الشَّرِيِّ تَقَدَّتْ عَلَى سَادَاتِهِ أَحْكَامُهُ

وكان حسن بك المذكور محباً لأولاد العرب جداً، حتى أنه كان يقلدهم في لبستهم ، ويلبس الفرجية بالأكام الكبيرة الطويلة على طريقة موالي العرب . ولذلك اجتهد على أن حفظ ولده هذا كلام العرب كثيراً .
ولقد مدحتُ أحمد أفندي صاحب هذه الترجمة بقصيدةٍ عند قدومه إلى دمشق ، مشيراً إلى اتفاق سوق الفضائل والآداب في زمانه لكونه فاضلاً فقلتُ :

اليومَ قد سمحَ الدهرُ الذي بخلا	وأُنجز الوعدَ خصمٌ طالما مَطَلَا
اليومَ أصبحَ نغزُ الدهرِ مُبْتَسِماً	وأقبلَ العدلُ يثني عِظفه جَدَلَا
اليومَ قامتْ لأهلِ الفضلِ سُوقُهُمُ	ولم تُبقِ لهمْ أيامُهُم أَمَلَا
اليومَ جادَ سحابُ الأُنسِ مُنْسَجِماً	واليومَ أقبلَ بدرُ الجودِ مَكْتَمَلَا
هذا الزمانُ الذي قد كنتُ أرقُبُه	ولم أزلُ فيه للرحمنِ مُبْتَهَلَا
هذا الزمانُ الذي راقَتْ مشاربُه	وهبَ فيه نسيبُ الوصلِ مُتَصَلَا
كأنَّ أيامنا من طيبها سَحَرُ	كأنَّ همَّ الليالي عادَ مُكْتَهَلَا
صفا لأهلِ دمشق الشامِ مُوردُهُمُ	ولم يزلْ وقتُهُم باللطفِ مُعْتَدَلَا
غنى الحَمَامُ على أدواحِها سَحَرَا	ومالَ عُصْنُ الرُّبَا من شوقه جَدَلَا
أضحى لسآكنها من نفسه طربُ	كأنَّه من سُلَافِ الرِّيحِ قد ثَمَلَا
شكرَ أقبدرِ الهدى لاحتْ أشعته	من بعد ما كان عن أقاله أَفَلَا
أضحى جديداً الباسُ السَّكاملينِ وقد	مضى عليه زمانٌ لم يزلْ سَمَلَا
قد انجلتْ ظلماتُ الظلمِ حينَ بدا	بدرُ العدالةِ من فاق السَّكَّعَلَا

مولى الموالي إمام الدهر أحمد من
قاضي القضاة ابن قاضيها الذي شملت
مولى تجمع فيه ما تفرق في
من قال إن له في عدله شبيهاً
بمن أشبهه في الناس ممتدحاً
يمل من قلة الراجين أنعمه
لا تطلبن غيره في كل معضلة
يا صاحبي اكتبا في عدله سيراً
فليس يشبهه في جوده أحد
فإن ذلك حكم ليس بمجهله
من فاز منه بتقبيل لراحته
ماروضة ضحكت أزهارها سحراً
وصافحتها الصبا تسمى^(٢) بساحتها
والطير غنى على أفنان دوحها
وللهياه أطراد في جوانبها
يوماً بالطف من ذكرى فضائله
قد ألبس الدهر من أفضاله حلالاً
وأطف الفضل منه السهل والجبالاً
كل الوري من صنوف الفوقة الفضلا
إنه عن طريق الصدق قد عدلا
وهو الذي في جميع العالمين علا
وليس يظهر في بذل اللهسى^(١) ملاً
فالبجر يغنيك عن أن تقصد الوشلا
وسيرا فضله بين الوري مثلاً
هذا يقيني وإن شككتها فسلاً
إلا الذي طرفه بالنور ما اكتحلا
فقد علا في ترقى قدره زحلاً
لما بكها سحاب الأانس منهنجلاً
كذي دلال بدت في مشية الخيلا
كأنه عاشق قد رتل الغزلاً
كالأيم أسرع لما شاهد الوجلا^(٣)
ونشره في جموع العصابة الفضلا

(١) م « النهى » ، واللهى المطايا .

(٢) م ، ه ، ب : « تسقى » .

(٣) كذا في النسخ ، ولعلها « الوعلا » .

هذا الهامُّ الذي من عزِّ سطوته
هذا الذي مُدَّ بدا في الشام صافحها
هذا الذي يُبَيِّنُ الراجي مكارمه
من دُرِّ منطقه أو نورِ طلعه
قد انجلتْ عنده كلُّ الأمور كما
بالله بالله يا مولى الأنام ومن
يا أحسن الناس يا من أصله ^(١) حسنٌ
انظر إلى كبدِ ذابت عليك جوى
مازلتُ أطلبُ من مولايَ قريكم
مولاي جار عليِّ الدهرُ واتصلت
قد احتملتُ قديماً جورَ سطوته
حَمَلْتُ منه على ضعفي نوائبه
هذا وأصعبُ ما يلقاه ذو أدبٍ
يُبدون صمتاً إذا أبديتُ مسألةً
بأيِّ حكمٍ زمانٍ صار مُرتقياً
لكن إذا كنتَ يا فخر الكرام لنا

أمسى الذي رام ظلم الخلق مُبتدلاً
كفُّ السرور وعنها لهم قد رحلاً
وجودِ راحته من قبل ما سئلاً
طول الزمان يجلي السمعَ والمقلاً
عن الرعايا ظلام الظالمين جلاً
في كلِّ فنٍّ على كلِّ الورى كلاً
قاضي العساكر من لاخذ قد وصلاً
ومقلةٍ دمعها من بعدكم هملاً
والحمدُ لله ما قد رمته حصلاً
منه العوادي على صبرٍ قد انفصلاً
والآن يا سيدي لم يبق محتملاً
فأيُّ جسمٍ لما حُمَّلته حملاً
سقوطه عن مقامِ الفرقة الجبلاً
كأنَّ غيلانَ ميِّ يسألُ الطللاً
من ليس يعرفُ لاعلماً ولا عملاً
فاهمُّ عن حيننا ما زال مرتحلاً

مَنْ كَانَ مِنْكَ يَا مَوْلَايَ ذَا نَظَرٍ وَفِطْنَةٍ أَظْهَرَتْ أَلْحَاظَهُ الزَّوْعَلَا
فَانظُرْ إِلَيَّ بِعَيْنِ مَنْكَ تَجْعَلُنِي مِنْ التَّرَابِ إِلَى الْأَفْلَاكِ مُنْتَقِلَا
وَأَعْنِ كَفِّي إِنْ يَوْمَ مَفْتَقَرٍ يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَجَلَا
وَأَسْقِ غَرْسِي سَحَابًا مِنْ نَدَاكَ فَقَدْ أُرْبَى هَلِي سَاكِبَ الْأَنْوَاءِ إِذْ هَطَلَا
وَقَدْ أُتَيْتُكَ عَبْدًا عَلَّ تَقْبَلُنِي فَكُنْ بِحَقِّكَ يَا مَوْلَايَ مِنْ قَبِيلَا
لَا زِلْتَ مَا وَخَدْتَ وَجَنَاءُ سَارِيَةٍ وَسَاوِحَادِي الْمَطَايَا مُنْشِدَا رَمَلَا
تَرَقَى عَلَيَّ هَامَ فَرَقِ الْفَرَقْدِينَ عَلَا وَالذَّهْرُ يُنْشِدُفِيكَ الْمَدْحَ مَرْتَجَلَا
وَلَا تَرَالُ لَكَ الْأَيَّامُ خَادِمَةً وَدَامَ أَمْرُكَ طَوْلَ الذَّهْرِ مُتَمَتَّلَا

ولما أنشدته هذه القصيدة بالغ في امتداحها ، وصرح بابتهاج ساحة
الطافها وانفساحها . وعطف علي ، والتفت إلي ، وقال مامعناه : أنتم
قصدتم إظهار رتبتيكم في الشعر ، وإلا فنحن ، ما نحن أهلاً لهذا المقام ،
ولا نستحق المدح بهذا النظام .

فقلت له : أسْتَغْفِرُ اللَّهَ ! أَنْتُمْ تَشْرَفُونَ الْمَدِيحَ وَالْمَادِحَ . وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا
مِنْ بَابِ قَوْلِ الْقَائِلِ :

وَمَا أَنْتُمْ بِمَنْ يَهْنَى بِمَنْصِبٍ وَلَكِنْ بِكُمْ حَقًّا تُهْنَى الْمَنَاصِبُ
وبالجملة فقد كان من محاسن قضاة الزمان حتى إن الله يسر له الدفن
في الأرض المقدسة ، وبالقرب من تربة هذا الولي الكبير سيدي نور الدين
الشهيد رحمه الله تعالى

وكان رحمه الله تعالى أحسن الشكل إلى الغاية ، وكان حسن المحاضرة
إلى النهاية .

حكى لي مرة عن والده واقعة تدل على كمال دينه وصلاحه ، وهي

أن والده مرّة كان جالساً في بيته بقسطنطينية . فدخلت عليه امرأة معها كتابٌ تعرضه للبيع . قال : فنظر إلى الكتاب فاذا هو « المتنوي (١٧٢) الفارسي » للشيخ جلال الدين الرومي ابن سلطان العلماء . ووجده نسخةً لا نظير لها خطاً وضبطاً ولطفاً . فسامه من صاحبه فقالت : أطلب فيه ألف عثماني فأعطاها وخرجت من عنده . فتأمل الكتاب فوجده نفساً يساوي أكثر من ذلك . فطلب المرأة ثانياً فوجعت . وقال لها : كتابك يساوي أكثر من ذلك . فأعطاها ألفاً أخرى فخرجت . ثم تأمل الكتاب أيضاً فوجده يساوي أكثر من ألفين فطلب المرأة أيضاً وقال لها : كتابك يساوي أكثر من ذلك . وأعطاها ألفاً ثالثة . وهذه الحكاية تدل على كمال دينه وصحة يقينه .

ومدحه صاحبنا الشيخ عبد الحق ابن الشيخ محمد الحجازي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى بقصيدة | بائبة نفيسة و | ^(١) مطلعها :

سقى الربيع هظال من الدمع ساكبٌ
ووجدت عليه الساريات السوارب
وصدر تاريخ قدومه الى دمشق في سنة أربع وتسعين وتسعمئة كما سبق
وكان ذلك بحساب الجمل : هكذا خير مقدم . ونظمناه في قولنا :
أتيت دمشق الشام كأنغيثها طالاً
فأهلاً وسهلاً بالوفا والتكرم
ولما منحت الخير للناس كلهم
قدومك قد أرخته خير مقدم
فرحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأنزل على قبره سبحانه الألفاظ الهامعة .
بمنه ولطفه آمين .

١٧

مولانا أحمد أفندي

الشهير بطاش كبري زاده ، بلغه الله الحسنى وزياده

وهو الإمام المشهور ، المحمود المشكور ، الذي هو بلسان الدهر
مذكور ، وعلى أحزاب أعداء الله منصور . هو الفاضل الذي طنت
حصاته وشرفت صفاته ، وعمرت أوقاته ، وطابت أقواته . طلب العلم
طفلاً وكهلاً ، وقال له لسان القبول : أهلاً وسهلاً . فاشتهر اشتهار الشمس
في رابعة النهار . وظهر ظهور قطر (١) السحاب (٢) في سائر الأقطار . أدرك
من العلوم مطلوبه ، وحاز من التحقيق محبوبه . وتولى تدريس مدارس
كثيرة في بلاد الروم . وبحث فيها مع الطلبة عن (٣) أسرار المنطوق
والمفهوم . وصنف وألف . وحصل وأصل . وتفضل وأفضل . وتكامل
وأكمل . فمن جملة ما ألف كتابه المسمى « موضوعات العلوم » (٤) ، الذي
حارت في محاسنه راسخات الفهوم ، وتناقلته أيدي الرفاق في الآفاق ، وفاقت
بسببه جميع معاصريه وفاق . ولقد حضر الكتاب المذكور مع ولد المؤلف ،
هو المولى كمال الدين محمد بن أحمد ، الى دمشق الشام حين قدم اليها قاضياً ،
وطلبته منه لأنظر فيه ، فوجدته خطأ عجبياً ، وأسلوباً (١٧ ب) غريباً .
يتضمن فوائد فرائد ، وعرائس زينتها القلائد . ونقلت منه مطالب

(١) ساقطة من ه ، ب

(٢) ه ، ب « لسحاب »

(٣) ب ، ه « على »

(٤) هو المسمى أيضاً بفتح السعادة

عزيزة ، ترخص عند الذهبي إبريزه . من ذلك ما نقله عن بعضهم أن كل نبي من الأنبياء إنما يوحى إليه بالعربية ويعود بعد ذلك النبي يترجمه لقومه بلسانهم الذي به يفهمون وله يفقهون . وتولى قضاء بروسة المحروسة فاتق أتة ضرب فيها رجلاً من عسكر السلطان ، وأظنه من حاملي السلاح للسلطان . فثار الجند عليه وقصدوا قتله ، فمأ نجا منهم إلا بعد جهد جهيد ، ورأى رحمه الله تعالى أن المبادرة الى ضرب الجندي المذكور كانت من ضيق عطنه بسبب أكله للتركيب المشهور المسمى يومئذ بالبرش^(١) لأنه عند انفصال حرارته يوجب لهراء ضيقاً عجباً الى الغاية . فحلف يمينا مغلظةً أنه لا يأكل البرش بعد ذلك اليوم . وهذا أمر مخالف للقاعدة العقلية . وما ذاك إلا أن عادة البرش توجب المداومة على أكله ويتكلف آكله كلفةً كبيرة ، حتى يستطيع تركه . وأغلب ما يكون ذلك بالتناقص من غير ضرر .

وأنشد له بعضهم متمثلاً :

ان تكن عازماً على قبض روعي فترقق بها قليلاً قليلاً

فما طواع على أكله بعد اليمين أبداً . فلزم من ذلك نزول المواد الرطوية على عينيه ، لأن أكل البرش كان يجبس المواد عن النزول لما فيه من التجفيف . فلم يزل ذلك يتزايد إلى أن أوجب له العمى ، وهو قاض حينئذ بقسطنطينية المحمية . فلزم بينه مسلماً لأمر القضا ، تاركاً منصب الحكم والقضا . وعاش بعد ذلك مدة طويلة ، صدق فيها كتباً جليلة .

(١) تركيب محدث كالأفيون ، وأفادي الأمير جعفر الحسيني أن الصيادين كانوا يمزجونه مع الطعام ويقدمونه للطيور لتخديرها وصيدها . وانظر :

Dozy, Sup. Dict, Arabe I, 71

ولم أجد الكلمة في كتب المفردات .

كلتها على طريق الإملاء . ومن ذلك كتابه المسمى « بالشقائق النعمانية » ، في أحوال الدولة العثمانية « ، وله تصانيف تتعلق بعلم الكلام والمنطق والحكمة . تضمنت تحقيقاتٍ سديدة وتدقيقات عديدة ، تُظهر أن مؤلفها قد ملك عنان الفضائل ، وحاز في الزمن الأخير ما لم تحزه الأوائل ، وكان له في العربية الباع الطويل ، والمعرفة التي أذعن لها الحليل . وكان مع ذلك كله ينظم الشعر العربي المليح ، ويُنشيء الإنشاء البديع الفصيح .

أخبرني ولده المولى العلامة الكامل كمال الدين محمد بدمشق حين كان قاضي القضاة بها في أوائل سنة | خمس |^(١) بعد الألف أن المولى المفتي أبا السعود الآتي ذكره نقح في تفسيره الكلام على قوله تعالى ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾^(٢) وبالغ هنا في الرد على جار الله الزمخشري ما فرط منه في تفسير هذه الآية الكريمة من سوء الأدب بالنسبة الى الجنب الرفيع ، وأرسل كلامه في هذا المحل الى والده أحمد أفندي صاحب هذه الترجمة . فنظر فيه ، من قوادمه الى خوافيه ، واستحسن ما حققه في الرد على جار الله الزمخشري . فكتب الى المفتي هذه الايات يمدحه بها ويشير الى الرد المذكور ، في النظم المسطور . وهي :

بنفسي جناباً حاز كل فضيلةٍ وصار لإظهار الحقائق ضامناً
وأيد روح القدس حسناً طبعه فجلّي من الأسرار ما كان كامناً
ونافح عن عرض النبي تأدباً ففي الحشر تلقاء من الخوف آمناً
بك الملة الزهراء أضحت منيرةً وفي الكوكب السيار قد صرت ثامناً

وقال لي مولانا الكمال المذكور : قرأتُ الموضوع المذكور على حضرة

(١) ساقطة من ٥ ، ب

(٢) سورة التوبة ، ٩ ، الآية ٤٣

المفتي : فقلت له : هذا هو الموضوع الذي عرض على والدي ؟ فقال المفتي :
نعم . وما أحسن البيت الرابع المختوم بثامن . انتهى .
وفي نفس الأمر كان صاحب هذه الترجمة من محاسن علماء الزمان ،
ولو لم يُرَمَّ بالعمى لأظهر من الفضل ما بكلِّ عن وصفه اللسان .
وخلف ثلاثة أولاد : كمال الدين ، وشمس الدين ، وحامد .
فأما شمس الدين فإنه صار من قضاة القصبَات ، ومات بجماة
ودُفِن بها .

وكذلك حامدٌ فإنه صار قاضياً بصقده ، وأظنه مات بجلب .
وليس فيهم نجيبٌ إلا العلامة الكمال . فإنه قد تطابق فيه الاسمُ
والمسمى ، ووصل من الفضائل الى المحلِّ الأسمى . وستأتي ترجمته في حرف
الكاف إن شاء الله تعالى .

وقد توفي والدُ صاحب هذه الترجمة في قسطنطينية ، ولا أعرف سنة موته .
وولده أحمد أفندي صاحب هذه الترجمة في شهر ربيع الأول من سنة
إحدى وتسع مئة كما نقل ذلك من خطه ، لكنّه ذكر في كتابه المسمى
« بالشقائق النعمانية » أنه أمته في سنة خمس وستين وتسع مئة .

١٨

صاحبنا أحمد جلي بن اسكندر الرومي

نزيلُ دمشق . ورد إليها في سنة ثمانٍ وثمانين وتسع مئة مع قاضي القضاة مصطفى [افندي] ^(١) بن يستان . وكان أحد جماعته الذين ينوبون عنه في القضاء ، ويُقال لهم دانشمندِيَّة بدال مهملة ونون مكسورة وشين ساكنة وميم مفتوحة ونون ساكنة فدال مكسورة وياء مشددة للنسب . والمفرد دانشمند أي صاحب الدانش ، والدانش بلغة الفرس معناه المعرفة ، ومند بمعنى صاحب ، ومعناه صاحب المعرفة . فلذلك يُسمي الأروامُ تلامذتهم بذلك .

ولكن كان أحمد بن اسكندر هذا مقرباً لديه تقريباً تاماً ، ونال منه حظاً وافراً عامماً ، بحيث أنه كان يضي غالب الأمور (١٨ ب) بإشارته ويجيبُ غالب الفضلاء بعبارته . وكان يعتمد عليه اعتماداً صادقاً ، لأنه لم ينزلُ بصدافته واثقاً .

وكان مع ذلك كله كاتب عرُضه . ومعنى كاتب العرض في اصطلاح فضاة الأروام وحكّامهم أن كل صاحب منصبٍ من إمارة أو قضاءٍ أو وكالة عن حضرة السلطان أيده الله تعالى أن يكون له كاتبٌ عارفٌ بالإنشاء والكتابة بلغة الرومية يكتب له المهمّات التي يلزم إرسالها إلى عتبة حضرة الملك لتعرض على عتبه العلية ، ويُضي فيها ماتقتضيه آراؤه السلطانية من عزل وقبولٍ وردٍ ، غير أن الغالب فيها القبول ، لأنهم

(١) الزيادة من ه ، ب

عرفوا من عادة من يعرض لحضرة السلطان إتما يذكر الصدق المعقول ،
الذي تشهد بلطف موقعه العقول . ويكتبون في أوائلها ألفاظاً مفتحةً
تليقُ بجانب السلطنة العثمانية ، ويكونُ معنى تلك الألفاظ أنَّ العبد الداعي
على الدوام يعرض بذلك الباب الذي له من السعادة والسطوة ما يشابه
دوران الأفلاك ، ويقارب مرتبة الثرى والسماك ، ماهو كذا وكذا ،
ويشرحون ما يريدون ويختمون بما معناه : والباقي مرسوم الباب الموصوف
بالسعادة العظمى . ولكن وصل أحمد بن اسكندر هذا في فن كتابة العرض
الى مرتبة ما لحقها أحد غيره فيما أعلم . أخبرني عبد الكريم أفندي الذي كان
يتولّى أوقاف العمارة السلمانية بدمشق المحيطة ، وكان عارفاً بأحوال
الإنشاء التركي مشهوراً بذلك ، أنه لم يظفر حاكم بكتاب عرض مثل هذا .
ويشير الى أحمد بن اسكندر صاحب هذه الترجمة وفي نفس الأمر حصل
منها النصيب الأوفر ^(١) الأوفى ، والمقام الأزهر الأزهى .

ولقد شاهدته غير مرة يكتب العروض المهمة من رأس القلم من غير
تسويد ، ويكون مقبولاً عند العارفين بهذا الفن . وذلك مع حسن الخط
الذي لانظير له حلاوةً وحسناً .

وسبب مهارته في هذه الصناعة أنه اتقن الألسن الثلاثة العربي والفارسي
والتركي اتقاناً كاملاً . والمقبول الآن من انشاء التركية ما كان مرصعاً
من الألسن الثلاثة ، مع ذلك الذكاء الكامل والاجتهاد الشامل .

ولقد قرأ [علي] ^(٢) مقامات الحريري رحمه الله تعالى رواية الحارث
ابن همام عن أبي زيد السروجي كاملة ونصف مرة قراءة متقنة محررةً
مغنةً وأجزئته بها وبما تجوز لي روايته بشرطه . وقرأ علي حصّةً من
أوائل « الشرح المختصر » للمحقق التفتازاني على « متن التلخيص » للامام

(١) هـ « الوافر »

(٢) ازيادة من هـ ، ب

جمال الدين القزويني رحمه الله تعالى . وروى عني كثيراً من الأشعار البليغة الحسنة . ولازم صاحبنا العلامة محمد البغدادي المدرس الحنفي بالمدرسة الدرويشية وقراً عليه علم الهيئة (١٩ آ) وعلم الكلام وغير ذلك . ومهر في فنون العلوم ، وبجث عما تضمنته من منطوق ومفهوم . فصار من أعلام زمانه ، ومن مفردات عصره وأوانه . درّس بالمدرسة الجوهريّة^(١) . وابتنى بيتاً في مقابلة الأشرفيّة^(٢) ، دار الحديث بالقرب من قلعة دمشق . غير أنه قد خاض في شيء لا يعنيه ، وقصد ما لا يلزمه أن يجحّض فيه . وذلك التنقيب على كلمات القوم الدقيقة ، والاعتراض على عباراتهم الرشيقة . وجعل نفسه غرضاً لسهام الأغراض^(٣) . ورام أن يطفئ الحواطر الروحانية بالأقوال المراض . فقال : إن ابن الفارض وابن عربي ومنّ هذا حدوهما | وذاق من الطعوم حلوهما |^(٤) قد حاد في عبارته عن طريق الحقّ والصواب وخالف الحقّ فيما اعتقده من صفات ربّ الأرباب . وصرّح بذلك في المأ العام . وعرف بذلك واشتهر بين أهل الشام ، من الحواصّ والعوام . ولعله بعد ذلك عن بعض القلوب ، والعلم في ذلك لعلام الغيوب . ولكنه هو لا ينوي إلاّ خيراً ولا يدفع في اعتقاده الاضيراً . ولكن الأولى لمثله ومثلي من المقصرين أن يسكّم للقوم الواصلين . وما أحسن ما رأيتُه ببعض المجاميع :

لا تكن مُنكراً فَنَمَّ أمورٌ لكبار | الرجال |^(٥) لا للصغار

(١) انظر النعمي ١ : ٤٩٨

(٢) انظر المصدر السابق ١ : ١٩

(٣) هـ « الاعتراض »

(٤) ما بين الخطين ساقط من هـ ، ب

(٥) ساقط من هـ ، ب

وإذا لم تر الهلال فسلم لأناسٍ رأوه بالأبصار

[وأيضاً : (١)]

أقيت بيوتاً لم تُنل من ظهورها وأبوابها عن قرعٍ منك سُدت
ولعيري لو أقصر عن هذا لكان أسلم ، والله تعالى أعلم ، بغيبه
وأحكم .

ولقد كتب أحمد بن إسكندر صاحب هذه الترجمة رسالة على لسان
المرحوم الشيخ شرف الدين الخطيب الشهير بابن الحكيم رحمه الله تعالى تتضمن
بالنسبة إلى الشيخ شرف الدين المذكور تعريضات ، بقبیح أو تلمیحات ،
أو إشارات أو تلويحات . وعرضها عليّ ، وقرأها لديّ ، وقال : أحب أن
تقرّظها بشيء من كلامك ، تمزجه بقليل من نظامك . فقلتُ مجيباً لإرادته
ومحققاً لإشارته :

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذي جعل ذوي الفصاحة أمراء
الكلام في الأنام ، وأعلى أعلام أولي البلاغة على رؤس العلماء الأعلام ، وجعل
العلماء ورثة الأنبياء . فبلغها الأبناء لمن زاغ عن سبيل الرشاد ، وملئهم
من الحجج القواطع سيوفاً قوامع لأرباب البغي والعناد .

والصلاة والسلام على من بلغته كلماته البليغة شرقاً وغرباً ، فقلتُ
من سيوف | ألسن | (٢) المعاندين حاداً وقطعت لهم غرباً . وعلى آله
الذين أثار بآثار علومهم الكون بعد الظلام ، وأصحابه الذين كانوا ابتساماً
في ثغور الليالي والأيتام . ما أنجلي ليل الجهالة بإشراق شمس المعارف ، وارتوى
ظمان الفؤاد من غيث الأدب (١٩ ب) الواكف .

(١) من ٥ ، ب

(٢) ساقطة من ٥

هذا وقد وقفتُ على هذه الرسالة وقوفَ وامقٍ على مراتعِ عذراء ، وأجلتُ طرفَ طرفي في مضمارِ بلاغتها إجمالة ابن عباد^(١) لحظه في مراتع الزهراء ، ونادمتُها والليلُ مُرْخٌ ستوره . كأنني جميلٌ زارَ ربع بُيْتِنَه . فما زلتُ اعترف من حياضها واقتطفُ من رياضها ، راوياً عنها غيثَ الأدب الذي انسجم ، ناقلاً عنها لفصحاء العرب ما يُزري بلامية العجم قائلاً لله درُّ مؤلفها : فلقد فتح من البلاغة باباً مقفلاً ، ومنح من صحاح ألفاظه لأهل الأدب مجلاً ومفصلاً . وسلك طريقاً بديعاً يعجز عن سلوكه البديع ، واستباح بجيشِ أفكاره من معافل البلاغة الحمى المنيع . ودخل باباً من الأدب ما لأحدٍ به طاقة . وامتنى صهوة جوادٍ ما أدرك الفاضل لحاقه .

له الكلامُ العُرشُ التي لو تجسستُ لكانت لوجه الدهر عَيْناً وحاجباً فلاته ما اشتملتُ عليه من التلميح الذي ينقص عنده أبو تمام ، وما قضمته من التلميح الذي يعبس منه ابن بسّام . بيدَ أنّها ترجمتُ عن أوصاف صادقة على موصوف ، وحدثتُ عن اعترافٍ من هو بالمنكر معروف . فتعجبتُ من بُعدِ البنى عنه مع قرب المعنى . وأفكرتُ في كمالِ يجتمعُ مع النقص ، في منزلٍ ومعنى . فقلتُ : أمّا الأوصافُ فإنّها عليه صادقة ، وأمّا الألفاظُ فإنّها بفضيلته غير لائقة . فعلمتُ أنّ ذلك كما يُحكى عن أبي زيد . الذي كان تعارُجُه لكيدٍ وصيدٍ . ومن أين هذه التراكيب لمن الخل تركيبه ، واختل ما بين أهل الكمال ترتيبه .

وَأَيْنَ الثَّرِيَا وَأَيْنَ الثَّرِي وَأَيْنَ الحِطَامُ مِنَ المِنَجَلِ

ولعمري لقد حدثتُ عنه لسانُ الرسالة فأبان من الكثير قليلاً ،

(١) يعني المعتمد بن عبّاد الأندلسي

واختصر في إيضاح بيانه والتمت شرحاً طويلاً . على أن في اعتذار المؤلف عن عدم التكميل ، بقوله - والقطرة تنبيء عن الغدير - إعلماً بأن البعرة تدل على البعير ، وإشارة إلى وفور السقطات ، وكثرة الخمازي والجهالات .

فمن ذلك روايته للحديث من غير معرفة كلام العرب ودخوله في قوله ﷺ من كذب^(١) . هذا مع عدم الاجازة المجوزة لرواية الحديث لافي زمنه السابق ولا في وقته الحديث .

ومنها أنه يدعي الوعظ وليس متعظاً . ويزعم الحفظ وليس محتفظاً^(٢) وما أحسن قول من قال ، وأجاد في المقال :

يا قوم من أظلم من واعظ خالف ما قد قاله في الملا
أظهر بين الناس إحسانه وبارز الرحمن لما خلا
ومنها مداومته على اغتياب من شماله أندي من يمينه . وغشيه
ما زال أنفع من سمينه (٢٠ آ)

فإلى متى يقرض الأعراض السليمة ؟ وهلا استغل بأحواله الحائلة السقيمة ؟
ليت شعري أي باب من الدليل ما دخل إليه ؟ وأي نوع من الخطل
ما أقام عاكفاً عليه ؟ على أن من يفتابه من المذمة سليم خالص ، وما زال
يتمثل بقول الشاعر :

« واذا اتتك مذمتي من ناقص »

ومنها جلوسه بين زعنفه لم تمنحهم التجارب ، ولم يزيدوا في الفضل
على صبيان المكاتب . موهماً أنه انتظم في سلك الأفاضل ، محيلاً أنه ورد

(١) يشير الى الحديث النبوي « من كذب عليّ عامداً فليتبوا مقعده من النار »

(٢) « محتفظاً »

من مياه الفضل أعذب المناهل ، مفاخرأ بالأشعار التي لو أنصف لدفعها الى أهلها ، ولما تكلف ، من غير انتفاع بها ، مشقة حملها . فهو كجالس بين القبور طالباً للنزال ، أو كملهوف الى الورْد قانعاً بالآل لا الزلال .

وَإِذَا مَا خَلَا أَلْبَانُ بِأَرْضِ طَلَبِ الطَّعْنِ وَحَدِّهِ وَالتَّزَالَا
ومنها أنه يشمخُ بأنفه على عصابة هم جمالُ الأنام ، ويمثلهم تفخراً الليالي والأَيَّام ، مع حقارةِ متاعه ، وقصرِ باعه . فيالله العجب ممَّن سقط عن مرتبة (١) الطلب ، كيف يترقى الى معالي الرُتب .

ما لمن ينصبُ ألبانل أرضاً ثم يرجو أن يصيدَ أهلالا
فيا أيها الناكبُ عن طريق الصواب ، الذاهب في غير مذاهب أولي الألباب . ويحك الى متى تتوكأ على العكاز ؟ وتدعي بين الناس أنك من أهل البراز . وبيك هلاً ووقت في مجازك ، وما تعدت عن حقيقتك الى مجازك ؟

وَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ وَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى
ولعمري لقد كاد زيفُك أن يروج ، وتقررت على عرجك من العروج لكن قيض الله لك ناقداً بصيراً ، وعالماً كاملاً خبيراً . فأظهِر عوارك الذي كنت تُخفيه ، وأبدى من حالك ما لم تكن تبديه . وذلك | مَنْ هو | (٢) علامة المحققين بلا نزاع ، وخاتمة المدققين | من غير دفاع | (٣) مَنْ طلع في سماء المعالي فأصبح بدرها الكامل ، وأرؤى قلوب المتلهفين بغيث فهمه الوايل ، ونصب سبائك الأفكار فاقتنص شوارد المسائل (٣) من

(١) هـ « رتبة »

(٢) مابين الخطين ساقط من هـ

(٣) هـ « المصائد »

مكاتها^(١) ، وغاصَ لُجَجَ بِحَارِ الْعُلُومِ فَاسْتَخْرَجَ دُرَّ الْمَعَانِي مِنْ
مَعَادِنِهَا . هُوَ مَنْ أَقُولُ فِيهِ ، مَنْ غَيْرُ سِنِّكَ وَلَا تَمُوبِهِ :

هَذَا الْمَهَامُ الَّذِي مِنْ عِزِّ سَطَوَاتِهِ أَمْسَى الَّذِي رَامَ ظُلْمَ الْخَلْقِ مَبْتَدِلًا
هَذَا الَّذِي مُذْبِدًا فِي الشَّامِ صَافِحًا كَفَّ السَّرُورَ وَعَنْهَا الْهَمُّ قَدْرَحَلًا
قَاضِي الْقَضَاةِ ابْنِ بَسْتَانَ الَّذِي شَمَلَتْ عَوَاطِفُ الْفَضْلِ مِنْهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ
قَدِ انْجَلَتْ عَنْهُ كُلُّ الْأُمُورِ كَمَا عَنْ الْبَرِيَّةِ ظُلْمَ الظَّالِمِينَ جَلًا
مِنْ دُرِّ مَنْطِقِهِ أَوْ نُورِ طَلْعَتِهِ طُولَ الزَّمَانِ يَجْلِي السَّمْعَ وَالْمُقْتَلَا (٣٠)

فيا شيخ الاسلام ، وعلم العلماء الأعلام ، وقاضي القضاة بدمشق الشام ،
ومصطفى الأفاضل الكرام ، أدم إبعاده عن منازل القرب ، فقد قيل :
تُعَدِّي الصَّحاحَ (٢) مَبَارِكُ الْجُورِ . لازال حكمك نافذاً في القضايا ،
ولا برح علمك عليك منشوراً بين البرايا . وبقيت قامعاً لأهل العدوان ،
وإصلاً الى ماتريد بفضل الرحيم الرحمن . ماكرت الجديدان ، واختلف
الملكوان ، وانتقل الدهر من آن الى آن . والحمد لله على كل حال ،
والمفزع اليه في سائر الأحوال .

(١) م « مكاتها »

(٢) م « الصحاح » خطأ .

القاضي أحمد افندي الأياشي

بهزمة مفتوحة وشين معجمة وياء مشددة للنسب

هو قاضي القضاة أحمد بن سليمان الأياشي قاضي حلب ، ثم قاضي دمشق . ورد الى دمشق في سنة سبع بعد الألف قاضياً بها خلفاً عن مولانا القاضي عبد الوهاب فما حمدت سيرته ، لاسيما وقد كان مولانا عبد الوهاب في غاية | من | ^(١) الاستقامة ، فورد هذا بعده في غاية السقامة . فكانا في طرفي نقيص ، وكم بين صحيح ومريض . وبضدّها تتميز الأشياء . ولقد اشتهر في أيامه أكل الرثا ، وظهر التزويرُ وفشا . فلزم أن العوام قد رجّمته عند خندق القلعة بين سوق الأروام ^(٢) ومدرسة أحمد باشا شمسي ^(٣) الآتي ذكره ، وأفحشوا في رجمه ، ولولا مدافعة بعض الجلاوزة عنه بالسيف ، لنال منه العوام ^(٤) غاية الأذى والحيف . ولقد بلغني أن بعض الناس رجّمه ببيض فكان بعد كسره في عمامته يسيل بياضه وصفاره على عمامته وعلى أكتافه . وحاصل الأمر أنه وصل الى غاية النكابة ، وصار في العالم أشهر حكاية . ولم يستقم حاله بعد الرجم أبداً . وكان رجّمه يوم دخول أمير الأمراء

(١) ساقطة من ه ، ب

(٢) سوق الأروام هو أول سوق الحميدية اليوم .

(٣) تسمى اليوم مسجد الأحمديّة . انظر عنه ذيل ثمار المقاصد ص ١٩١

(٤) ه « القوم »

السيد محمد باشا الوزير العجيمي إلى دمشق حاكماً بها ، وذلك أنه طلع لاستقباله فكان الناس يشيرون إلى الباشا بالشكاية عليه في وجهه ، وينادون : الشام خراب ، القاضي خربها . وهو ساكت . فلم يزل الناس ممسكين أيديهم عن الرجم الى أن دخل الوزير المذكور الى دار الإمارة بدمشق ففارقه القاضي المذكور . فاستقبله الناس عند انصرافه يصيحون في وجهه ويقابلونه بكلمات لاتليق . وأعقبوا ذلك بالرجم ، من غير رحم (١) ، حتى | إنته | (٢) ساق فرسه هارباً منهم ، وأدركه مع ذلك مأدركه من الأحجار .

وقد هجاه الشيخ درويش سبط آل طالو الشامي ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، بقصيدة طويلة سماها « رفع الغواشي عن ظلم الأياشي » ولقد قسمها فصولاً ، وجعل كل فصل في حال من أحواله . ولقد أنشدنيها مؤلفها المذكور حين ألقها فعلق في خاطري منها بعض أبيات .

فمن ذلك قوله مشيراً الى ظلمه مع وكيله لرجل بدمشق (٣) يقال له ابن عقيص ، مات وخلف ثلاثة آلاف قرش ، أخذ منها ألفاً فقال في ذلك :

كيف استحلاً ألف قرشٍ له وجملة المال ثلاث كبار
ومنها :

وجملة الأوقاف في عهده تباع في الدلال ببيع الحياز
ومنها :

ويُدعي الرقة في طبعه مثل مخاديم الموالى الكبار
ومنها مشيراً الى قصة صدرت لبعض جماعة في مدرسة سيدي نور الدين الشهيد عليه رحمة العزيز المجيد :

(١) هـ « وجم »

(٢) ما بين الخطين شاقط من هـ

(٣) هـ « لرجل من أهل دمشق »

وليلةِ النورِ الشهيدِ التي سطا على القاضي بها الجوخدارُ
واستلَّ في المجلسِ سَكِينَةً مُخَلَّصًا من كَفِّهِ لاله زار
وهي التي كانت تُدِيرُ الطلا والأمرُدُ الحَيَّاطُ كانَ المدارُ

وحاصل الأمر أني حفظت منها أبياتًا ليست مرتبة لأنها علفت في
فكري من إنشاد القصيدة مرّة واحدة ، وهي حسنة في بابها غير أن
قائلها قد بالغ في بعض فصولها ، وذكر بعض أشياء تتعلق بحريم القاضي ،
وكان الواجب الإعراض عن ذلك ، لأنه افتراءٌ قبيح يُوقع قائله في
مهاوي المهالك .

وكان للقاضي الأياشي المذكور رجلٌ من جماعته يقال له قبلان ،
بقاف وباء موحدة ، ومعناه النمرُ بلغة التركية . وكان وكيله يسمى
أرسلان^(١) ومعناه بلغتهم الأسد ، فهجاه درويش الطالوي المذكور بأبياتٍ
يشير فيها إلى ما ذكرناه ويشيرُ إلى نائبه الحنفي القاضي محب الدين ، وإلى
نائبه المالكي كمال الدين بن الخطّاب ، وإلى نائبه الشافعي محمد بن جانبك
الكنجبي ، والأبياتُ هي قوله :

وحوشُ أياشٍ دُبِّها وحيرها وتُبَاعُها أَسَدُ الرُّبِّي ونمورُها
وزنديقُها خَطَّابُها وكُنِينِجُها وتُعبانها جارُ الغواني وزيرُها
توشحُ كُلُّ بَرْدَةِ الجبلِ والرُّشا فبعضُ يُسَدِّيها وبعضُ يَنيَرُها
وأسودُّمُ ذاكِ المعاوي لدرمٍ يضاهيه في وسطِ السَّماءِ بدورها
متى بَصَّه في كَفِّ رَاشٍ قَضَى له وبات بتلك العين وهو قريرُها

(١) ه ، ب « اصلان » .

إِذَا مَا تَوَلَّتْ فِي دِمَشْقٍ فَأَصْبَحَتْ ومشرَّبها بعد الأجون فغيرها
وأضحت بروض النير بين رواقها ومسكنها بعد الفلاة قصورها
وسارت عن الشام الفضائل مُدَاثَتْ فلم يدر أهل الفضل أين مسيرها
وددتُ بأنَّ الدهر ينظر مرةً بعين جلا عنها الغيابة نووها
إلى هذه الدنيا التي قد تحبَّطت وجئت فساس الناس منها حيرها

والبيتان الأخيران متقدمان للغير ، وقد ذكرهما الشاعر المذكور للتضمين ، لكنه لم ينبه عليها ، فكان ذلك سرقةً لعدم شهرتها أيضاً . وهذه عادة هذا الشاعر عجم (٢١ ب) على بيوت الناس من غير تحاشٍ ، فإنَّ عرَّفَتْ قال : أخذتها تضميناً وإن لم تُعرَفْ قال : هي شعري ومن نظمي ، وستأتي أوصافه مفصلةً إن شاء الله تعالى في حرف الدال . | (١) ومطلع القصيدة ذات الفصول العديدة ، أعني الأياضية الطالوية ، وهي مشهورة عند الفضلاء والأدباء النبلاء .

الشامُ تبكي بدموعٍ غِزارٍ^(٢) بكاءً تكلي ما لها من قرارٍ
بكاءً مظلومٍ له ناصرٌ لكن بعيد الدار والمحصر جارٍ
وهما قديمان وقد أخذهما على عادته في سرقة .

في عام سبعٍ بعد ألفٍ^(٣) مَضَتْ من هجرة المختار زاكي الفخاز
حلَّ بها قاضٍ^(٤) على جهله أظلم من قاضي سدوم الحمار
ليس له دينٌ ولا مذهبٌ إلا الرثشا والانتشا من عُقار

(١) من هنا ساقط من ه ، ب .

(٢) م « غزار » .

(٣) م « الألف » .

(٤) م « قاضي » .

وآخرُ الفصول في استغاثة أهل الروم على عزله :

فيا موالى الروم يا مَنْ بهم تستكشف الجبلى ومجلى الغمار
العلم والفضل بأعتابكم وفيكم النجدة والانتصار
قولوا لصنع الله ركن الهدى بجر الندى والعلم طود الوقاز
العالم العامل من رأيه في ليل هذا الخطب صبح أنار
مفتي الفريقين إمام التقى شيخ الأصواتين الرفيع المنار
حامي حى الشرع بسمر القنا لها كفعل البيض ذات الفرار
يعرف السلطان مولى الورى غوث ملوك الأرض قطب المدار
ظلّ إله العرش من دوخت سطوته قهراً ملوك الجار
محمد أعدل (١) ملك سما من آل عثمان حماة الذمار
أحوال قاض إن يدم نصبه (٢) بالشام يوماً فالفرار الفرار
عسى ولي الأمر سلطاننا يأمر عقي عزله بالداماز
فإن تقليد القضا جاهلاً فيه على الدولة إثم وعاز
لا زال قاضي سوء من فعله دائرة سوء عليه تُدار
وفوق (٣) هذا غضب الله ما أقبل ليل وتولى نهاز
وكان للظالم يوم الجزا جهن منوى وبس الفرار

(١) م « عدل » .

(٢) م « احوال قاضي إن يدم نصبه » .

(٣) م « وقوف » .

وله فيه وقد شكَا قلة المحصول ، وأنه قليل ومع ذلك متعسر الحصول :

قل لقاضي القضاة أعني الأياشي عقلٌ مولاي ليس عقل معاشي
أشتكي قلة المحاصيل ممن أنت فوضتها الى الأوباش
أنت صيرتها برأيك نهياً بين رند ومردك وقلاشي
وله في نائبه المالكي :

نائبُ القاضي الأياشي عقله عقل معاشي
يرثي قاضيه لكن هو لا يصغي لراشي
هكذا قيل وعندي ما أصيلٌ مثل ناشي^(١)
والعجب أنه قد مدح القاضي الأياشي المذكور قبيل هجوه بأيام
قليلة بقصيدة شنية أنشدنيها بدمشق ومطلعها :

كيف أخشى بالشام أمر المعاش^(٢) وملاذي بها جناب الأياشي
أفضلُ القومِ مَنْ سَمَا للعالي فاعتلاها طفلاً وكهلاً وناشي
فهو بدرُ العلوم صدرُ الموالي مَنْ سماهم فضلاً ولستُ أحاشي
خيرُ قاضٍ ربُّ البريةِ واضٍ عنه إذ صان شرعه عن تلاشي
| ساقَ عدلاً بالشام حتى شهدنا مَشِي ذئبِ الفلاةِ بين المواشي^(٣)

وهي قصيدةٌ حسنة في بابها على صعوبة رويتها .

(١) الى هنا ينتهي السقط من ه ، ب .

(٢) م « المعاشي » .

(٣) هذا البيت ساقط من ه .

ولقد عزل القاضي المذكور عن دمشق بُعَيْدَ رجمه غير بعيد ،
واستتبع ذلك كله وقت عيد ، فصدر تاريخٌ لطيف يشير إلى ما ذكرناه .
والتاريخُ المذكور مشتركٌ بين درويش المذكور وبين رجل آخر من
أدباء دمشق فقالا :

رُجِمَ الأياشي في دمشق وجاءه عزلاً وكان العيدُ عيداً أكبراً
وسُئِلْتُ عن تاريخه فأجبتهم بالعزل شيطانٌ وجيمٌ دُسرًا
وأياش المنسوب هو إليها قَصَبَةٌ يُصْنَعُ بها الصّوف في نواحي
أنكورية وأنقرة من بلاد قرمان .

وقد عدّ فضلاءُ الدهر توليةَ المذكور للقضاء من أعظم البلاء . وكان
المعين له على ذلك بعضُ المفرّبين عند حضرة السلطان مراد بن المرحوم
السلطان سليم .

وهو الآن معزولٌ مقيمٌ في بلده المذكور وربما توجه أو يتوجه إلى
باب السلطان أيده الله تعالى ليتوصّل إلى أن يتولىّ بلدةً ويسعى في
ثبوت قضائها عليه ، ولعل القضاء يدركه ، أو بعد القضاء يهلكه ، إن لم
يتب إلى ربّه ، ويعترف صادقاً بذنبه . فيا خجلته وخجالة أمثاله إذا
كان القاضي عليهم جبار السّموات والأرض وهم صموتٌ لا ينطقون ، ومن
ربقة العذاب لا يُعتقون . والحمد لله أولاً وآخراً ، وباطناً وظاهراً .

١٩

الشيخ أحمد العنبايقي

النايلسي الاصل الدمشقي السكن والدار

هو أديب الزمان ، وشاعرُ العصر والأوان . جاب الأقطار . ودار في كلِّ دار . وجال في كلِّ مجال . حتى اغتدى في الأدب علامةً ، وصار له على بلوغ المراتب العالية أصدق علامه^(١) وهو الأديبُ البارِع ، الذي توَحَّد في أمر^(٢) الأدب فلم يبق له مُضارع . وساق في حلبة العربية حتى أصبح المجلِّي في هاتيك الفرقة الأدبية . ولم نَرَ له من سبيه ، ولا يحتمل وصفه التشبيه ، إذ لم يكن له في الأدب من نظير ، بل شعره الروض النضير .

والده أبو العنبايات من مدينة نابلس . وقطن مكّة مدة وتزوَّج بها . فولد له أحمد هذا بها . وإنما قيل له العنبايقي نظراً إلى والده ونسبةً إليه . وكان ينطق كنتطق أهل مكة .

ولم يقرّ زمن شبابه بمكان بل كان يَطُوف الأقطار (٢٢ ب) ويجول في كل ديار . لكن كانت سياحته مقصورةً على حلب ، وطرابلس ، والشام ، وبيت المقدس ، وما بين ذلك من القصبَات مثل حماة ، وحمص ، والمعرة ، وصفد ، وغزّة . وقدم آخرأ إلى دمشق في حدود ستّ وثمانين أو سبعٍ أو ثمانٍ في ما أظنّ وتسع مئة ، وألقى بها عصا الترحال .

(١) ما بين الخطين ساقط من ه ، ب .

(٢) ه د أمراه .

الى أن انحنى غضنُ قدهِ ومال . فسكن مرةً في مسجد هشام ابن
عبد الملك (١) في جهة سوق جَعَمَتَى . ثم ارتحل الى المدرسة البادرانية (٢)
واستمرَّ بها مجاوراً في حجرةٍ إلى أن مات بها الى رحمة الله ...
وكان يتعمَّمُ بالصَّوف الذي يُقال له المُرز . ولم يتزوج في عمره
ولم يضاجع قرينةً تشغله عن صفاء فكره ، في نظمه أو نثره ، | وكان
مقتلاً في المطعم واللباس . منقبضاً في الغالب عن مخالطة الناس | (٣) وكان
الغالب عليه الاستيحاش من الأنام ، وينفرد في غالب وقته كالطير
الوحداني في الظلام . وكان يكتب الخطَّ الحسن . وينطق باللفظ المكبي
المستحسن ، وينظم من الشعر ما يُزري بزهر الحماثل ، ويزهو على فرند
السيف إذا أبرزته الصياقل . ويأتي فيه بكل معنى بديع ، ويبرز فيه
من بدائع البديع ، ما يعلو على زهر الربيع .

وكانت عاداته في كلِّ يومٍ على الصباح . أن يجيب | في الغالب | (٣)
داعي الفلاح ، ثم يسير الى بيت من بيوت القهوة ، يكون فيه الماء
الجاري مع المليح الساقى والجلوة . ويشرب من | قهوة | (٣) البنِّ أقداحاً ،
ويرتاحُ بها كأنه عاقرٌ راحاً ، ثم يشرع في الكتابه ، ولا يُبدي لأحد
في الغالب خطابه . وكان في الغالب يقضي نهاره حيث كان وقف الصباح .
ولا يزول منه في الغالب إلاَّ إذا راح في الرِّواح . وربما كان يبيت
هناك . ويقول | لقلبه | (٣) خذْ من العيش ما هنَّاك . وكان قليل التكسب
بأسعاره . و | كان | (٣) إذا مدح أحداً لا يذهب الى داره ، بل يرسل
مدحه الى بعض توابعه ، راجياً بالإشارة شيئاً من منفعه ، وكان يدخل

(١) لا يزال هذا المسجد قائماً . وكان عليه يُسمَّى الفسقار (انظر تاريخ مدينة دمشق ،

تحقيقنا ، القسم الأول من المجلد الثاني ص ٥٧ رقم ١٦) ونسبته الى هشام

ابن عبد الملك غير صحيحة .

(٢) انظر التميمي ١ : ٢٠٥ .

(٣) ما بين الحطين ساقط من ه .

في جميع طرق الشعر من هجوٍ أو مديح ، أو تغزّلٍ في ذي جمالٍ
مليح ، أو من مواليا ، أو زَجَلٍ ، أو سلسلة ، أو غيرها من
هَزَجٍ ورَمَلٍ .

وكان أسمرَ اللون منقبضَ الكون .

وكان الاديب مجد الصّالحي الهلاليّ يقده ، ويذمه ويجرحه ، عملاً بما
عليه الأقران . من التحاسد والخذلان . وكان إذا أغضبه يُنكر حسَبه ،
ويستلمُ نَسَبه ، ويقول : هذا لقيطُ سَبِيّاتِ مكة . وكان في وقت
الرضا ينكرُ معرفته ويُبدي شكّه . وما كان ذلك الا للحسدِ الذي
لا يخلو منه في الغالب جسَد . (٢٣٣ آ) لاسيما أهل الفضائل ، فانّ
الحسد عندهم مركز في الطبائع لا يُزائل .

وكان هو أيضاً يسبّ بعض شعراء عصره ، ولا يسلم زيادة فضيلة
في أبناء عصره . لا سيما الشيخ محمد الصّالحي الهلاليّ المشار اليه - فانه
كان شديد البغض له والتعامل عليه . كنت يوماً ماراً في بعض أزقة
دمشق فصادفته يقول لي هل سمعتَ بالخرّاع الذي أبداه محمد الصّالحي ؟
فقلتُ : الى مَ تشير . وعلى أيّ كلامه تبدي النكير ؟
فقال : إنّه يقول في مطلع مرثيته لشيخك العلامة العماد الحنفي
الدمشقي رحمه الله تعالى :

لم أقتض من يوم الفراق شوّوني فقضيت إن الم | | أجماء شوّوني^(١)

قال : انظر الى عدم المرابطة بين المصراعين - وأي مناسبة بين الجزئين ،
هذا مع كونه مأخوذاً من مذهب الدين الموصلّي أخذاً شنيعاً . سرقة
وكساه لباساً فظيماً ، لاوشياً بديعاً ، ولا زهراً أظهره الزمان ربيعاً -
فقلتُ : كيف قال المهدّب ، في نظمه المهدّب ؟

(١) ساقطة من ه .

فأنشدني له مطلع قصيدة . منضدة من الدرر الفريدة . وذلك قوله
رحمة الله تعالى

أَعْلِمْتَ حَقًّا أَنْ مَاءَ شَوْوَنِي سَبَبٌ يَدُلُّ عَلَى خَفِيِّ شَوْوَنِي

قال : حَسَفًا وَسَوَّءَ كَيْلَةً . إنها خُطَّةٌ سَوِّءٌ فِي أَسْوَأِ قَبِيلَةٍ .
وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ كَثِيرًا مِنْ مَعَانِيهِ . وَغَلَطَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسْتَهْجِنِ مَبَانِيهِ .

فَأَمَّا مَنَاقَشَتُهُ فِي الْمَعَانِي فَغَالِبُهَا مَسَلَّةٌ ، وَأَمَّا مَنَاقَشَتُهُ فِي الْأَلْفَاظِ
فَكَالسَيُوفِ الْمَثَلَةِ ، لَيْسَتْ عِنْدَنَا بِمَقْبُولَةٍ ، وَلَا عَنِ الْأَعْلَامِ مَنَقُولَةٌ . نَعَمْ
إِنَّهُ رَأَى لَهُ ضَبْطَهُ . فِي كِتَابِ خُطَّتِهِ . وَهُوَ دِيْوَانُ الْإِسْتَاذِ عَمْرِ بْنِ
الْفَارِضِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ قَوْلِهِ فِي الثَّانِيَةِ الْكَبْرَى الْمَسْمُوتَةَ بِنِظْمِ السَّلُوكِ :

فَمِي مَرَّةٍ لِبْنِي وَأُخْرَى بِثِيْنَةٍ وَأَوْنَةٌ تُدْعَى بَعْرَةَ عَزَتْ

فإنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدًا كَتَبَهَا بِعَزَّةٍ عَزَّةً ، وَكَتَبَ اللَّفْظَيْنِ عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ
بِالْتَاءِ الْمَرْبُوطَةِ الصَّغِيرَةِ ، وَذَلِكَ مَخَالَفُ الصَّوَابِ بِلِ الْحَقِّ كِتَابَةَ الْأُولَى بِالْتَاءِ
الصَّغِيرَةِ وَالثَّانِيَةِ بِالْتَاءِ الْمُدَوَّدَةِ عَلَى أَنَّهَا فَعْلٌ مَاضٍ ، وَأَنَّ الْجُمْلَةَ دَعَائِيَّةٌ ،
أَيُّ أَعَزَّهَا اللَّهُ تَعَالَى . وَهَذَا سَهْلٌ لَيْسَ مُسْقِطًا لِفَضِيلَةِ فَاضِلٍ ، وَلَا
مُنْقِصًا لِرَتْبَةِ كَامِلٍ .

وَكَانَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ مَعَ ظَهْرِهِ بِصُورَةِ الْفَقْرِ يُتَمِّمُ بِمَالٍ كَثِيرٍ .
| وَظَهَرَتْ لَهُ بَعْضُ آثَارِ | (١) حَيْثُ أَحَبَّ بَعْضُ أَحْدَاثِ دِمَشْقِ وَشَكَا عَلَيْهِ
بِمَبْلَغٍ يَقْرَبُ مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ ذَهَبًا . وَكَانَ الْقَاضِي حَيْنُئِذٍ الْمَرْحُومَ الْعَلَامَةَ
الْقَاضِي حَبَّ الدِّينِ الْحَمَوِي الَّذِي سَكَنَ فِي دِمَشْقِ ، وَنَابَ بِهَا فِي الْقَضَاءِ
(٢٣ ب) عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَلَمَّا وَقَفَ
الْعِنَايَاتِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَقْرَأَ الْحَدِيثَ بِالْحَقِّ لَدَيْهِ ، طَلَبَ حَبْسَهُ ، وَاقْتَضَى
مِنْهُ دِينَارَهُ وَفَلَسَهُ .

(١) ساقط من ه .

فقال له القاضي : يا شيخ أحمد ! تجبسه عندك ؟

فقال : يا مولاي أنا في حبس حبه وهو في حبس مالي . وحينئذ
فلا له ولا لي .

ودام في ذلك الكلام ، ولم يحصل له منه إلا الكلام . وتفارقا ،
ثم توافقا .

والبقية من المال التي فضلت عن الحدث رام أن يخزنها الى أوان النزول
في الحدث ، فأخفاها كالحتيال . وكان يقول : لا وكد ولا مال . فخدمه
بعض المريدين ، لبعض المتصوفين . فلما غرق في سكرات الموت ، وتحقق
الخدم أنه شارب شريرة القوت مد الخادم يده إلى ما عنده ، فتناول
من بقياره ، ما أبقاه من ديناره ، فيقال إنها مئة دينار ، فذهب وتركه
وحيداً ، وأبقاه في سكراته فريداً . وكان ذلك في المدرسة البادرانية ،
بدمشق المحمية ، وذهب الشاب الذي كان يخدمه الى الصالحية . فقضي عليه
بعد ذهابه وباب الحجر مغلق عليه - ولم يكن غير الخادم المذكور أحد
يتردد إليه . فلم يشعروا به إلا بعد ثلاثة أيام . وتناول بعض المتشبهين
بقية (١) آثاته ، وما بقي من كتبه وأثوابه . وذهب مجرداً عن الفضة
والذهب ، دخل (٢) إليها مجرداً وخرج منها مجرداً ، ولعله يكون مجرداً
عن الذنوب ، فإن خطاياهم سهلة بالنظر الى الطاف علام الغيوب .

(٣) كان ابتداء اجتماعي به في سنة ست وثمانين وتسع مئة بصالحية
دمشق ليلاً في زاوية اسمها الداودية (٤) ، وصورة ذلك أني كنت مع
جماعة من الفضلاء الأعيان في الزاوية المذكورة . وكان لنا مذاكرة فيما
يتعلق بشعر الشيخ الاستاذ سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه - وحيت

(١) « بعض » .

(٢) « كما دخل » .

(٣) من هنا ساقط في ه ، ب .

(٤) انظر القلائد الجوهرية ١ : ٢٠٣ : والنبيمي : ٢٠٢ .

نارُ المذاكرة والتحمت جمعية الهاورة . وكان غصن شباني رطيباً ، وبُرْدُ حياتي قشيباً - وإذا برجل من ناحية الزاوية يُشارك في المذاكرة المباركة ، أحسن مشاركة . ويقرأ نظير ما نقرأ من الأبيات ، ويشير الى مأخذها بالإشارات الواضحات . فقرّبناه وأدبّيناه ، وبلطف المؤانسة عاملناه . فتقرب الينا ، وعطف بجوامع قلبه علينا . فسألناه عن اسمه ، ونسبه ، وأصله وحسبه . فانتسب وتسمّى ، وأوضح نفسه وما عمى . وكنا نعرفه بالسماع ، قبل وقت الاجتماع ، فازدادت المعرفة تأكيداً ، وأصبح به لباسُ الصحة جديداً ، ورافقتنا وما فارقنا ، وهو الى هذا التاريخ ، وهو سنة تسع بعد الألف لنا مصاحب . (٢٤٤) وبالآداب مناسب كتب اليّ وكتبتُ اليه . ومدحني ومدحته . وناظرني وناظرته |^(١) فمن ذلك أنّي كنت نظمت في سنة ألف من الهجرة هذه الأبيات وهي قولي :^(٢)

أما ينقضي هذا الغرامُ من القلبِ أما ينطوي هذا الملامُ عن الصبِّ
| ألا حاكمُ بيني وبين عواذلي فيسألهم ماذا يريدون من عتي |^(٣)
الأراحمُ في الحبِّ أشكو ظلامتي اليه فقد زادت يدُ البين في حربي
ألا ساعةٌ أخلّوبه فأبّثه لواعج نيرانِ أقامت على قلبي
أما في الوريّ من فيه رقةٌ رحمةٍ فيبدي له حالي ويوصله كُثبي
لقد ضاقت الدنيا عليّ لبُعده على رحبها^(٤) من غاية الشرق والغرب

(١) إلى هنا ساقط في ه ، ب .

(٢) في ه ، ب : « : وأشدته مرة أحياناً نظمناها في الغزل ، وهي في الحقيقة عجيبة

في بابها ، فريدة بين أترابها وهي قولي : « .

(٣) هذا البيت ساقط من ه ، ب .

(٤) ه ، ب « على وسعها » .

إذا لاح تبدو وقفة في تلفظي وأعدو لما ألقاه أخير من صب
فاني إفصاح ولا فيه رحمة فيسأل عن حالي ويفرج عن كرب
ولا أنا ذو فكر صحيح يدلي على سبب التأنيس أو سبب القرب
وإني إلى مولاي أنهيت^(١) حالي فغاية شكوى العاجزين إلى الرب

فوقف عليها الشهاب العناياتي المذكور فكتب نظيرها فقال: (٢)

تَعَشَّتْ فِي سَكْرِ النِّعَمِ مَغْفَلًا إِذَا جِئْتُ أَشْكُو مَا جَرَى^(٣) مِنْ أَذَى الْعَب
أَصِيحُّ بِهِ يَأْسَا كَنْ الْقَلْبِ رَحْمَةً لَمَّا بِي فَيَمِضِي سَاكِنًا سَا كَنْ الْقَلْبِ
ويزداد قلبي حرقة فوق^(٤) حرقة ويرحأ على يروح وكر بأعلى كرب
فلا البعد يسليني ولا القرب في لي شفاء فواخري^(٥) من البعد والقرب
ولا والذي يبقيه لم يدر عتي سواه كما لم يدر إله بالطب
فمن ذاق طعم العذب في الحب إني على الدهر وحدي في عذاب من الحب
ويجلو له شتمي وسبتي لعنه بحبي فيحلو لي على الشتم والسب
فيارب لا تكتب عليه خطيئة وسامحه وأصفح عنه وأحفظه ياربي

(١) ب « وجهت » .

(٢) ب « فأحب أن يعارضها على الوزن والقافية فقال ، وأجاد في المقال ،

وحلتي بمقود اللال : »

(٣) ب « هرا » .

(٤) ب « بعد » .

(٥) ه « فواخري » ، ب « فواخري » .

وكتبت^(١) أيضاً يوماً دويت :

العينُ تعينُ أختها في الدمعِ إن غاب عن الحمي غزالُ الجزعِ
الحزنُ على الفؤادِ في وحشته إذ صارَ يذوبُ مثلَ ذوبِ الشمعِ
فقال الشيخ أحمد العناياتي يعارضه :

قد ذبتُ على هواك ذوبَ الشمعِ أؤديك بنور ناظري والسمعِ
والله وإنها يمين الشرعِ حي لك يأمعدي بالطبعِ
[وكان يترددُ إليّ ، وينفضل بذلك عليّ ، زارني مرة في المدرسة
الناصرية الجوانية ، بدمشق الحمية ، وأنا مجاور بها للقراءة على شيخنا العلامة
العقاد الحنفي الدمشقي ، وكان مدرّساً بها في ذلك الزمان ، فلم يجديني في
الحجرة . فكتب لي في الخائط بالقرب من بابها :

أتيت وبني ليل من الهم عني أجليه بالانوار من طلعة البدر
فمدت كما عاد الذي شفّه الظما ولم يشفه لقيانه موضع البحر^(٢)
مرّةً مرّةً بالمدرسة الناصرية الجوانية ، فرآني مستريحاً في عالم النوم ،
فكتب علي باب الحجرة التي كنت بها مستريحاً^(٣) :

جاء الحبُّ اليك بعد سنّه رآك عنه محجّباً بسنّه
ياحسناً جاءه الحبُّ فما أوجده سوء حظه حسنه

(١) من هنا يختلف النص في الترتيب بين نص م الذي أثبتناه ونص ه وب
المتشابهين .

(٢) الزيادة من ه ، ب

(٣) ه ، ب : « وكتب علي باب الحجرة المذكورة أيضاً ، وقد أجاد أيضاً ، وقد

جاءني فوجدني مستريح البدن بفطلة الوسن قوله : «

وكتب أيضاً على باب الحجره المذكوره ، وقد جاء يزورني من دُمَل
فما رأني ، هذه الأبيات (١) : (٢٤ ب)

سلمك الله وقد ذمّ لك من كلّ سوءٍ وشفيّ دُمَلكا
ياحسن الجميع من صفاته تبارك الله الذي كَمَلكا
كملت في الخلق وفي الخلقِ فما أعرفُ إنساناً أرى أم مَلكا
وكتب أيضاً على باب الحجره هذين البيتين وفيها إشارة (٢) :

يزيدُ لكم جفاكم من ودادي وذني عندكم تلك الزيادة
لكم مني مقالُ أبي فراسٍ ولي منكم مقال أبي عبّاده
قلتُ : أشار بقوله : لكم مني مقال أبي فراس ، الى قول أبي فراس
الحارث بن حمّدان :

أساءَ فزادته الإساءةُ حظوةً حبيبٌ على ماكان منه حبيبُ
يعد عليّ الواشيان ذنوبه ومن أين للوجه الجميل ذنوبُ ؟
وأشار بقوله : ولي منكم مقالُ أبي عبادة البحرني :

إذا محاسني اللآتي أدلّ بها تُرى ذنوباً فقل لي كيف اعتذرتُ
واجتمعنا يوماً معه في مجمعٍ عظيم ، في مقامٍ كريم . فقال لي : قد
مدحتكم بقصيدةٍ في عتاب ، وأريدُ عنها الجواب .
فقلت له : إن رأيتُ القصيدة ، عارضتها بقصيدة فريده .

(١) في ٥ ، ب « وسمع مرة أن عندي دُمَلًا من دم ملا ، فجاه عائداً فلم يجدني ،

فكتب على باب الحجره هذه الأبيات : «

(٢) ٥ ، ب « وجاء مرة أخرى وكتب على باب الحجره معاتباً من سبب لعتاب »

فعرض عليّ في المجلس قصيدته التي أشار إليها وعوّل عليها . وهي هذه (١) :
تجنّي ولما أن عتبتُ تجنّباً وزادَ ترضيه عليّ تفضباً
فواحرّبا من حبّ قاس يزيديني على جورهِ وُدّاً له وتجنّباً
غزالٌ نفورٌ قطّ ماجئتُ باسماءِ اللقياءِ إلاّ صدّ عني وقطباً
يراني فيزوي وجّههُ عند رؤيتي كما شرب الخمورُ كأساً تفضباً
حلا لي فيه المرث حتى حسبتُهُ يريد بابعادي اليّ تقرّباً
فهل قادمٌ من وصله طال نأيه فيُعدي عليّ هجرٍ أقام وطنباً
فقد جار دمعي وهو يجري صبايةً وقد ملّ شعري وهو يملّي تعتباً
وأذهبتُ عمري في تلاقيه علّ أن يصادف عذري في تلافيه مذهباً
فيا راقداً أفرحت جفنماً مسهداً ويا منعماً (٢) أشقيت قلباً معذباً
عسى عطفة أحياء بها أو سنية أراحُ بها من أن أعيش مُدبذباً
ويا منيتي إمّا أردت منيتي فردّني موتاً من صدودك أعذباً
فلو أن رضوى حاملٌ ما تحملتُ صفاةً فؤادي عاد (٣) رضوى به هبباً
ولولا الهوى مالان للذلّ جانبي وكنت على قود المذلة مُصعباً
وإني لآبي الضميم إلاّ من الهوى وكم عاشقٍ سيم الهوان فما أبي

(١) ه ، ب « فكت » : وقد كتب اليّ نحو عشر قصائد من شعره . وقد أجبته عن

واحدة منها . فالقصيدة التي أجبته عنها هي قوله : «

(٢) ه ، ب « ويا ناعماً »

(٣) ه ، ب « صار »

أدومٌ بودي للحبيب وإن جفا وأحفظُ عهدي للصديق وإن نبا
وخلّ تخلى بعد أن كنتُ واثقاً بميثاقه أن لا تحلّ له حُباً
ألمُّ به تشيخَ حالي وأتقي بأخلاقه خير^(١) الرجال المهذبا
يعاقرني راحَ المعاني فانثني براحةٍ لفظٍ تُزجَعُ الشيبَ للصِبا
ويمنحني علماً وبراً كأنني أرى ابن قريب^(٢) منها والمهلبا^(٣)
وليثُ فصيحٌ فارسٌ كلُّ شارِد^(٤) (٢٥٠) بإعرابه أنسى الفصيح^(٤) وثلبا
إمامٌ أوافيه بنظمي منفضاً^(٥) فأبصره من تقده عادُ مذهباً
تماسك عن صوبي بإقباله كما تماسك صوبُ الغيث عن زهر الرُّبا
أغاث فلما أثبتَ الودَّ حاد عن رواه فأظهاه ولو عاد أخصباً
وزحزح من قدرِي لديه وقدره بقلبي أوسى من ثبير^(٦) وأرسبا
[وقلبي ينبيني بصحة قلبه ولكنه كم قلب الدهرُ قلباً]^(٧)
فيا حسناً ما زال بالفضل محسناً ولما يزل بالعلم والحلم مُحسباً

-
- (١) م ، ب « غير »
(٢) يعني الأصمعي ، فاسمه عبد الملك بن قريب .
(٣) يعني المهلب بن أبي صفرة .
(٤) يعني كتاب الفصيح لثعلب .
(٥) م ، ه « منفضاً »
(٦) أي جبل ثبير .
(٧) الزيادة من ه ، ب

أَتَسَى مَحَبًّا فِي ذَرَى فَضْلِكَ انْتَشَى
أَعِيدُكَ أَنْ أَلْقَى رِيَّاحَكَ زَعَزَعًا
عَتَبْتُ بِإِدْلَالِ الْمَقْرِّ بِذَنْبِهِ
وَخَيْرٌ لِعَبْدٍ لَمْ يَجِدْ غَيْرَ رَبِّهِ
فَإِنْ تَدْتَقِمُ لَمْ تُحْطِ أَوْ تَعْفُ لَمْ تَرَلْ
فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ الْجَوَابَ ، مُسْتَمِدًّا بِرَبِّ الْأَرْبَابِ فَقُلْتُ (٢) :

إِلَى كَمْ تُرَى بِإِرَاحَةِ الْقَلْبِ | مُغْضِبًا (٣)
أَرَاكَ فَيَغْشَانِي أَرِيَّاحُ إِلَى اللَّقَا
تَجُوزُ وَلَا تُبَدِي إِلَيَّ التَّمَاتَةَ
نَصِيحِي إِذَا أَلْقَاكَ صَدُّهُ مُبَرِّحٌ
عَلَى أَنِّي رَاضٍ بِمَا تَرْضِيهِ لِي
رَعَى اللَّهُ ظَبِيًّا مَا يَزَالُ مَنَعَمًا
يَنَامُ وَلَا يَدْرِي بَيْنَ بَاتٍ سَاهِرًا
لَهُ نَقَسٌ مِمَّا شَجَاهَ تَصَدَّقًا (٤)

وَحَتَّى مَ لَا أَلْقَاكَ إِلَّا مُقْطَبًا
فَتَعْرَضُ عَنِّي لِأَهْيَا مُتَجَنِّبًا
أَلَيْسَ التَّفَاتُ الْجِيدُ مِنْ عَادَةِ الظُّبَا
وَقَدْ كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ أَهْلًا وَمَرْحَبًا
وَأَنْتَ فَدَتِكَ النَّفْسُ مَا زَلْتُ مُغْضِبًا
وَإِنْ كَانَ قَلْبِي مِنْ جَفَاهُ مُعَذَّبًا
يُقَاسِي أَوَارًا فِي حَشَاهُ تَلَهَّبًا
وَدَمَعٌ عَلَيَّ يَنْبِنُ الْجَبِيبُ تَصَبَّبًا

(١) ه ، ب « عزأ »

(٢) ه ، ب « فكتبت إليه الجواب عن ذلك في شوال من شهر سنة تسع ومائتين

وتسع مئة فقلت : «

(٣) سافطة من ه

(٤) كذا في جميع النسخ ولعلها مُصَدِّقَةٌ .

ومما شجا قلبي وهيجَ لَوْعَتِي عَذُولٌ أَطَالَ اللّوَمَ فِيهِ فَأَسْهَبَهَا
تَطَلَّبَ مِنِّي سَلْوَةً مَا عَرَفْتُهَا وَأَبْعَدُ شَيْءٍ فِي الهَوَى مَا تَطَلَّبَهَا
أَيَبْدُلُ صَبًّا مَا صَبَا لِتَغْيِيرِ وَقَابُ حَفَوظٌ لِلوَفَا مَا تَقَلَّبَهَا
أَلَا فِدَيْقَصْرُ عَاذِلِي مِنْ مَلَامَتِي فَقَدِ رَامَ مِنْ سَلَوَايَ عَمَاءَ مَغْرِبَا
نَسِيتُ المَعَالِي إِنْ نَسِيتُ عَهودَهُ وَلَوْ صَارَ جَسْمِي مِنْ تَبَاعُدِهِ هَبَا
وَقَيْتُ بَعْدِي لِالحَبِيبِ ^(١) مِنَ الصَّبَا فَكَيْفَ سَلَوْتِي بَعْدَ أَنْ صَرْتُ أَشْيَبَا
سَقَتْ سَحْبُ الأَفْضَالِ ^(٢) أَرْضَ أَحْبَبْتِي وَلَا زَالَ وَادِيهِمْ مَدَى الدَّهْرِ مَخْصَبَا
فَقَدِ مَرَّ لِي فِيهَا لِيَالِي تَوَاصِلِ وَأَغَاظُ ظَبْيًا أَحْوَرَ الطَّرْفِ أَشْنَبَا
لَهُ حُسْنٌ وَجْهِ أَحْجَلِ البَدْرِ مُشْرِقًا وَقَدُّ قَوْمٍ أَحْجَلِ الفُضْنِ فِي الرُّبَا
وَأَرَشَفُ كَأْسِ الأَنْسِ وَهُوَ مَرُوقٌ وَأَرْتَادُ رَوْضِ القُرْبِ رِيَانُ مُعْشَبَا
وَأَنْظَرُ مِنْ حَسَنِ الأَحْبَةِ مَنظَرًا وَأَسْمَعُ مِنْ طَيْبِ الأَغَارِيدِ مُطْرَبَا
فَمَرَّتْ كَمَا مَرَّتْ أَوَائِلُ بَارِقِ وَأَبَقْتُ أَسَى بَيْنَ الضَّلُوعِ مَطْنَبَا
[فَمَا أَشْتَهِيهِ صَارَ عِنْدِي مِمَّعْدَا وَمَا لَسْتُ أَرْضَاهُ إِلَيَّ مَقْرَبَا] ^(٣)
فَصَبْرًا عَلَى حِكْمِ اللَّيَالِي وَجُوزِهَا فَرَبِ امْرِيءٍ بِالصَّبْرِ أَدْرَكَ مَطْلَبَا
وَخَلَّ أَتَانِي مِنْهُ عَتَبٌ كَأَنَّهُ أَزَاهِيرُ رَوْضٍ فَتَحَّتْهَا يَدُ الصَّبَا

(١) ب ، ه « للصديق » .

(٢) ب ، ه « الاقبال »

(٣) الزيادة من ، ب .

أتاني وجنح الليل مدّ رواقه وبدر الدجى في أفقه قد تحجبا
فلما فضضت الختم من عقد دُرّه أضاعت وجوه الأرض شرقاً ومغرباً
يخبر أنّ الودّ منه بحاله وأنّ حُسام^(١) الودّ مني قد نيباً
وأنّ الليالي غيرتني وأنني^(٢٥) بتخذت الجفا والصدّ والبُعدَ منهباً
أجل غيرت جسي الليالي وحالتي وعقد ودادي لم تُحلّ له حُبّي
بقلي له ودّ قديمٍ حفظته أقام على مرّ الليالي وطنباً
أيطلب في إثبات حبيبه شاهداً وحسنُ ثنائي عنه ما زال مُعرباً
أيجسبُ روض الحبّ جفّ نباته وورق ودادي لم يكن قط خُلباً
[أنساه أو أنسى زماناً به مضى صفالي ماقد كدّر الميمش مشرباً]^(٢)
أليس إماماً شاع بالفضل ذكره فشرّق في كل البلاد وغرباً
أليس سليل العُرّ من كلّ ماجدٍ يضيء سناه في دجى الجهل كوكباً
[أليس ابن من دان الزمان لحكمه فأضحى ذلولاً بهد أن كان مُضعباً]^(٢)
[أليس وحيداً في الزمان وأهله وإن كان كلّ الجمع فيه تكتباً]^(٢)
تعتّب كي يُبقي المودّة بيننا ومن رام إبقاء الوداد تعتباً
شهابُ المعالي إن غدا الدهر جازراً وفي وجه ما قد رمته منه قطباً
فلا تُعتبته إنّ ذلك دأبه أبصرت ذا فضلٍ به نال مارباً

(١) « حُسام »

(٢) الزيادة من ه ، ب

أَجِبْتُكَ مِنْ بَعْدِ اعْتِرَافِي بِأَنِّي جَزَيْتُكَ عَنْ شَمْسِ الظَّهِيرَةِ غَيْبَهَا
وَهَلْ يَلْحَقُ الذُّضُؤُ الضَّعِيفُ وَإِنْ سَمِيَ عِتَاقًا مِنَ الجُرْدِ السَّلَاحِبِ شُدْبَا
فَدُمُّ جَامِعًا لِلْعِلْمِ وَالْحِلْمِ مُفْرَدًا خَبِيرًا بِأَسْرَارِ الْعُلُومِ مَهْدَبًا
مَدَى الدَّهْرِ مَا دَامَتْ بَرُوقُ مِنَ الْجَمَى وَمَا نَاحَ قَرِيَّ الرِّيَاضِ فَأَطْرَبَا
وَمِنْ شَعْرِهِ وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرِ
سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ بَعْدَ الْأَلْفِ :

شَهْوُ المَحَبَّةِ لَا تَخْتَفِي وَبَارِقَةُ الشَّوْقِ لَمْ تُخْلِفِ
فِيَا مُدَّعِي العِشْقِ أَيْنَ الشَّهْوُ مِنْ الدَّمْعِ والجَسَدِ المُذْتَفِ
وَأَيْنَ الحَيْنُ وَأَيْنَ الأَيْنُ وَأَيْنَ الوَفَاءِ لِمَنْ لَا يَفِي
وَمَا عَرَفَ العِشْقَ إِلَّا فَتَى بِغَيْرِ التَّعَشُّقِ لَمْ يُعْرِفِ
لَهُ فِي الصَّبَابَةِ صَبُّ الدَّمُوعِ وَإِلْفَةُ لِاعْجَبِ المَتَلَفِ
بِقَلْبِ إِلَى الصَّبْرِ لَمْ يَنْقَلِبْ وَطَرْفِ عَلَى النُّومِ لَمْ يَطَّرِفِ
وَمَنْ لَمْ يَدُقْ بِالْهَوَانِ الهَوَى وَيَشْرَفُ بِالذَّلِّ لَمْ يَشْفِ
وَلَمْ يَنْصَفِ الصَّبُّ^(١) إِنْ قَالَ فِي تَسْلِيهِ فِي الحُبِّ مَنْ مَنِّصِفِي
فَصَبْرًا لِأَحْكَامِ جُورِ الهَوَى فَمَا فِيهِ مِنْ مُسْعِدِ مُسْعِفِي

[قلتُ : وقد تخاضرنا معه ليله ، أسأل بها الشوقُ سيله ، فقرأتُ بالمناسبة ،
أثناء المصاحبة ، قول مَنْ قَالَ ، وأجاد في المقال :

حَمَامَ الأَرَاكِ أَلَا فَأَخْبِرِينَا لِمَنْ تَنْدِينِ وَمَا تَعْلِينَا

لقد شقَّ نوحك جيبَ القلوب وأجريتِ بالدمعِ منا العيوننا
تعالِيْ نَقاسمِكِ مَمَّ النوى وندبُ إخواننا الظاعيننا
ونسعدُ كُنَّ وتُسعدُننا فَإِنَّ الحزين يُواسي الحزيننا

قال الشيخ أحمد العناباتي صاحب الترجمة : أتدري أيها الأستاذ لمن هذه الأبيات ؟ فقلتُ له : لا أدري قائلها ، غير أنني أعرف أن الوليد أبا عبادة البحراني الشاعر المشهور كان يتمثل بها كثيراً ، ويُجري بها على الحدِّ دمعاً غزيراً . وظهرت من العناباتي عبارة كانت قد صدرت مني على أسلوبها إشارة ، وهي معارضتها بأبيات فجري على مثلها العبرات . فقال مبتدئاً بذلك ، سالكاً هاتيك المسالك :

أجاعةَ الهجرِ في الحبِّ ديننا إذا لم تجودي بوصلِ عدينا
ببينيك هذا السقامُ الذي خفينا به فحفني الله فينا
وقولي لألحاظك القاتلات كم فتكين أما تكتفيننا
ظلمتِ القلوبُ أما تتقيين ما يفعل الله بالظالمينا !
قلوبٌ بسحوركِ قد آمنتُ فلا تضيي السيف في المؤمنينا
قلوبٌ إذا ما دعته العيون إلى حينها جئتها طائعيننا [

قلتُ : وقد قال بعضُ الطلبة في دمشق لما مات الشيخ أحمد العناباتي مشيراً إلى عام وفاته : مات العناباتي . فحسبنا ألقاظاً : مات العناباتي بحسب الجمل فكان موافقاً لتاريخ وفاته . مات في سنة أربع عشرة بعد الألف . وهذا من العجائب التي يقلُّ اتفاقُ مثلها . وذلك أن في اللفظ ثابن بثمانئة ، وبقية حروف العشرات مائتان وعشرة ، والآحاد أربعة

ألفات بأربعة في العدد فكان ذلك ألفاً وأربعة عشر . وهذا من غرائب الاتفاق الذي يقل وجود مثله .

قلتُ : ومن العجائب أيضاً التي اتفقت في شأن المذكور أن رجلاً من الفضلاء الصلحاء بدمشق رأى الشيخ أحمد العناباتي المذكور في منامه بعد مماته ^(١) . فقال له : يا شيخ أحمد ! قل لي ما فعل الله بك ؟ فقال له هذين البيتين . وجلس الرجل وهو يحفظ البيتين . وهما قوله رحمه الله تعالى (٢٦ آ)

كَلَوْنِي لِلْكَرِيمِ وَخَلَّفُونِي طَرِيحاً أُرْتَجِي عَفْوَ الْكَرِيمِ
لَأَنِّي عَاجِزٌ عَبْدٌ حَقِيرٌ وَإِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَظِيمِ

(٢) وبالجملة فهو شاعرُ الوقتِ بالإجماع ، وصاحبُ ديوانِ العربِ بلا نزاع ، لا يماثلُهُ في نظم الشعرِ مماثل . ولا يُشاكله في سرعة النظمِ مماثل . غير أنه ضيقُ الأخلاقِ ، خالٍ من لطفِ المعاشرةِ مع الإخوانِ والرفاق . يرى صديقه الأقرَبَ ، فيهربُ منه كأنه عقرب . ويكون مع الصديق مسامراً ، ومع العشيرةِ معاشرراً ، فإذا فارقه بوهةً من الزمان ، نسيه حتى كأنه ليس بإنسان ، أو ما رامقه ناظر ولا إنسان . ويلبس الثياب التي لا تليقُ بأمثاله ، ويتوسَّجها متوسَّجة حتى تذهب من المزاج وصف اعتداله . وهو يتعمَّمُ بالثُرزِ والصُوفِ على طريقة الصوفية . وماله اهتمامٌ بتحصيل الدنيا الدنيئة . وما تزوج في عمره الطويل ، ولا مال إلى خلية تحضنه عن خليل . وللناس فيما يعشقون مذاهب . وكلُّ شخصٍ إلى مطلوب نفسه ذاهب . وهو الآن مقيمٌ بالمدرسة البادرانية ، بدمشق المحمية . مدح كثيراً من القضاة والأمراء . وعارضني كثيراً من الكتّاب والشعراء . ففاز بالقدح العلّي ، وأصبح من الفصاحة بالمحلّ الأعلى . وفقنا الله وإياه ، إلى ما يحبه ويرضاه . إنه سبحانه وتعالى من الداعي قريب ، ويسمع ويحيب ^(٣) .

(١) ب « وفاته »

(٢) كل ماسياً ساقط من ه ، ب

(٣) إلى هنا ينتهي السقط من ه ، ب

٢٠

الشيخ أحمد المؤذن الضير الحافظ

كان رجلاً يقرأ القرآن كما أنزل بالسبع حفظاً عن ظهر قلبه . وكان يقرأ كل ليلة بعد صلاة المغرب في الجامع الأموي جزءاً من القرآن العظيم مرتلاً على كرمي الوعظ ، فيحضره أكابر دمشق وأعيانها من سائر الأصناف ما بين روم وعجم وعرب . وبالله لقد حضر قرآته هذه قاضي القضاة أحمد أفندي الأنصاري السابق ذكره . فقال لي : بالله إذا سمعت قراءة الشيخ أحمد المذكور أظن أن جبريل يتلو القرآن على محمد ﷺ . وكان مع هذا الحفظ العظيم لطيفاً حسن الخلق . أخذ القراءات عن شيخ الإسلام الشيخ أحمد الطيبي الكبير المتقدم ذكره ، وأخذ عنه القرآن الشيخ بعث الله قارئ المولد الشريف بدمشق . رأيتُه وهو يقود الشيخ أحمد المذكور الى إيوان الجامع الأموي ليقرا عليه . فكنا نعجب من أعمى يقود أعمى . وكان الشيخ أحمد المذكور يمشي على القبة العلي ، وما ذاك إلا بالهداية القلبية ، والعناية الربانية . وكان بيته تحت منارة العروس^(١) بالجامع الكبير . ولما مات فقدت الشام منه أنساً ربانياً ، ولطفاً قرآنياً وكان يُعدُّ من (٢٦ ب) محاسن دمشق .

مات في حدود التسعين والتسع مئة فيما أظن . رحمه الله تعالى .

(١) هي المنارة الشمالية من جامع بني أمية . انظر عنها كتابنا : مسجد دمشق .

٢١

الشيخ أحمد الكردي العمادي الشافعي

نزيل الكلاسة بدمشق

هو الشيخ الذي اجتهد على تحصيل العلوم ليلاً ونهاراً ، واتخذها له شعاراً . ورَدَ الى دمشق الشام في حدود تسعين وتسع مئة ، ونزل بالمدسة الكلاسة^(١) . وكان يتروّد إلى المدسة الناصرية^(٢) الجوانية ، بدمشق المحمية . وكان يقرأ عليّ شرح « جمع الجوامع » في الأصول للمحقق المحلي ، و كنتُ بعد فراغه من القراءة في الكتاب المذكور أمردُ عليه حصّةً كبيرة من « شرح المواقف » للعلامة السيّد عبي الجرجاني ، لأنه أخبرني أنّه قرأه على بعض المحقّقين في بلاده . واستمرّينا على هذا المنوال الى أن قرأ شرح « جمع الجوامع » بتمامه ، وقرأتُ أنا موقف المقدمات وموقف الأمور العامة وموقف الجواهر ، إلّا قليلاً . ولازم بعد ذلك الإقراء والإفادة للطلبة في جميع العلوم ، واشتهر بدمشق وطار صيته في الآفاق . وصار للناس فيه اعتقادٌ حسنٌ جداً بحيثُ أنه كان يُذكرُ بكمالِ الصّلاح في مجالس حكّام دمشق . وصارت له علوفةٌ من الجوالي بدمشق نحو عشرين درهماً عثمانياً كلَّ يوم ، وتوسّل اليه إلى مكانه فينفق منها على نفسه بالكفاف . وهو الآن أنفعُ الموجودين للطلبة . ولقد اجتمعتُ به بالجامع الأمويّ ليلاً ، وكان ذلك ليلة الاثنين أواسط جمادى الأولى من سنة

(١) انظر النيمي ١ : ٤٤٧

(٢) انظر المصدر السابق ١ : ٤٥٩

تسع بعد الألف ، فتذاكرنا معه أحاديث اجتماعنا به ، وخاض معنا في كثير من العلوم ، فوجدته (١) قد ترقى الى العناية في حفظ العلوم لاسيما المواد الكلامية .

أخبرني من أثق به من فضاء الطلبة أن الشيخ عمر الحرساني تزيل الخانقاه الشيعية رأى الشيخ أحمد المذكور بعد وفاته في منامه فقال : يا عمر أنت خدامتي في مرضي كثيراً فخذ هذا . وأعطاه شيئاً . فاستيقظ وفي يده دينار من الذهب . ورآه كثيراً من الناس وتعجبوا من ذلك .

وبلغني أن رجلاً قال للشيخ عمر المذكور : أعطني هذا الدينار بثلاثة دنانير ، فما أعطاه وأبقاه في يده تبركاً .

وهو الآن مقيم بالمدرسة الكلاسة بدمشق ينفع الناس بالتدريس والدعاء ، سهل الله لنا وله طريق الخيرات ، ودفع عنا وعنه جميع المضرات . وتوفي الشيخ أحمد الكردي العمادي المذكور في يوم السبت التاسع والعشرين من ذي الحجة من سنة تسع بعد الألف ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله (٢٧ آ)

٢٢

الشيخ أحمد الجوهري

هو أحمد بن علاء الدين بن محمد بن محمد بن عمر بن ناصر الدين بن علي بن عمر البهرا، مآبادي الجوهري نسبة إلى بهرام آباد، قرية من قرى إصفهان، على ما كتب لي ولده سيدي أبو بكر بخطه .

هو الشيخ الذي نبغ من دوحة المجد، وأدرك الجدَّ السعيد بسعادة الجد، وهو وإن كان مولده في دمشق الشام، سقاها صوب الغمام، لكن أسلافه وردوا من جناب إصفهان. وقطنوا بدمشق دار اليمن والأمان. ونشأ سيدي أحمد هذا طالباً للعلوم لمجرد تحصيل الكمال، لا لإدراك شيء من الأموال، لأنه كان غنياً إلى الغاية، متمولاً إلى النهاية، وكتب الخط الحسن المليح، ونظم النظم الفصيح الصحيح. وسافر إلى الأقطار، وجاب العمران والقفار، ورجع إلى دمشق بمالٍ غزير، وخيرٍ وافٍ كثير، وألقى بها عصا الترحال. وأقام لا ينوي عنها الزبال. ووَكَكَل من يتعاطى لها أمور دنياه، وهو مقبلٌ على طاعة مولاه .

ولم يزل مقيماً بدمشق لا يريم، واتخذ له أصدقاء كلهم صالحٌ وكريم يتذاكر معهم كلام العارفين، ويُحاضرهم في أحوال الأولياء السالفين .

وكان حسن الشكل طويل القامة، ظريف اللبسة لطيف العمامة. وخلف بدمشق أربعة أولاد: علي، وسليمان، وأبو بكر، وحسن .

فأمّا عليٌّ فإنه سافر إلى بلاد مصر، وأقام مدة في الصعيد. ثم رجع

به الحظ السعيد ، إلى أن كانت وفاته بالحرم المقدس الأقصى . وأدرك بذلك المقام الأقصى .

وأما سُلَيْمَان فقد أُسِرَ في نواحي البحر عند دمياط ، واستمرّ مقيماً في الأصر بمدينة مالطة نحو ثلاثة أعوام ، إلى أن أحسن الله خلاصه .

وذلك أنّ رجلاً كان مأسوراً بمدينة مالطة المذكورة وله معرفة بالوزير خضر باشا الحاكم يومئذ بمصر المحروسة فأرسل الوزير المذكور ، من اشترى الرجل المزبور ، من نفس مالطة . فلما حضر الرجل وخلص الى مصر حكى حضرة الوزير المذكور عن حال المأسورين بمالطة ، وما يجذونه من الألم والجفاء ، وذكر له سليمان بن أحمد [الجوهري] صاحب هذه الترجمة وقال له : إنّ فكّ أسيرٍ من يد أهل مالطة يعدل عند الله حجة مبرورة . فأرسل الوزير رجلاً بمالٍ فاشترى جماعة من أعيان الاسرى ألقى أسماءهم إليه ذلك الرجل المذكور ، ومنهم سليمان المذكور فخلص وجاء الى مصر .

واجتمعتُ به وسألته (٢٧ ب) عن حال الاسرى ، فذكر أموراً عجيبةً . ورأيتُه قد تعلم لسان النصارى بمالطة . وذكر لي أنّ غالب أهل مالطة يعرفون العربية لانهم كانوا في الاصل في بلاد ساحل القدس ولما ملك بلاد الشام المرحوم السلطان العادل نور الدين الشهيد والمرحوم الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب خرج ملوك السّاحل مع طوائف النصارى الى بلاد الكفر ، فعين لهم ملك النصارى جزيرة مالطة فقتلوا بها .

وأخبرني أنّ أهلها يقولون : مدينتنا هذه وما يتبعها من البلاد وقفٌ يحيى النبي عليه الصلاة والسّلام . وذلك لأنه قد غسل المسيح عليه الصّلاة والسّلام في نهر الاردن المقارب لفلسطين في يوم المعمودية ، ولذلك أكرمه الملوكُ ووقفوا عليه هذه الجزيرة .

وذكر لي قصةً عجيبةً تدلّ على كمال خفة عقول النصارى . وهي أن أهل مالطة عندهم صنمٌ كبير من الذهب مرصعٌ بالجوهر يُعظّمونه بحيث يعبدونه ، وله خدامٌ من رهبانهم وقسيسيهم ، وفي كل سنة يأخذ الصنم المعبود رجلٌ منهم ويُلقيه في بستان بين زهر الفول ، ويقول للملوك بها والأمراء ولبقية عوام الناس : إن ربكم قد غضب عليكم ورحل عنكم . فيجدون لذلك من الألم ما لا يعلمه إلا الله جلّ وعلا . ويلبسون خشن الثياب ، ويأتون إلى الراهب الذي أخبرهم بغیظ معبودهم ويقولون له : كيف السبيل إلى أن تُترصّي معبودنا علينا ؟ وكيف الطريقُ إلى رجوعه إلينا ؟ فيقول لهم : ما آن الأوان ، ولا قرب الزمان ^(١) . فيسترون على الحزن والألم والصيام ولبس خشن الثياب ثلاثة أيام أو ما قاربها ، ويجمعون أموالاً كثيرة للربان الذين يخدمون ذلك الصنم ، إلى أن يقول لهم الراهب الموكّلُ به : اليوم يرضى عليكم ويرجع . فيخرجون لاستقباله ، ويذهب الراهبُ ويأتي به من موضعه ، ويدخلُ به المدينة بشهرة عظيمةٍ واستقبالٍ عامٍ ، إلى أن يدخله إلى مكانه وعند ذلك تطمئن قلوبهم ويفرحون بعود معبودهم إليهم ورضاه عليهم . فنعودُ بالله تعالى من هذا الفعل السخيف الذي لا يرضى به من في عقله ذرّة من الصّعة . اللهم ثبتنا على الإيمان ، واجعلنا من أهل التوحيد والایقان بلطفك وعنايتك بأرحم الراحمين .

وأما أبو بكر فإنه صاحبنا وصدقنا ، وتلميذنا ورفيقنا . قرأ عليّ في أوائل أمره . ولازمني في صدر عمره . وصارت له معرفة كاملة بالعربية ، والفنون الأدبية . وله شعرٌ حسنٌ ، فمن ذلك (٢٨ آ) قوله :

يا مَنْزِلًا بفراديسِ الشّامِ سقى رُبًا مغانيك هَطالٌ مَرَوِيها

فلي بموطنك السامي أخو ثقةٍ فدته روحى مع الدنيا وما فيها
وأشدني قصيدةً لنفسه يذكر فيها منازل الحج لأجل صديق له حج .
ولولا خوف الاطالة لذكرتها ، لأنها قصيدة حسنة في بابها ، فائقة عند
أربابها .

وأما أخوه سيدي حسن فإنه في هذا التاريخ وهو سنة تسع بعد
الألف مقيم بمصر المحروسة لصيق صدر له في دمشق الشام ، سقاها صوب
الغمام . وله فهم فائق ، وشعر في بابه رائق . كتب الي مكاتيب تدل على
لطف طبعه واستقامة فكره .

ولنرجع الى ذكر والدهم سيدي أحمد صاحب الترجمة فنقول : كان
صاحب كرامات وأحوال ومكاشفات صدرت منه قرب الانتقال . وكان
موسوماً بعلم الكيمياء ، وصرف عليها مالاً كثيراً ، واستمر ملازماً على
العبادة ، عاكفاً على السجدة والسجادة . إلى أن توفاه مولاه وانتقل الى
رضاه . وكان له شعر حسن فمن ذلك قصيدة مطَّلَعُها :

بأبي الشوس الفاتكات نواعسا الجالبات الى القلوب وساوسا
لا يرتجى لأسيرهن إفاقة كُنْ مِنْ خَلَاصِكَ إِنْ أُسْرْنَاكِ آيسَا

وهي قصيدة فريدة مشهورة مذكورة .

وله أبيات حسنة وهي قوله :

هذي المنازل قبلنا كم قد تداولها أناس
كم مدعٍ وضمعاً وكم من مدعٍ وضع الأساس
فرسوا وغيرهم أجتى من بعدهم ثمر الغراس
دولٌ تمرُّ كأنها أضغاثٌ حلمٍ في نُعاس

م (٨)

وله كراماتٌ وخوارقُ عادات ، تدلّ على أنّه من أهل الولاية ، وأتته
وصل من الكمال الى النهاية .

والحسنُ الجوهريُّ المشهور في دمشق جدّ صاحب هذه الترجمة لأمه .
وهو الذي صنع القماري الثلاث العظيمة التي فوق محراب الجامع الأموي
بالمقصورة .

ولما دخل المنصور الغازي السلطان سليم الى بلاد الشام استقبله الجوهري
المذكور . وكانت له عنده الرفعةُ التامةُ .

وللحسن المذكور بيوتٌ بدمشق ، وعماراتٌ لطيفة ، ومسجدٌ عليه أوقافٌ
دارّة .

وأخبرني مَنْ أثقُ به من أقاربهم أنّ العارف مولانا عبد الرحمن
الجامي ، قدّس الله سرّه السامي ، ورد الى دمشق حاجاً فأنزله الحسنُ
الجوهريُّ المذكورُ في بيته وأكرمه الى الغاية .

وحاصلُ الأمر أنّ بيت الجوهريّ بدمشق ، بيتٌ كبيرٌ معروف
بالمعروف ، وموصوفٌ بإكرام الضيوف .

وُلد صاحبُ الترجمة ، على (٢٨ ب) ما أخبرني ولده سيدي أبوبكر
المذكور ، في أواسطُ جمادى الآخرة من سنة ست عشرة وتسع مئة ،
وتوفي في مستهل شهر ربيع الأول من سنة ثمانين وتسع مئة ودُفن بدمشق
بمقبرة الباب الصغير ، وكانت له جنازة عظيمة جداً . رحمه الله تعالى .

٢٣

الشيخ أحمد البهنسي

هو صاحبنا ورفيقنا ، وتلميذنا وصديقنا . وهو أحمد بن يحيى بن محمد ابن محمد البهنسي الحنفي . سَابَّ نَشَأَ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ ، وَلَمْ يُعْرِفْ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ طَرِيقَ الْحَقِّ بِلَا اسْتِبْهَاءٍ ، بَلْ نَبَغَ فِي الدَّوْحَةِ الْبَهْنَسِيَّةِ فَرِيداً ، وَاجْتَهَدَ فِي تَحْصِيلِ الْعُلُومِ زَمَاناً طَوِيلًا مَدِيداً . اخْتَارَنِي جَدُّهُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ نَجْمِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْبَهْنَسِيِّ لِإِقْرَائِهِ وَإِقْرَاءِ أُخِيهِ | الْمَرْحُومِ |^(١) سَيِّدِي مُحَمَّدٍ . فَأَمَّا مُحَمَّدٌ فَإِنَّهُ مَاتَ سَابِئاً وَمَافَارَقَ سَنَةَ الشَّبَابِ ، وَاحْتَرَقَتْ فِي لَوْعَتِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَلْبَابُ . وَاسْتَمَرَّ الشَّيْخُ أَحْمَدُ هَذَا يُطَلِّبُ الْعُلُومَ وَحْدَهُ ، وَيَسْعَى عَلَى تَحْصِيلِ الْكِمَالِ جَهْدَهُ . بَحِثَ أَنَّهُ قَرَأَ | عَلِيٌّ |^(٢) « الْمَقْدِمَةُ الْآجِرُومِيَّةُ » مَرَّتَيْنِ بِتَحْقِيقٍ وَتَدْقِيقٍ وَتَحْرِيرٍ وَتَقْرِيرٍ . ثُمَّ أَقْرَأْتُهُ بَعْدَهَا « الْقَوَاعِدُ الْكُبْرَى » لِلْعَلَامَةِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ هِشَامٍ ، فَانْتَفَعَّ بِهَا انْتِفَاعاً كَثِيراً ، وَرَأَى مِنْهَا خَيْراً غَزِيراً ، وَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ فَصَارَ لِي وَلِأَيِّهِ قِرَّةٌ عَيْنٍ . ثُمَّ أَقْرَأْتُهُ « شَرْحَ الْبِهَاءِ ابْنِ عَقِيلِ الْحَنْبَلِيِّ » عَلَى أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ « فَقَرَأَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ قِرَاءَةً مُتَقَنَةً الْعَافِي ، مُحَرَّرَةً الْمُبَانِي ، بَحِثَ لَمْ يَغَادِرْ مِنْهُ لَفْظَةً وَاحِدَةً ، وَأَتَعَبَ فِي مَطَالَعَتِهِ عَيْنًا سَاهِدَةً . ثُمَّ أَقْرَأْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ « شَرْحَ الْحَسَامِ الْكَافِي لِلْمَقْدِمَةِ الْمُنْطِقِيَّةِ الْمَسَاءَةِ بِإِسَاغُوجِي » فَقَرَأَهُ أَيْضاً مَرَّتَيْنِ بِكِمَالِ التَّحْقِيقِ ، وَغَايَةِ التَّدْقِيقِ ، ثُمَّ أَقْرَأْتُهُ مِنْ « شَرْحِ الْمَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَامِيِّ » قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ السَّامِي ، حِصَّةً صَالِحَةً دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُ أَهْلٌ لِمَعْرِفَةِ جَمِيعِ الْكُتَابِ مِنْ غَيْرِ

(١) سائطة من هـ

ارتياب . ثم إنه رام الترقى الى مدارج الكمال ، وسام التأهل لمدارك التعظيم والإجلال ، فابتدأ في قرآنة « شرح التلخيص في البلاغة » للمولى العلامة سعد الدين التفتازاني ، وقطع عن نفسه عند الاستعمال به العلائق ، فانجحت له عرائس الحقائق ، وابتسمت في وجهه ثغور الدقائق ، فأحاط بقراءة الكتاب المذكور علماً . وأدركه حفظاً وفهماً . بحيث أنه كان يسرد علي أنواع الاستعارة صنفاً صنفاً ، ويقرأ ألفاظها حرفاً حرفاً . وعن له عند فراغه السفر مع والده وأخيه الى جانب دار السلطنة قسطنطينية العظيمة | فحصلوا على المرام |^(١) ، وحصلوا ما أرادوا من العلوقات السلطانية على وجه التمام ، ورجعوا إلى دمشق سالمين غانمين بعون رب العالمين . وهو الآن مدرسٌ بالعادية (٢٩ آ) الصغرى وخطيبٌ بجامع السلطنة السلمانية^(٢) بدمشق المحيية . وله الحشمة الزائدة ، والحرمة المتزايدة ، بحيث أنه معدودٌ من الأعيان الكرام ، بدمشق الشام . والحمد لله على ذلك ، سلك الله بنا وبه أقوم المسالك . وهدانا الى طريق الخيرات ، وسهل لنا سبيل المبررات . إنه سبحانه وتعالى سامع الأصوات ، ويجب الدعوات . آمين .

(١) ما بين الخطين ساقط من هـ

(٢) انظر ذيل ثمار المقاصد ص ٢٢٥

٢٤

الشيخ^(١) أحمد الشهير بابن عبد الهادي

هو أحمد بن محمد الصفوري أصلاً، العربيّ الدمشقيّ مولد أ. قدم أبوه الشيخ محمد من صفّوريّة، وهي قرية من قرى الأردن، وهي الآن تابعة لصنجد صقّد. وكانت قديماً من الحصون الكفريّة التي افتتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب الكردي الأيوبيّ رحمه الله تعالى. ولها قلعة حصينة جدرانها قائمة متينة^(٢) الى الآن. فظن بقرية عقرباً^(٣) من توابع المرحّلين والغوطة | بدمشق^(٤)، واتخذ بها بساتين ومسّاكن، وتزوج بنت الشيخ عبد القادر بن سوار شيخ الحيا بدمشق، وانفع كل منها بصاحبه، في حوادث الدهر ونوائبه. فعصل له منها أولاد كثيرون، منهم الشيخ أحمد المذكور صاحب الترجمة. فنشأ هذا طلباً^(٥) للعلوم والمعارف. واستظلّ في دوحه التقوى بظلّ ظليل وارف. فعصل منها طرفاً صالحاً على مذهب الامام الشافعيّ رضي الله عنه، بحيث انه صار أهلاً لتفهم المنهاج الفقهي للطلبة. ولازم الفقير مدّة قليلة. وأوقاتها ليست بطويلة. فقرأ عليّ من « شرح التلخيص المختصر » للعلامة السعد التفتازاني قطعةً صالحة، وحصّة ناجحة. وهو الآن في نية العود لإتمام قراءة الكتاب

(١) ه، ب « الآخ الأجد الشيخ احمد ... »

(٢) م « مبنية »

(٣) من قرى غوطة دمشق. انظر غوطة دمشق لكردي علي .

(٤) ساظمة من ه

(٥) ه، ب « طالباً »

المذكور، شرح الله منّا ومنه الصدور، إنّه لطيف غفور .

وبالجملة فهو من بيت عبد الهادي، افتخارُ الحاضرِ والبادي، وعروقهم
ثابتة المغارس في قرية صفورية المذكورة. ولهم بها زاوية مشهورة يقصدها
الوافدون للمطالبة العلمية، والفتاوى الدينية .

والفقيه مؤلّف هذا الكتاب مولده في القرية المذكورة، ووالدني
منها، وإن كان والدي من قرية بُورين من قرى نابلس. ولما بلغت سنّ
التمييز أخذني والدي إلى زاويتهم بالقرية المذكورة، فجلستُ لقرآءة القرآن
الكريم عند الشيخ نبهان قدس (٢٨ ب) الله سره، ابن عمّ الشيخ أحمد
صاحب هذه الترجمة. فقرأتُ عنده القرآن بتمامه، من ابتدائه إلى ختامه .
وكان شيخهم الكبير. الذي يأخذون عنه الهداية ويكتسبون التنوير، الشيخ
جلال الدين الصفوري الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. ونشأ له ولد عالمٌ عامل،
صالحٌ كامل، يُقال له الشيخ تاج الدين رحمه الله تعالى فقدم دمشق وطلب
ودأب، وقرأ في الفقه والأدب. وحفظ القرآن بطرق السبعة، وجمع بحيث
حمد العارفون جمعه. ومات بدمشق رحمه الله تعالى .

وهم بيت كبير، وبالصلاح والعلم شير. ولهم بالشام أقاربٌ وأهالي .
وبقرية صفورية الأصل، وغالبُ الأهل من السادات والموالي .

وأما انتسابهم إلى حضرة الفاروق فهي نسبة صحيحة، أدلتها واضحة
صريحة، بحيث تشهد بها أفعالهم الطاهرة، وأحوالهم الظاهرة. مامنهم إلا
من اشتغل وحصل، وفرّع وأصل، وحفظ وتلا، وترقى وعلا. فأدام
الله تعالى لهم البركات، وأجزل لهم المبرّات آمين .

وقد توفي الشيخ أحمد ابن عبد الهادي هذا في أواخر ذي القعدة من
سنة تسع بعد الألف، ودفن بتربه القصارين في جانب قبر عاتكة رحمه
الله تعالى .

٢٥

الشيخ أحمد بن رجب الشهير بمحيطي
الرودي^(١) ثم الدمشقي

هو الشيخ الذي استمطر سحاب المعارف ، واستظل من دوح الفضائل بالظل الوارف . وُلد بجزيرة رودس الجزيرة الشهيرة التي افتتحها السلطانُ المرحومُ السلطان سليمان ، ونشأ طالباً للقرآن العظيم ، ومجتهداً على^(٢) تحصيل العلم ، ومتمقتهً على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه . فارتحل الى دار السلطنة بقسطنطينية ، وقرأ على علماءها على قاعدتهم متنقلاً من مدرّس الى أعلا منه ، الى أن صار من ملازمي شيخ الإسلام محمد أفندي ابن قاضي العساكر بستان أفندي ، فجعله قاضياً بالعسكر المرادي حين تجهيز العساكر لفتح بلاد الشرق على يد سردار الأعظم مصطفى باشا . فعظي عند سردار المذكور ، حتى صيرّه معلماً لأولاده . وانتقلت به الأحوال من حال الى حال الى أن سافر الى مكة المكرمة فهجّ الى بيت الله الحرام ، وتاب عن الخطايا والآثام ، وتوجه بصدق الى باب الملك العلام . ولما رجع من مكة الى دمشق الشام ، أحبّ الإقامة بها وصمّم على ذلك . لكن ، لم يكن (٢٩ آ) له في الشام ما يكفيه ، فلم يزل يتوجه إلى مولاه وإلى أوليائه الأحياء والأموات حتى سهل له طريق الإقامة ، وحباّه من فضله بالكرامة . فصارت له علوفة من زوائد السلطان سليمان

(١) ب ٥ « الرومي »

(٢) ه « في »

والسلطان سليم ، ومن جزية أهل الذمة أيضا . فعند ذلك تروّج ، ولم يزل يتقلّب في أطوار الإيجاد ، حتى صار بالخلوة الحليّة ، في نفس جامع بني أميّة ، التي كانت في يد الشيخ بدر الدين الغزّلي . فعند ذلك ألقى عصا الإقامة ، ورفع الله تعالى وأقامه . وصار مُعْتَقَدَ الأنام ، من العرب والأروام ، وغيرهم من طوائف الأعجام . وهناك صرتُ له مصاحباً . وغدوتُ له خِدْنًا وصاحباً . يزورني وأزوره ، ويحبّني وأحبّه .

وأما فضيلته العليّة فانما كانت في الرتبة العليّة . وكان يُحسنُ فهم العبارات الدقيقة ، ويعرفُ الفرق^(١) بين المجاز والحقيقة . وكان شاعراً مطبوعاً في اللغة التركية . ولذلك تلقب في شعره بمحيطي ، لأنّ هذه عادة الأروام ، يذكر كلُّ أحدٍ نفسه في آخر شعره بما يدلُّ على مدح ، نحو باقي وأنوري وسعدي ومحيطي . وكانت له معرفة تامة باللغة الفارسيّة حتى إنه ترجم الكتاب المسمّى « بالمتنوي » للشيخ جلال الدين البلخي الرومي . نقله من الفارسيّة الى التركية نظماً ملتزماً ذلك بيتاً بيتاً ، وساع له بذلك ذكرُ بين الروم والعجم .

وحاصلُ الأمر أنّه نالَ من الخطوة عند الأكابر ما لم ينله غيره من أبناء نوعه . ودرس بالشام بالمدرسة الجوهريّة^(٢) . تلقّاها عن الشيخ زين الدين ابن سلطان الحنفي واستمرتُ بيده إلى أن توفّاه الله تعالى .

وأما أخلاقه فإنها كانت أرقّ من النسيم ، وقد صافح الزّهر ، وألطفَ من نغمات الوتر في أوقات السّحر . وكان أكرمَ من الغمام ، وأحلمَ من أحنف بلا كلام . يتصدّقُ على الفقراء ويستمنحُ لهم الأمراء . وكان رقيقَ القلب غزيرَ الدمعة ، متواضعا على عظيم الرفعة .

وأشعاره بالتركية كثيرة ، معروفة شهيرة . فمن ذلك مطلعُ سمعته :

(١) « ويفرّق »

(٢) انظر النعمي ١ : ٤٩٨

كاه نارزُفَه كه كِسُوِيَم ايلزار تباط كوردم كوكلم كي بن بربريشان اختلاط
وله بالفارسية أيضاً بعض أفراد من ذلك قوله محرّضاً على شرب
قهوة البُن :

قهوه خورقهوه دل سَخْتِ تَرانم كُنْد قهوه جمعيت افسرده دلان گرم كُنْد
ولولا عدم المناسبة لكتب العربية ، لذكرتُ من أشعاره التركية شيئاً
كثيراً ، وكان قد سار مع الأمير محمد بن منجك إلى بستانه الذي في الشرف
فرجع من عنده راكباً (٣٠ ب) على فرس ، ورأيتُه في رجوعه ذلك تحت
قلعة دمشق ، وما رأيتُه على عادته فسلمتُ عليّ سلاماً فيه إشارة الى الوداع .
والتفت اليّ بعد مضيّه التفاتاً يؤذنُ بيعدِ الاجتماع . فرجعتُ الى بيته
عائداً ، وحاله رائداً . فقال لي ، وقد عانقتني : أنتُ أصدقُ من رافقتي .
وفاضتُ منه الدموع . | وأتبعتهما من جفوني بالغيتِ الهومع |^(١) وطلعتُ
من عنده حزينَ الفؤاد . عديمَ الرقاد . فنادى عليه في ذلك المرض منادي
الحين . وصاح به غرابُ البين . فودّع الإخوان ، واستسلم للدهر الخوان
﴿ كلُّهُ مَنْ عَلَيَّهَا فَاَنْ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .
فبأي آلاءِ وبكما تكذبان ﴾^(٢) .

(١) ما بين الخطين سائط من هـ

(٢) سورة الرحمن ٥٥ ، الآية ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨

الشيخ أحمد الخالدي الصفدي

رجلٌ وُلد في مدينة صفد ، فشرّف هاتيك البلد . وقرأ القرآن وبعض المقدمات العليّة . وكان له أخٌ أكبر منه يُقال له شمس الدين الخالدي . وكان لها والدٌ لا يخلو من شرة في الدخول الى بيت القاضي . ولما وصل أحمد وأخوه الى مرتبة الرحلة سافرا الى مصر للطلب ، وقرأ أحمد هذا على مذهب الإمام الأعظم ابي حنيفة النعمان ، عليه من الله الرحمة والرضوان . وقرأ أخوه على مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه . وبرّع كلٌّ منهما في مذهبه . وقرأ شهاب الدين هذا العربية والعروض ، وصنف فيه كتاباً نفيساً .

وصدر لها قصة عجيبة وهي أنّ رجلاً في صفد يُقال القاضي شهاب الدين له ولدٌ جميل الصورة حنثُ الأعطاف ، نحيلُ الحصرِ ثقيلُ الأرداف . فعلق به شمس الدين وهو الكبير . وربما شاركه في ذلك شهاب الدين أحمد وهو الصغير . وذلك لكون الولد كان يتردّد الى شمس الدين المذكور للقراءة عليه ، وتصحيح تجويد القرآن بين يديه . وكثرة التردّد ، موجبةً لعلاقة التودّد . فلما طال زمان التعلق . شرع الشيخ شمس الدين في الخضوع والتلقّ . فلم يستفد من ذلك مطلوباً ، ودام دمعُه على خديه مسكوباً ، فطلب وألح . والمطلوبُ مارقٌ ولا سمح . فيقال إنّه نال ما طلب كُرّها وساعده على ذلك أخوه وبعض الطلبة ، ونال بذلك الشيخُ من الصبيّ ما طلبه . فاشتهر ذلك في مدينة صفد ، وامتأّت بذلك الحبرُ البلد . فلزم أنّ أباه ثار ، كمن يكون له ثار . وجاء الى مدينة دمشق مُستعدياً على

الخالدين . ونسب اليها مانسبه المتقدمون الى الخالدين . حيث قال فيها
من قال وأجاد في المقال :

وَوَدَّ العِراقَ مَغِيرَةً العِرابِ فَأَحْفَظُ ثِيابَكَ يا أبا الخِطَّابِ
لا يَنْهَبانِ أَخا الثِراءِ وَإِنما يَتَناهِبانِ نَتائِجَ^(١) الألبابِ

فاشكى بالقصة ، ومعها ولده صاحب الغصّة . فأرسل اليها حاكم البلدة
جاويشاً فيحضراً إلى دمشق ووقعا على علمائها وقع الحریم ، وبكى كل منهما
بكاء اليتيم . وكان الفقير بمن ساعدهما ، وسدّ بالتعديل ساعدهما . وأنا العبد
الفقير صاحبُ التأليف ، معتمداً في ذلك على لطف الملك اللطيف . وثبت
لها البراءة بحسب الشرع الشريف . وإن كانت التهمة قد أخذت موضعها
منها من غير احتياج الى تعريف . ولعري لقد كان المشوق غصناً رويأ ،
وبدراً كاملاً بهياً . تتناثر القلوب من أطراف غصنِ قدّه ، كما تتناثر
أوراقُ الحريف باستيلاء جيش الشتاء وصدمة جنده . ورجع الغزال الى
صفده ، والغريب الى بلده ، وثبت الجماع بإجماع ، وشاع به السماع . لشواهد
الاستماع . والله هو |^(٢) المعين ، وبه نستعين .

قلت : وقد عرض أحمد صاحب الترجمة عليّ كتابه الذي صنّفه في
العروض . وكانت الرضاة لجواد فهمه تروض ، فكنت عليه في سنة تسع
مئة وأربع وتسعين ، في دمشق عند قدومه مع اخيه في قصة الغلام ، الذي
لم يظفر منه بمرام .

أروضٌ نصيرٌ دججته الأزاهرُ وجادٌ به غيثٌ من المزنِ ماطرٌ
وصافحه كفٌ النسيمِ بسُحرةٍ ففاح بها نشر من الطيبِ عاطرٌ

(١) م « تناكح »

(٢) ساقطة من ه

أم الزُّهْرُ في أفقِ السَّاءِ كأنها
والإمدام من معانٍ ولفظها
دهشتُ فما أدري بماذا أقيسُها
تملكتِ الأفكارَ مني فحسبُها
أتتني وجنحُ الليلِ مدَّ رواقه
فصيرتُها مني نديمًا محادثًا
وقلتُ لها من أنتِ يارَبَّةَ البهائمِ
فقلت: وغارِ الدرُّ وأصفرَ لونه
أنا ابنةُ أفكارِ الشهبائيِّ أحمدِ
فقلتُ أجلُ هذا البليغُ الذي له
من الخالدين الذين فخارُهم
هو الفاضلُ المعروفُ في الناسِ من له
حلقتُ بوصفِ الفضلِ من كلِّ فاضلٍ
وبالفهمِ قد رقتُ حواسمه فانبرتُ
وبالشارداتِ المشكِّلاتِ تصيدُها
لأنتِ شهابُ الدينِ من خيرِ عُصبةٍ
وَصَفَتْ كِتَابًا لِانظيرِ لَوْضِعِهِ
ثغورُ بدورِ بالصِّفاءِ زواهرُ
كؤوسٌ لأربابِ العقولِ تُخامرُ
وليس لها في المبدعاتِ نظائرُ
لقلبي بأنواعِ الصبابةِ أمرُ
فلاح به ضوءٌ من الصبحِ مَافِرُ
وزلتها عندي حبيبًا يُسامرُ
حَنَانِيكَ جودي فالكرِيمُ مُجَابِرُ
كذلك مازالت تغارِ الضرائرُ
أبي الفضلِ من أمتِ حماءِ الجواهرُ
جواهرُ لفظِ دونهنَّ الجواهرُ
يقصر عنه في الورى من يُفاخرُ
كالماتِ فضلِ دونها الغيرُ قاصِرُ
تضيء له في المشكِّلاتِ البصائرُ
خفايا المآني منه وهي ظواهرُ
فهومٌ لأربابِ العقولِ بواهرُ
يعرِّ لهم في العالمينِ المناظرُ
بأسطره بجرِ الفضائلِ وافرُ

وقد تركت في السانين أوائل خفايا علومٍ أظهرتها^(١) الأواخرُ
تأملتُ فيه بانتقادٍ وخبرةٍ ومثلي لمقدار الجواهر خابرُ
فصادفته رَوْضًا من الفضل ناضرًا تبسّمٌ للتحقيق منه أزاهرُ
فَدُمُّ هكذا ترقى على فلك العلي وجودك مقصودٌ وفضلك باهرُ
مدى الدهر ما أملى التشوق صادقٌ فأظهر وجدًا كدَمته الضائرُ
وقد قلتُ من شوقي إلى الحي منشداً أرَبِعُ سُلَيْمِي لِأَجْفَتِكَ المِوَاتِرُ
قلتُ : وقد كتب اليّ قصائد ، في ضمنها فوائد ، في طيها فرائد ، في
غضونها عوائد ، فمن ذلك قصيدة مطلعها :

من لي بهيفاء لا أسطيع سلوانا عنها ومن دمع عيني عينٌ مه وانا^(٢)
أجل ومن حبرا قد همتُ ذاققٍ فسئل حنيبًا^(٣) وسئل بدرًا^(٤) وسئل وانا^(٥)
وقد حوت رقةً منها شدّهتُ فلم أقدر على النبسِ لولا لطفها جانا
مُدَّ أقبلتُ ناهزتي في مداعبةٍ فصرتُ منها عليل القلب حيرانا
ومنها :

زارتُ ورازتُ وأزرتُ أذبتُ فعدتُ في النظم فائقةً قسا وسحجانا

(١) « أبرزتها »

(٢) سلوان علة في روض بيت المقدس تحتها عين عذبة (أحسن التقاسيم للمقدسي)

وقال باقوت إنها علة في وادي جهنم ظاهر المقدس (معجم البلدان)

(٣) يعني جبال حنين قرب مكة (انظر معجم البلدان)

(٤) يعني سهل بدر بين مكة والمدينة (انظر معجم البلدان)

(٥) ذكر باقوت أن (وان) قلعة بين خلاط ونواحي تفلين . وما تدري إذا

كانت هي التي عنانها الشاعر .

فَقَمْتُ إِذْ ذَاكَ إِجْلَالًا لِمَا عَظُمَتْ
عِنْدِي وَقَبْلَتُهَا فِي الْخَدِّ جَدْلَانَا
وَقَلْتُ: مَنْ أَنْتِ يَا ذَاتَ الْجَمَالِ لَقَدْ
صَيَّرْتِ ذَا فِطْنَةٍ بِالْوَجْدِ وَلِهَانَا
كَمَلْتِ إِذْ فُقِّتِ فِي حَسْنٍ وَفِي غَيْدِ
وَلَمْ يَزَلْ كُلُّ صَبٍّ فِيكَ نَشْوَانَا
إِذَا الَّذِي حَبَّرَ الطَّلَابَ رَوْتُهُ
هُوَ الَّذِي بَعْدَ ذَلِكَ الصَّدِّ أَحْيَانَا
وَمِنْهَا فِي الدَّعَاءِ :

حَيَاهُ رَبِّي وَأَحْيَاهُ وَبِوَاهُ
جَنَاتِ عَدْنٍ حَوَتْ حُورًا وَوَلَدَانَا
مَارَتْ نَسَمَاتُ الشُّوقِ عُصْنِ تَقَا
فَاخْجَلْتِ قَدَّ بَانٍ عِنْدَمَا بَانَا
وَمَا عَلَى الزَّهْرِ جِرَّ الذَّيْلَ رِيحُ صَبَا
فَحَرَكْتَ مِنْ قُدُودِ الرَّوْضِ أَغْصَانَا
هَذَا وَهَذَا أَتَتْ تَدْعُو لِعَزَّتِكُمْ
مِنْ أَحْمَدِ الْخَالِدِيِّ مَوْلَى لَمَوْلَانَا
(٢٣٢)
وَأَرْسَلْتُ إِلَيْنَا قَصِيدَةً أُخْرَى مِنْ
صَفْدٍ مَطْلَعُهَا :

هَلِ النَّجْمُ فِي أَفْقِ الْبِرَاعَةِ لَامِعٌ
أَمِ ابْتَسَمَتْ تِلْكَ الْغَزَالَةُ فِي الضَّحَى
إِلَى أَنْ يَقُولَ فِي آخِرِهَا :

فَمَنْ عَلَى عَبْدِ الْوَلَاءِ بِنظرةٍ
وَرَدَّ حَسُودًا أَطْمَعْتُهُ الْمَطَامِعُ
عَلَى أَنْ بَاعِي فِي الْقَرِيضِ مُقْصِرٌ
وَرِاحَتِي بَيْنَ الرِّوَا حِلِّ ظَالِعُ
وَعَبْدُكَ هَذَا الْخَالِدِيُّ مُقْبَلٌ
ثَوِي نَعْلَمُ وَالْحَرْثُ بِالنَّزْرِ (١) قَانِعُ
قَدُمُ فِي هِنَاءٍ وَاعْتِبَاطٍ وَعِزَّةٍ
وَمُسْتَقْبَلُ الدُّنْيَا لِمَا ضَرَعُ

(١) « ب » البر »

الى أن يقوم الخلق للحق ربنا وها أنا المولى بذلك ضارع
تحل لطلاب العلوم غوامضاً فأنت بجود الفهم للعلم جامع
| قوله: فأنت بجود الفهم للعلم جامع ، هذامصراع يتضمن تاريخ قدوم

المكتوب في سنة ست عشرة بعد الألف من الهجرة النبوية .
وهذا صورة المكتوب الوارد منه في التاريخ المذكور :
المولى الأكرم ، والسَمِينِدَع الأَفْخَم ، ذو الفصاحة والبراعة . حاوي
كنوز المعارف ، وجامع مطالب العوارف ، كنز الفضائل . وذخر أرباب
الفواضل . كهف الطلاب ، ومرجع أرباب الالباب بيت :

وإن طراز أحيك من نسج تسعة وعشرين حرفاً عن معاليك قاصر
باباريه الصافات ، ومسكها في جو السماء ، ويامن وقت لاقتناص شوارد
الحكم من مفاوز النعماء . كما أنرت بدور حقائق العلوم الدينية ، مشكورة
سريره . وصورت من غرر دقائق الفهوم العرفانية ، مرآة بصيرته ، فاجعل
زمان الجمهور منوطاً بحسن تدييره وكفايته ، وصير حوزة المعالي محوطة بين
حمايته وكفايته ، ويسر له سبل الخيرات . واحرسه بلائكة الأرضين والسموات .

بقيت بقاء لا يجد أوانه ولازات في اعلى المراتب راقياً

هذا وإن توجت بحار الكرم ، وذخرت مياه الجود والنعيم ، بالتمفضل
بالسؤال عن حال محبة الداعي الحقير اللاجئ ، فهو ملازب على المحبة القديمة .
وملب على المودة المستدبة . فما الشوق الحاصل عنده اليكم بمحدود ، ولا
التوق الجاذب الى رحابكم بموصوف ولا معدود ، فأفكاره عبايد ،
وتشوفه مع تشوقه اليكم في كل يوم يزيد . ولقد تشرّفنا بكم بكم الشريف ،
الحاوي لكل معنى (٣٢ ب) لطيف . وقد أرسلنا الى حضرتكم هذا

المكتوب ، فيعودُ ويرجعُ بغير المطلوب . وماذاك إلا أن الرسول يقول :
قصدتُ المولى فما ظفرتُ من لقيانه بالأمول . وقد التجأ الى جنابكم حاملها ،
واستجاز بجزرتكم ناقلاً من أن يحدث له ضيرٌ ، وحاشاه أن يجلب به سوى
الخير ، ويديه صورة فتوى . فادفعوا عنه بالجواب البلوى ، فإن جرى مداد
قلكم على صفحات القرطاس ، بما فيه النفع لجميع الناس ، فهو حريٌّ بالقبول .
عند أهل المعقولِ والمتقول . وفيضُ إحسانكم لا يزول ، ولا يعتري بدر
فضلكم أفرول . والزمانُ قد عضنا بنابه ، وكلُّ منّا قد اعتراه ما حلَّ بأصحابه .
والعارفُ لا يعرفُ . وهذا المكتوبُ بأناملكم يتشرّف . والسلام على
الدوام . (١)

وكتب اليّ قصيدةً ثلاثة في أوائل شهر ربيع الأول سنة ست عشرة
وألف (٢) ، وأرسلها اليّ من صفد الى دمشق المحروسة مطلعها :

لقد جاوزَ المقدارَ ما كان في الوهمِ	وزادَ فهذا غايةَ العزمِ والحزمِ
أبجتَ حريمَ المكرماتِ ومن أتى	لبابك أضحي مجدُ وافرَ القسمِ
وحققتَ آمالَ الظنونِ براحةٍ	توشحَ منها بالحياها مرُّ الوسمِ
حميتَ ثغورَ القاصدينِ من الأذى	وحصنتها بالمكرماتِ من العدمِ
فمالك نهبٌ (٣) في البشاشة والندي	وذكرُك في الآفاقِ سارٍ مع النجمِ

وختام القصيدة هذا البيت :

فدُمُ أبدأ للقاصدين بهمةٍ
تصولُ بكفِّ لا تروُّ عن اللثمةِ

(١) الى هنا ساقط في ه ، ب

(٢) ه ، ب « بمد الالف »

(٣) ه « نهر »

وكتب (١) اليّ قصيدةً رابعة في صفر الخير سنة إحدى وعشرين وألف
صحبة تخميسه للقصيدة الهزبية للشيخ الأوصيري مريداً منّي أن أفرّط تخميسه،
وأن أمنحه بالمدح تأنيسه . والقصيدة على وزن الهزبية . وهي قوله :

كيف تُحصي علومك العلماءُ أو تضاهي أفضلك الفضلاءُ
وقد أوتيت خِلمةَ الفضلِ قُدماً وعلا الوجهَ منك منها سناءُ
كلُّ مَنْ كان نفسه حدّته بمضاهاته في الخزي باؤا
هل برومُ السِّبَاقِ للريحِ ظيُّ وتُداني جُواننا النبلاءُ
يا لِحَيِّ اللهِ عاذلاً قد وماني بجديدِ اللسانِ وهو بلاءُ
المِثْلِي لومٌ على مدح مَنْ قد شَرُفتْ بامتداحه الشعراءُ
لهُ أذنٌ عن العذول إذا ما لأمي من ضلاله صماءُ
فاقتصروا عاذلي عن اللومِ وأعلمُ أن ذا اللومِ يا أخي إغراءُ
أفانفَ المجدُ أن يؤمَّ سواهُ ولعلياته أنتمي العظماءُ
هو فذٌّ في عصره وفريدٌ مذ غدت موطئاً له الجوزاءُ
ثم صاد النسرَينِ دونِ حبالِ فتردي عدوهُ العواءُ
وإليه قد قيدَ كلُّ جموحٍ وعنتُ لأتباعه العلماءُ
ثم في كونه خلاصةً وقت ليس فيه إذا الكمالِ خفاءُ

(١) من هنا سائط في ه ، ب حتى نهاية القصيدة الهزبية .

فاغتنبُ سيدي بما منح الله وكن شاكراً فنعم العطاءُ
لا يفِي بامتداحِ ذاتك وصفُ فيعيها الانشادُ والانشاءُ
كيف ينسأغ ذا وذاك وأنسى يتسنى لوصفها استيضاً
وقد استجمعت مجامع فضلٍ عجزت عن تحصيلها العقلاءُ
ما أقلت ولا أظلت حقيقاً مثل هاتيك الفبراءُ والحضراءُ
فمقام حلت حل به السعدُ ولا فوق ذا المقام ارتقاءُ
لاتضاهيه حتى تسمع كفُّ منه بالجودِ حيث تهني سماءُ
من يُشبهه في المكارم بالبحرِ فذاك الضلالُ والإغواءُ
فهو الجودُ والجوادُ ولكن منه ينشأ عن الأنامِ السخاءُ
وهو لاشك معدنُ لفخارٍ ولذي سوودٍ إليه انتماءُ | (١)

قلتُ: وهو في هذا التاريخ، وهو سنة إحدى وعشرين بعد الألف،
مقيمٌ بمدينة صفد يُفتي على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله
عنه، وينوب في القضاء بها، ويُعارضه في الفتوى رجل يُقال له زين العابدين
المنداوي منسوبٌ إلى كفر مندل، وهي قرية من توابع صفد المذكورة.
وهذا زين العابدين من عجائب المخلوقات. وستأتي ترجمته إن شاء
الله تعالى.

٢٧

الحاج أحمد العجمي

[الصالحى ثم الدمشقي] ^(١)

هو ^(٢) رجل من الأعيان ، والكرماء ذوي الشأن . جمع مالاً غزيراً وعقاراً كثيراً . اشترى بيتاً عظيماً كان للأمير قانصوه الغزناوي ، واستمر على ذلك إلى أن دَخَلَ إلى الشام أمير الأمراء مراد ^(٣) باشا حاكماً بها . فولاه أمانة البهار . وأمير الأمراء عادةً يخدمه بها من صار أميناً على البهار . فأرسل إليه الحاج أحمد بعضها . فأرسل أميرُ الأمراء يعاتبه على عدم إتمامها على العادة ، وتوعده في ضمن المعاتبه . فأرسل يقول : إذا رجعتُ من الحج وهو حاكم فليبريقني .

(١) الزيادة من ه ، ب

(٢) يختلف مطلع الترجمة في ب ، ه عما هو عليه في م . وهذا ماورد في ب ، ه : « كان هذا الرجل في مبتدأ أمره قصاباً . وكان والده من أرباب الصنائع . ونشأ له أولاد منهم احمد المذكور هنا . ولما اشتهر أمرم بالقصابة بجمل لحم العارة السلمانية والسليمية ، فعملوا ذلك . ففتح حائلهم به . فدخلوا بعد ذلك في التزام مال السلطنة على شروط منها أن يصير احمد المذكور أمير عشرة ، وهو المسمى في هذه الدولة العثمانية باونباشي . فصار في هذه المنزلة مدة مديدة ثم عُزِل عنها . وصار يضمن الأموال السلطانية ، مثل مقاطعة الغنم ، ومثل سوق الحريز ، ومثل الاحتساب ، ومثل أمانة البهار بطريق الحجاز ، ومثل امانة مسكة الدراهم والدنانير بقلمة دمشق ، وغير ذلك . واقفى من ذلك مالاً عظيماً ، وعقاراً كثيراً اشترى بيتاً عظيماً ... » ثم يتفق النصان

(٣) انظر الباشات والقضاة ص ١٦

فَسأل الباشا عن معنى يبريقني ؟ فقال له بعضُ الناس : معناها فلينتقم مني .
قاقتضت الحكمةُ أنه رجع من الحجِّ ومراد باشا حاكم بدمشق .
فعند وصوله أمر برفعه الى قلعة دمشق . فطال مكثه بها الى أن ضاق
ذرعهُ ، وعيل صبرُهُ . فتوافق على من عنده في الجبس فردموا الجبس من
داخل بحيث صار فتحه | من الخارج |^(١) متعذراً . ثم نصحه الناسُ
فأزال ماخلف الباب من الردم ، ووزن مالاً (٣٣ ب) كثيراً وأخرجه
مراد باشا المذكور ، وتعجّب جميعُ الناس من سلامته بعد ما حبسه ولكن
للعر حصن حصين .

ثم لم يزل بعدها ماکثاً في برج الراحة مختاراً لصفاء الببال ، إلى أن
جاء إلى الشام حاكماً بها السيدُ الشريفُ محمد باشا الوزير الإصفهاني الأصل^(٢)
من قسطنطينية المحيية . فألزمه بأمانة البهار . فسار الى مكة مع ركب
الحاج في سنة تسع بعد الألف فرجع سالماً . ولما رجع رأى أمير الأمراء
بالشام محمود باشا ابن الوزير سنان باشا الشهير بابن جفال^(٣) . فأدسى من
مال البهار حصّةً وبقيت عليه حصّةٌ . فطلبوها منه ، فقال : أنا ما حصلت
سوى ما أخذتم مني . فحبسوه عند رجلٍ من جماعة محمود باشا المذكور .
فاتفق من العجائب أن زَوْجَتَهُ سمعت بحبسه ، فاعتراها غنيات
وصفراء ، فلم تزل على ذلك^(٤) حتى ماتت صبيحة يوم الأحد ثالث شهر ربيع
الأول من سنة عشر بعد الألف . فبلغ زوجها وهو في الجبس خبر
موتها ، فأرسل الى الباشا رجلاً يطلبُ منه أن يمكثه من السير لحضور
جنازة زوجته . فأذن له الباشا في ذلك . وقال الموكّل به لا أمكنتك

(١) ما بين الخطين ساقط من ه ، ب

(٢) انظر الباشات والقضاة ص ١٩

(٣) انظر المصدر السابق ص ٢٦

(٤) ه ، ب « على هذا الحال »

من السير الى أن تعطينا حقّ جنسي . فراجعه في الكلام^(١) ، وكأته
شدّد على الموكل به ، لحصره بسبب^(٢) موت زوجته وتأخره عن
حضور تجهيزها ، فأغلظ الكلام عليه ، فيقالُ إنّه ضَرَبَهُ وعصر مذاكيره
إلى أن مات أيضاً في يوم موت زوجته . فمات في يومٍ واحدٍ . وغسلوا
الحاج أحمد المذكور في جامع جرّاح^(٣) لأنه مات في خان الباشا^(٤)
عند سوق السروج ، وذلك خارج دمشق ، وعادةً من يموت خارج
[سور]^(٥) المدينة أن لا يدخل إليها . وجاءوا بزوجه من بيته وخرجوا
بالجنازتين معاً . ولما ارتفع الجنازتان صاح الناس وبكوا لذلك بكاءً
شديداً وعجبوا من ذلك الاتفاق العجيب ودُفنا في يوم الأحد المذكور
خلف جامع جراح ، وذهب دمه هدرأ .

وكان رحمه الله تعالى | كريم النفس^(٦) | ، رفيع الهمة ، صافي المزاج ،
غير أنّه كان ضيق العطن ، إذا ضاق صدره يتكلم بكلام لامع له
رحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين .

وقد طلب مني ابن أخيه سيدي أحمد بن منصور أحياناً ينقشها على
قبر عمه الحاج أحمد المذكور . فقلتُ ارتجالاً هذه الأبيات مشيراً إلى قصته
مع زوجته في موتها :

هذه البقعة التي حلّ فيها منّ قضيّ واحلاً لربّ كريم
أحمدُ منّ غداً شهيداً بظلمٍ واعتداءً والله خصمُ الظلوم

(١) ه ، ب « في ذلك الكلام »

(٢) ه « لحصره على موت »

(٣) عند مقابر باب الصغير . انظر ذيل ثمار المقاصد ص ٢٠٥

(٤) ه ، ب « خان جماعة الباشا »

(٥) من ه ، ب

(٦) ساقط من ه

والمعجمي^(١) شهرة من أبيه كان ذا همّة وجودٍ جسيم
وهو مع زوجة له ونسط قبرٍ دُفنا جملةً بحكم الحكيم
هو بالقتل وهي بالموت حزناً (٢٢٤) قد اريحا من حكم دهرٍ غشوم
وزمان الرحيل في عام عشرٍ بعد الف إلى جوار الرحيم^(٢)

(١) ب « المعجمي »
(٢) يختلف ترتيب الأبيات هنا عما هو عليه في ه ، ب

٢٨

الشيخ أحمد شهاب المصري
ابن الشيخ محمد المصري الحنفي

إفاضل^(١) | اشهر صيته بين الفضلاء ، ونيل^١ كامل^٢ شاع ذكره في
الأقطار بين النبلاء . سلك طريق العلم أولاً على طريق العرب ، ومشى
فيه على قانون الأدب . ومهر في المنثور والمنظوم ، ثم استحسن طريق
الروم ، بالملازمة الصرفية ، التي تتبعها الملازمة اللغوية ، فسلك هاتيك الطريق ،
على قلّة من بها من أبناء نوعه من الرقيق ، إلى أن وصل إلى خدمة
المولى المرحوم سعد الدين معلم السلطان . وحاز الملازمة من جانبه الرفيع
الشان . ولم يزل يعلو وينمو ، ويفوق ويسمو ، إلى أن صار قاضياً بالبلدة
التي يُقال لها أسكُوب^٣ ، على صيغة الأمر من سكب يسكب . وهي
مدينة في أرض روم ايّلي ، وقاضيا على اصطلاح آل عثمان ، جليل المقدار
معدود^٤ من الأعيان . وهو من بيت علم بالديار المصرية مشهور ، وبالفضل
الغزير مذكور . ومن شعره على ما أنشدنيه الشيخ الفاضل ، الأديب الكامل
الشيخ محمد الحتاتي المصري بدمشق الشام ، سقاها صوب الغمام :

خالٌ بخدٍّ معذبي متعبد من خوفِ نارِ الحدِّ أن يصلّاها
قالت له أصداعُ جامعِ حُسنه لنوَّ ليَّتك قبلةً رضاها
وله أيضا :

لعلِّي محاسنٌ ما لها قطُّ مُشْبِهَةٌ
وبشامات خده كرم الله وجهه

وله أيضاً :

يامن تجلّي لطرفي القاب طُورٌ جمالك
بواو صدغك عطفاً لمقسمٍ بجبالك
فكلُّ فضلٍ ووصفٍ من أجل حبِّ وصالك

قلتُ : وذكر لي الشيخ مجد الحناتي المذكور أن له شعراً كثيراً كلّه جيد . ويحفظ من أشعاره الكثير . وأنه يلحظ ذلك في خاطره لينشده لنا في مجلس آخر مبارك إن شاء الله تعالى . وكان هذا الاجتماع والإنشاد في أوائل سنة اثنتين وعشرين بعد الألف من الهجرة النبوية المحمدية المصطفوية على صاحبها ألف سلام وألف تحية .

أحمد افندي ابن شاهين^(١)

الولد الحبيب ، والحليّ النجيب ، الذي يزكو غرسه على سحائب الأدب
ويطيب ، ويستاح من قلب جوده الفضل القريب ، من أجري من كلِّ
أغلةٍ منه الماء المعين | مَنْ فهِمَهُ الذهب الحاصل الابريز ، وتمييزه فاق كل
تمييز^(٣) | وهو رومي الأصل والنِجَار . وإن كان عربي المولد والدار .
| قرأ عليّ ورغب (٣٤ ب) اليّ . حتى صار فارس العربية وحامل
لواء البلاغة في المملكة الدمشقية . والعجب أنّه عسكريّ وابن عسكري ،
بل أبوه واسطة عقد العساكر السلطانية ، في البلاد الشامية . فتروك ذلك
الطريق . ورغب في خدمة العلم وأهله على التحقيق . ولزمني مدّةً مديدة .
ولزمته وطلب العلم عندي في أعوامٍ عديدة .^(٤) | وهو الآن^(٥) من
عجائب من نشأ في هذه الأيام ، ووالده^(٦) جنديّ مشهور في الأناضول . جلب
أولاً عند فتح قبرص من الذين أخذوا منها ، وتزوج بدمشق | وهو في
عسكرها الينكجيرية^(٧) | فولد له هذا الولد . ونشأ محباً للعريّة ، مجبولاً

(١) اسم المترجم له ساقط من ب

(٢) ب « الخليل »

(٣) ما بين الخطين ساقط من ه ، ب

(٤) ما بين الخطين ساقط من ه ، ب في هذا المكان .

(٥) ه « وهذا من عجائب من نشأ » ب « ونشأ في هذه الأيام »

(٦) ه ، ب « فإن والده »

(٧) ما بين الخطين ساقط من ه ، ب

لها |^(١) على كمال المحبة والعصية . فخالط فضلاء دمشق وعاشرهم ، وانتقى من ستمهم أحسنه ، وقرأ العربية واجتهد فيها . ودأب في تحصيلها . وقرأ الشعر العربي وحفظ منه كثيراً ، وانتقى من أكثره ، وخالط الماهرين فيه ، وتعلم لسان الفرس ومهر فيه الى الغاية ، وصار يقرأ منه الأبيات المليحة في ما بين العارفين بذلك . وأمّا اللغة التركيمة فهي لغته الأصلية ، باعتبار أبيه وأمه . ولما^(٢) اشتهر صيته ، وأسهل على كثير في العلم |^(٣) تتيته ، أراد إثبات فضله ، عند أهله . فكتب إليّ هذه القصيدة الفريدة في شعبان من شهر سنة تسع عشرة بعد الألف من هجرة خير الأنام ، عليه من الله والسلام التحية . [ونقلتها من خطه الزيتن بضبطه]^(٤) :

قف بي فلي إثر الحدوج حنين	ومن الصباية ظاهر وكين
قف بي لأذري الدمع ثم فإنه	دين علي لهم وعندى دين
ظهنوا وقلبي حيث سار فريقيهم	متعل بالعود وهو شطون
رام التفاتاً للمعالم ساهياً	وتلقت القلب الطعين جنون
وسأت عيني البكاء ففاضتا	أسفا ويفقد دمه الحزون
للقلب عذراً في فراق ضلوعه	ولفقدتها الدمع الشئون شئون
أأضن بالدمع اختياراً بعدم	إني على كرمي إذا لظنين
أعير لحظ العين بهجة منظر	من بعدم إني إذا لحنون

(١) ساقط من ه

(٢) ه ، ب « لزمي مدة مديدة ، وطلب العلم عندي في أعوام عديدة ، ولما اشتهر صيته » والمجلتان الأوليان مرّاً في اول الترجمة .

(٣) ساقط من ه

(٤) الزيادة من ه ، ب

كَمْ مِنْ لِيَالٍ مَازَمْنَا عَهْدَهَا
أَهْلَ اللَّوِيِّ أَوْ هَكَذَا^(١) شَرَعَ الْهَوَى
رَدُّوا فُؤَادِي أَوْ خَذُوهُ بِسَائِرِي
كَلَفْتُمُونِي فِي هَوَاكُمُ خَطَّةً
وَتَرَ كَسْمُونِي مِنْذُ بِنْتُمْ مَفْرَدًا
أَوْ مَا كَفَاكُمْ شَافِعًا فِي الصَّبَا
قَدْ كُنْتُ أَحْتَسِبُ الْوَلُوعَ مَعْرَةً
إِنَّمَا تَوَلَّتْ رَاحَتِي مِنْ رَاحَتِي
وَلَرْبِ عَيْشٍ مَرَّتِي فِي حَلْوِ الْجَنَانِ^(٢٣٥) بِظَبَاءٍ وَجَرَّةٍ وَالشَّجُونُ فَنُونُ
حَيْثُ الشَّبَابُ يَرْفُ يَانِعُ غَصْنِهِ
حَيْثُ الرَّبِيعُ ضَوَاكُ أَزْهَارِهِ
حَيْثُ الْوَجُوهُ الْغُرَّةُ قَنَعَهَا الْحَيَا
يَسْبَعْنَ فِي قَطْعِ الرِّيَاضِ رَوَانِمَا
يَنْظُمْنَ لِي عَقْدَ الْهَوَى فِي بَارِقِ
السَّافِرَاتِ كَأَنَّهِنَّ كَوَاكِبُ
فِيهِنَّ حَالِيَةُ الشَّوَا حَسَانَةٌ

مُدُّ بِنِّ إِلَّا أَنَّهُنَّ شَجُونُ
تَلَوِيُ الدِّيُونُ وَيَعْتَقُ الْمَرْهُونُ
يَظَاعِنِينَ وَكَيْفَ شَتْمُ كُونُوا
مِنْ دُونِهَا صَعْبُ الْهَوَانِ يَهُونُ
لَا يَطْبِيئِي فِي الْإِنَامِ | خَدِينُ
وَصِبَابَتِي وَالْمَجْدُ وَالْعَشْرِينَ
وَالْيَوْمَ سَيَّانِ الْهَوَى وَالْهَوَانُ
فَلِظَالِمَا سَهَيْتُ عَلَيَّ حُزُونُ
وَتَمَّارَهُ مِنْ عَادَلِيهِ ظَنُونُ
وَالْمَاءُ مَصْقُولُ الْأَدِيمِ مَعِينُ
وَالْبَشْرُ فَوْقَ جَبِينِهَا مَقْرُونُ
إِنَّ الْجَنَانَ لَهَنَّ حَوْرٌ عَيْنُ
وَكَأَنَّهِنَّ الْاَوَّلُوُ الْمَكْتُونُ
وَالْمَائِسَاتِ كَأَنَّهِنَّ غُصُونُ
وَالْحَسَنُ يَرْفَعُ شَأْنَهُ التَّحْسِينُ

(١) فِي النَّسْخِ « أَمْ كَذَا »

ترهو على أترابها بي مثلما
بأبي الضياء وبدردين محمد
ماذا أقول بمن به وبعلمه
في الفيت شبه من علومك والذي
لك في المحافل جرأة أسديّة
لك في المحافل منطق يشفي الجوى
لك في القلوب حمة وممزة
لك ما تحب وترفضه فكن كما
كل المعارف زينة^(٢) لملها
أدب بروقك منظرأ بل إنه^(٣)
وإذا طها بحر العلوم بصدرة
وإذا تداول مبحثنا في مجلس
وإذا امتطى قلم يديه فبالحرى
وإذا جرى طلقاً بضمائر العلا
أنت الذي شغف البراعة يافعا

ترهو على كل القرى بورين
حسن له سعد السعود قرين
قد ضاعت^(١) الدنيا وجل الدين
ترضاه أن البحر فيك كمين
واسانك العضب الصقيل سنين
من بعضه التسهيل والتبيين
ومودة فزوالها مأمون
طلبت منك لك الإله معين
إلا علاك تصوغها وتزين
بحر يشوقك فلكه المشحون
فإذا له الكتب العظام سفين
فهنالك أركان^(٤) للعلوم متين
أن تستمد له السواد عيون
فهو الجواد وسبقه مضمون
وصبا إليه العلم وهو جنين

(١) م « أضاءت »

(٢) ه « ب » رتبة »

(٣) ه « ب » بل مخبراً »

(٤) ساقط من ه

جسمي بقيدِ الفضلِ منك مُقَيَّدٌ والقلبُ مني في ذراكِ رهينُ
 ولئن صنعتُ بروضِ فضلكِ يانعا غرستهُ بالإحسانِ منك يمينُ
 فمُنذ انتسبتُ إلى عَلاكِ تيقنتُ نفسي بأنكِ للجميلِ ضمينُ
 وإليكما هذراءُ تَخْطُرُ (١) عِزَّةٌ ولها إلى عاليِ حماكِ ركونُ
 سحبتُ على سَحْبَانِ ذَيْلِ فصاحةٍ فانصاعَ يترَو تارةً ويلينُ
 صدحتُ بها وُزْقُ البَيانِ يزينها طوقُ من المعنى عليه فنونُ
 سَقَيْتُهَا من ماءِ شَرخِ شَبِيبَتِي فلذا الحسودُ بجسمنها مفتونُ
 وكسوتُها رَيطَ الأزهارِ غُبا ما جادته ناضرةُ القطارِ هتونُ
 وملاَّتْهَا حِكْمًا فأصبحَ عصرُها وبه أَبْقَراطٌ وَأفلاطونُ
 سامتُ فيها فِكرتي فكأنما تسعى إلى يَدِنتها الزرجونُ
 لا بَدَعَ أن نطقتُ بفضلكِ أيها م الشيخُ الرَّئيسُ فإنَّها القانونُ
 أو حَلَقْتُ نحوَ النجومِ تصيدها مدحا إليكِ فوالدي شاهينُ
 هي معجزٌ من أحمدٍ وورودُها من أصلِ مصدرها الجميلِ مَبِينُ
 لو أن هاروتا رأى نَفثاتها لَقضى لها بالسبقِ حيث تكونُ
 ولو أنَّ بشاراً تكلفَ قولَةً منها لعاد وإنَّه لغبينُ (٣٥ب)
 من كلِّ بيتٍ لو تدفَّقَ طبعُه ماء لفضَّ به الفضاءَ البينُ

هي قطرة من بحر فضلك سيدي ولها بتأميل القبول يقين
هي همة صقلت سعودك متمها^(١) عزماً كما شحد الحسام قيون
فلا فخرن وألهجن لسيدي وحقوق مثلي في الكرام ديون
لازلت صدر الشام دعوة منصف تشجي عداك ومن شناك فدون
مادامت الأملاك تدعو بالبقا ويومها بدعائه جبرين

قلت: قد أنشدني هذه القصيدة الفريدة ، فحك الأدياء قاطبة بأن
فكرته مجيدة ، وجعلوا بروزها من طبعه المستقيم ، وفكره السليم ، وذهنه
التويم ، من أعظم البراهين ، على قدرة الملك العليم . وذلك لأن سنه
ماجاوزت العشرين ، وطريقته ماتبت في صيد المعاني أباه شاهين ، لأن
أباه عسكري الطريق ، جندي الأسلوب على التحقيق . وقد تروى عنده ،
من يوم أن^(٢) مهتله مهده ، الى أن ثبت بالفعل مجده . فكان كمن
جمع بين الضدين ، وسلك في طريقين متباينين . غير أن الطبع إذا جبل
لاتغير جبلته ، ولا تحوّل طريقته . ولعمري لقد نبغ غصناً رطيباً ،
ونشأ للفضل نسياً . وألف مدحاً في النظم ونسبياً . وأعرّب إذ أعرّب .
وأنشأ وأنشد ، وأفاد فأجاد ، وبين إذ عيّن .

ومدح في التاريخ المذكور حضرة شيخ الاسلام . مفتي | جميع |^(٣)
الأفام ، العالم العامل ، صاحب الفضل الوافر الشامل ، حضرة صنع الله أفندي
مفتي السلطان . بقصيدة بعيدة المنال . بديعة المثال^(٣) . مطلعها :

حيّ النازل بالنقا فزرد
فالقوتين فهدنا المهود

(١) ه ، ب « خنتها »

(٢) ساقط من ه ، ب

(٣) ه ، ب « المقال »

ومدح في ذلك الوقت أيضاً قاضي قضاة دمشق حضرة نوح أفندي
ابن المرحوم قاضي العساكر أحمد أفندي الأنصاري الشهير بابن روح الله
تعالى بقصيدة نادرة في بابها، مفردة بين أتربها، ومطلعها :

عَتَبْتُ عَلِيَّ فَلَذَّ لِي الْعَتْبُ خَوْدٌ لَدَيَّ عِذَابُهَا عَذْبُ

ومدح الخدم الأجدد، مولانا درويش محمد، ابن مولانا شيخ الاسلام
مفتي الأناط، صنع الله أفندي المدوح المذكور سابقاً بقصيدة مطلعها :

أَقُولُ أَوْهٌ وَتَارَةٌ آهَا تَغْنِيماً فِي بَدِيعِ ذِكْرَاهَا

قلت : ومدحه لمولانا صنع الله أفندي المذكور كان بدمشق المحروسة
أدام الله منازلها الأنوسة ، حين قدومه إليها من دار السلطنة العلية العثمانية
الأحمدية ، قسطنطينية المحمية . حماها الله تعالى من طوارق البلية . وكان
قدومه إليها ناوياً الحج الى بيت الله الحرام ، وزيارة نبينا محمد عليه
الصلاة والسلام . وكان نوح أفندي قد ورد صحبته الى دمشق قاضياً بها ،
وله صهارة مع شيخ الاسلام المفتي (٣٦ آ) المذكور ، لأنه تزوج بنته
فأتى معه لتجهيز مهملات الحج بدمشق ، وورد معه ابنه المدوح المذكور ،
وقد اتصل المادح أحمد جلبي المذكور بالمولى المفتي المذكور بدمشق وصار
تلميذاً له وملازماً على قاعدة علماء الروم في دولة بني عثمان ، أدامها الله
تعالى إلى | انقضاء |^(١) الدوران . وكان قدومه الى دمشق في غرة شهر
رمضان يوم الأربعاء من سنة تسع عشرة بعد الألف |^(٢) وأنشدني لنفسه
يوم الخميس حادي عشر صفر الخير سنة ست عشرة وألف :

مُذْ نَبَتَ الْخَطَّ عَلَى خَدِّهِ بُدِّلَتِ الْحَمْرَةُ بِالْإِصْفَرَارِ

(١) ساقط من هـ

(٢) من هنا ساقط في هـ ، ب

كأثما العارض لما بدا قد صار للحسن جناحاً فطاراً^(١)

وكتب اليّ هذه الرسالة لأمر عرض وقد اقتطف غالبها من زهر الآداب ، لا بريح رجب الجناب . وهي^(٢) :

بسم الله الرحمن الرحيم . وهو المعين .

أعزّ الله مولاي وسيدي^(٣) الذي سكن من الجوارح أشرفها . وسلك من طرق الجفاء المبرح أوعرها وأسرفها . وبالغ في العقوبة وزاد . واستغرق أوقات الوداد ، بالبعد والعناد . وارتكب مكباً من الخليفة صعباً ، وقطع جميع الطرّق إلا طرق الوفاء^(٤) وثبا . واستعار أذنًا ليستوعي بها المثالب ، وعيناً ينظر بها المعايب ، وبدأ يبطش بها في كل صاحب ومُصاحب ، ورجلاً يسعى بها الى الأبعد دون الأقارب ، ووجهاً يتصرف في أمرته كتصرف الملك الجائر في رعيتته ، ويفعل بحبيه ، ما لا يفعله الدهر ببنيه . لا تظهر الطلاقة في وجهه إلا ريثما يحلّطها بإعراض . ولا ينبسط هنيئته من الزمان الا وهو وشيك انقباض . يبدو لطفه لمعاً ثم ينقطع ، ويجلو ماؤه جرعاً ثم يمتنع . فلا يدوم له سرور الهناء بما هو من حمانا يحلّه ، وبما هو من أعراضنا يستحلّه . فيألت شعري أيّ مصونٍ من صرّك أدعتّه ، أو مفروضٍ في الخدمة رفضته ، أو واجبٍ في الزيارة أهملتّه ؟ وهل كنت إلا كما قيل : ضيفٌ أهداه بلد شامع ، وأداه أملٌ واسع ، وحدّاه عقلٌ وإن قلّ ، وهدهاء رأيٌ وإن ضلّ . ثم ما بعدت صعبته إلا أدنت مهانة ، ولازادت حرمة إلا نقصت

(١) الى هنا ينتهي السقط من ه ، ب

(٢) في ه ، ب « وكتب اليّ هذه الرسالة ثراً ، وفي غضوننا من الايات مايفوق

دوا . وسبب تميمها العتاب لأمر ، تستطال وتستطاب وهي :

(٣) ه « مولانا وسيدينا »

(٤) ه « الوداد »

صيانة ، ولا تضاعفت ذمة إلا تراجعت منزلة . ولم تول الصفة (١) بنا حتى صار الواجب رذائلاً ، والنشوق المفرط مستعاضاً . وصار حُسن ذلك الالتفات ازويراراً ، وطويل ذلك السلام اختصاراً . والاهتزاز ايماءً ، والعبادة اشارة . كما قيل :

وموت الفتى خيرٌ له (٢) من حيائه إذا كان ذا حالين يصبو ولا يُصبي
وكان المهلب (٣٦ ب) يقول :

عجبت لمن يشتري العبيد بماله ، كيف لا يملك الحر بمعرفه .
وفي الحديث : « البشاشة خيرٌ من القرى »

وفي المثل « اليوم (٣) العبوس ، خيرٌ من الوجه العبوس »
ومن كلامهم : « الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جزيلة ، منها ثوابٌ مدخرٌ ، وتطهيرٌ من ذنب ، وتنبه من غفلة ، وتعريفٌ بقدر النعمة » . وقد شاهدت فيها خامساً وهو صونٌ | ماء (٤) الوجه عن الذل والموان . فالتعس خيرٌ لها من أن أقول :

إحدى لياليك فيميسي هيمسي لا تنعمي الليلة بالتعريس

* * *

مولاي يامن له في كل جارحة لسان شكر يؤدّي بعض ماوجبا
ماهذه الكراهة من فتى خفيف الجسد والروح ، ثقل الرأس بالعقل
غضيض الجفن بالحياء ، طلق الوجه ، عف اللسان ، رحب الصدر ،
باسط الكف بالجلود ، طويل الباع بالإحسان ، صافي القلب ، سليم الفطرة ،
مخني الضلوع على الأسي ، مطوي الجوانح بالهوى ، قصير الخطى عن الأذى .

(١) ساقط من هـ

(٢) ساقط من هـ

(٣) ب « اليوم »

(٤) ساقط من هـ ، ب

فما محاسنُ شيءٍ كلهُ حسنٌ

مافيه لوًّا ولا ليتٌ فتمتقصه وإنما أدركته حرفةُ الأدب

على أنني والحمد لله لم أكن مُذاذاً مع الحرمان عنك ولا شُرباً ،
ولكنني أبردتُ صدري بنهله من الفضل غصت دُون موردهما الشُّربُ ،
وذلك لأني أطلتُ التردد إليك ، وعوّلتُ أمري في طلي عليك ،
ووردتُ من أنهارِ فضلك كلَّ معين ، وكنت لي في طلي وأملي خيرَ
معين . والنعمة لا تجحد ، والحسنة لا تكفر ، والشمس لا يمكن سترها بحجاب
والبدر لا يخفى ضوءه | وإن كان ^(١) تحت السحاب ، والكذب شيمة
المنافقين ، ألا لعنةُ الله على الكاذبين .

وما قلتُ ذلك إلا رائياً أن لا طيبَ إلا ما اختلط بترابك ،
وأن لا سعدَ إلا ما جثم ببابك ، وأن لا ربيعَ إلا في بقعتك ، وأن
لا أنسَ إلا بطلعتك . وأن لا فرحَ إلا بقربك ، وأن لا ترحَ إلا ببعذك ،
وأن لا نشاطَ إلا بمجبتك ، وأن لا علمَ إلا ما استفيد منك ، وأن لا فضلَ إلا ما
أخذت منك ، وأن لا دليلَ إلا ما جني به معزواً إليك ، وأن لا سندَ إلا ما نقل من فيك
ومحال عليك ^(٢) . لعلمي بأنك البدرُ الكامل ، والفردُ الذي ليس له
مُعادل ولا يُماثل . هذا مع مغالاتي فيك ومنافستي عليك ، ومناظرتي بك ،
وانتمائي بالفضيلة التامة إليك ، وانشادي مستمسكا بمجمل ودادك ، ومتمسكا
بتراب مهادك .

وإذا نظرتُ الى أميري زادني ضنناً به نظري الى الأمراء

معتقداً أن رضاك ثواب ، وغضبك عقاب ، ورغبتك إحسان ، ورهبتك
خسران . وإعراضك جحيم ، والتفاتك نعيم ، ومثلك لأمثل يضاھيك . إن

(١) ساقط من هـ

(٢) ساقط من هـ

غضب تجمل ، وإن تأذني (٢٣٧) ولو بومٍ تجمل . وإن جاءه فاسق
بنياً تبصر واستفسر ، | وإن ثبت لديه شيءٌ ولو دعاء اغتفر واستهتر | (١)
فهاث قل لي يامن مكانته في القلب قد حدها بمفرده ، أي جواب لمن
سأل عن حكمك ؟ واستفسر عن ثمرة علمك ؟ | فإن الخلم ثمر العلم | (٢) .
وهو دالٌّ عليه كدلالة التور على الثمر . وقد وجد كماله فيك ، وظهرت
ثمرته عليك ، وتذللت قطوفه دائيةً اليك . وكذا الناس يجمعون على
فضلك ما بين سيّد ومسود . عرف العالمون فضلك بالعلم ، وقال الجهال
بالتقليد .

وأعودُ فأقول بعضُ هذا الجفا يمولاي يكفي ، وجزءٌ من هذا
الإعراض يُجزّي . وفي قليلٍ من صدودك انتقامٌ كثيرٌ ، وفي يسيرٍ من
هجرك إسرافٌ وتبذيرٌ ، وفي أدنى ما بلغني عنك كافٍ ومقنعٌ ، وفي أقلِّ
مارأته منك للقلب مؤلمٌ و | (٣) موجه . وفي المثل من يسمع يخجل ،
ومن يكثر يجل . هذا بذاك ولا عتب على الزمن .

وأظنُّ أنّ الداعي الى مهاجرتي نيمةٌ جاء بها فاسقٌ ، ونبا افتراه
كاشح . ومع ذلك لو اكتسبتُ كبيرةً لما استوجبتُ من العقوبة المنهكة
بعض ما عاينته وعانيته ، ولو ارتكبتُ جريمةً لما استحققتُ من القطيعة
المهلكة أعظمَ مما رأيتُه وقاسيتُه ، ولو اشركتُ والعياذ بالله تعالى لمحت
ذني (٤) التوبة والاستغفار . ولو كفرتُ معاذ الله لعقتُ على كفري
الندامة والاعتذار . ولما احتمل أن يُسمّى كبيرةً ، ويُدعى ولو على
الجزاز جريرة .

وهب انني يمولاي لا أوأخذك بأعراضك وإعراضك ، ولا أعاتبك

(١) ما بين الخطين ساقط من هـ

(٢) ساقط من هـ

(٣) ساقط من هـ .

(٤) « ذنوبي »

بإسرافك وإخلافك ، ولا أقابلك بأخلاقك وإخلاقتك ، ولا أواجهك بانقيادك
وعدم انتقادك ، ولا أعارضك بإعراضك وعدم اعتراضك ، ولا أطالبك
بتأملك وعدم تأملك ، ولا أحاسبك بما حرمتيه من عطفك ، ولا أصادرك
وإن سؤوتني بما تثنيه من عطفك .

أفي حكم المروءة أن تُبعدَ مَنْ يُقاربك ، وتطرد^(١) مَنْ يُصاحبك ،
وتطرح من يهابك ولا يملك ، وتسمح بقطيعة من يُجلك ولا يُخدِّتك ؟ ومن
أمثالهم أهل الحفاظ أهل الحفاظ ، والحفاظ تحلل الأحقاد . فأين من
سيدي الحفيظة الأمولة لتحلل ما عنده وما استقصاه . وتهدم ماشاه
| الواسي^(٢) وما بناه ؟

والعينُ تعرف من عَيْنِي محدثها إِنْ كان من حزبها أو من أعاديها
وقد بلغتني مقالة من بعضها في القلب قروح ، فليت شعري
وهل لبتُ بِنافعة متى كان جرحاً حتى صار قرحاً ؟ ومتى قدح
الزند حتى اضطرم هذا الوقد ؟ ومتى (٣٧ ب) تكاثف القَطْرُ وهُمى ،
حتى اجتمع هذا البحر وطَمَى ؟ ومتى طُتَّت الحِصَا حتى بلغ صداها الى
عنان السما ؟

قد أصبحتُ أهُ الحِيارُ تدعي عليّ ذنباً كله لم أصنع
وبالجملة فقد شاركت الليال ، في تقلب الأحوال ، ووافقت الأيام في
اصطناعها اللثام .

مالليالي أقال الله عَثَرَتْنَا من الليالي وغالمتها^(٣) يدُ الغيرِ
هلاّ ألهِنتَ أن تَرِدَ بعقلٍ وتصدرَ بتمييزٍ ، وما ذلك على الله
بعزيز . ولولا انك أعنتها ونصرتها ، وآزرتها وظهرتها ، لرُدَّتْ على
أعقابها ناكسة ، ورجعت على أديارها خائبة ، ولأمنت مكرها ،

(١) هـ « وتمادي » ، ب « وتواد »

(٢) ساقط من هـ

(٣) في النسخ « خائتها »

واجتنبت إضرها . ولكنها جمره ليل ، واثر ثأدة لاسيل ، وبناء على
سقا ، وعله قريبه الشفا . وقد ثبت أن العقوبة للمسيء ، والحرمات
للجرم ، والحذلان للمعتدي ، والقصاص للمذنب ، والمواخذة للجاني . وأنا
أبيض وجه العهد ، واضح حجة الود ، مصاحب التوفيق ، بويء الساحة ،
مجانب البغوات .

ولو انني علمت أنه أمر بيئت بليل ، لجازيت الصانع كيلا بكيل ،
ولكنه سأرينه ناجذي وأجلد ، وأري الشامتين أني لرب الدهر لا
أضعع .

ولعمري ما علمت أن صريح الرأي في التحول عنك مطلوب ، ولا
تحقت أن المجاز في كل تركيب من الألفاظ العرفية متداول مرغوب ،
لأتبصر أن قول القائل مثلاً « اذهب الأعمى ^(١) » أن يكون عبارة عن
طرد المخاطب ضمناً . وقد تقرر أن المتكلم يدخل في عموم كلامه لا أن
المخاطب يدخل في ماخطوب به . ولو علمت قبل ما عدت بعداً .
لست أشكو ^(٢) من امتناعك عني يا مني النفس حيث عز الأياب
سوء حظي أنالني منك هذا فعلى الحظ لأعليك العتاب
وأخر بقول القائل :

إذا لم تكن حاجاتنا في نفوسهم فليس بمن عنك عقد الرثائم

* * *

حلفت ولم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مطلب

إني ما قابلت إحسانك بكفر ، ولا أسأت أدباً في ماصنعتي في
خدمتك بأن اتبعه بمن . ولك عندي اليد البيضاء التي لأقبضها عن الدعاء

(١) « العمى »

(٢) ساقط من هـ

لك ، والأخرى التي لأسلطها الى الدعاء عليك ، وها أنا أسكو اليك ، جعلني
الله فداك ، مالا تمكن الصراحة به ، ولا الايضاح عنه ، ولا التوصل
بالاستيفاء اليه ، ولا التسلط بالاستحضار عليه ، ولا التجمل بالإغضاء معه ،
ولا البيان بما فيه ، ولا التمثل له . وربما ذكرت البعض منه ، وقلت
لعلني كنت شائماً مراباً ، أو مستطراً جهاماً ، أو رائياً خلباً ، أو وارداً
حيث لامراد ، أو مستعيناً حيث لا معين ، أو مستغنياً حيث لا مُغيث ، أو
مستجيراً حيث لا مجار ، أو مستمخياً حيث لا سماح . ولك المثل الأعلى .

لا تعجبوا ضربي (٣٨) له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

* * *

ولو كان رجماً واحداً لا تقيته ولكنه مسح وئان وثالث
فهل كنت كالقتدي بنافضة الغزل ، أو كمتصحب سراً للمة فاذا
هم غزل ، أو كراض من الغنمية بالإياب ، ومن المركب بالتعليق ، أو كراجمة
بجفني حنين .

هذا وأنا أقول : لن يضر الحوار^(١) وطء^(٢) أمته ، بيد أنه يقال في
مامضى من المدد الحوال .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم

* * *

ومثلي قد تهفو به نشوة الصبا ومثلك قد يعفو ومالك من مثل
وإني لتنهاني نهائي عن التي أشاد بها الواشي ويعقني عقلي
وما أنا بالمهدي إلى سوء والحنا ولا بالمسي القول في الحسن الفعل

(١) الحوار ولد الناقة قبل أن يفصل عنها

(٢) « وطئية »

فها تـ جواباً عنك ترضى به العلى
فبين الرضا والسخط ظني واقف
ولو تيسرت لي مخاطبتك مشافهة لكان لي معك ذوق من الكلام ،
لكن لما عزت الواجبة ، استشفيت^(١) بالمكاتبة والمراسلة قائلاً :

لك الحمدُ أما ما نحب فلا نرى وننظر ما لا نشتهي فلك الحمدُ
ولعمرو أي إن لي لي عليك ليلُ السليم ، ونهاري دونك نهارُ الأليم ،
وفكري قد صدّء لعدم مطارحتك ، وطرفي قد قذّي لندرة مشاهدتك
وقلبي لغزّة رضاك واجبٌ مضطرب . وصدري لقلّة مؤانستك حرجٌ ضيق
وفي لبعد مصاحبتك واجمٌ ساكت ، وصادف حجاي عارض وعين ،
فغلغتي الدمع بسلاسل من عسجد ولجين .

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمرُ
لقد صدئت مرآة الكمال ، وقذّي طرفٌ طالما سهر الليال . وتزلزل
محلٌ سيدي من قلبي ، أطال الله له البقا ، ومنحه سوابغ النعم وارتقى .
وقفاً بهزلك الذي تحتله يامنٌ يُخربُ بيته بيديه
وضاق وسع الفضا ، وسكت مصقَعُ الخطبا ، وُجنٌ صاحي القوم ،
وبكت مُقلّةٌ يعزّ عليها النوم .

إذا الليل أضواني بسطت يدَ الهوى
معلتي بالوصل والموتُ دونه
أما تتقي الله في واقف أمامك مستغفر تائب ؟ وأرقّ ما يعرض على
المولى قول القائل :

سلي تعلمي إن كنتِ غيرَ عليمَةٍ بأن ليس في حبي أغريك مطمعُ
وأن لي القلبَ الذي ليس خالياً من الوجدِ والجنن الذي ليس يهجعُ
فوالله لأنفك أذكر موضعي لديك ولا أنفك نحوك أنزعُ
وهذا معنى قول القائل :

وقف الهوى بي حيث أنت (٣٨ ب) فليس لي متأخرُ عنه ولا مُتقدِّمُ
جاورتِ (١) أعدائي فصرتُ أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهمُ
وأهنتني فأهنتُ نفسي صاغراً يامن يهونُ عليك ممن يُكرِّمُ
وبالجملة :

أعيدها نظراتِ منك صادقةً أن تحسب الشحم في من شحمه ورم
وهاك هديّة الوقت ، وعفو السّاعة ، وفيض البديهة ، ومسارة القلم ،
ومسابقة اليدين للفم ، وجهرات الحدة . وثمرات المدّة ، ومهاداة الخاطر
للتناظر ، ومباراة الطبع للسمع ، ومجازبة الجنان للبنان . وها هو جواد
البلاغة عالك الشكيم ، حابس العنان . لم يأخذ طاقه ، ولم يستوف مضماره .
وهذا هو النهض فما بالك بالركض . وقد آلى أنه لا يعرق عرق التنبه مالم
يسمع بتصّها له ، ويرعد بقرع نعاله ، ويوصل بمتطيه غايه لا تدرك ، وغارة
بالرياح الهوج لا تنتهك . ومع ذلك لو نظمت النثر كالدرر ، وأتيت
به رائقاً كنسيم السحر ، وموشياً كالوان الزهر ، لما كنتُ إلا كتهدي
التمر الى هجر . ومستبضع الغرب الى سوق النبع .

أهدي لمجاسه الكريم وإنما أهدي له ما حزت من نعمائه
كالبحر يطره السحابُ وماله فضلٌ عليه لأنه من مائه

وآخر ما أقول : إن ودي موقوف عليك ، وحبسُ سبيلك ، ونحت
رهنك . فمتى عاودته وجدته سايق المعبر ، غضّ المنظر ، هنيء الخبر . يندى
بشاشة ، ويقطر حسناً ، ويفوح عنبراً ، ويشمر لطفاً . فإن فعلتَ ذلك فهو
حسن . وإن عدتَ فالعودُ أحمد . وإن كان الأمر كما يُقال لا ولا فالغبن
مشترك ، والله تعالى يتولى السرائر . ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ،
وإن راسلتك بما زاد أو نقص ، فهو منك وبسببك . وصلى الله على من
لأنبيّ بعده . وعلى آله الطيبين الطاهرين .

٣٠

خان أحمد الكيلاني

الشريف الحسيني سلطان بلاد گيلان

هذا الشريف من بيت السلطنة أباً عن جدّ، وإلى هذا الحد . وهو مع كونه من الملوك، فما قصر في أن سلك في تحصيل العلوم أحسن سلوك . حصل من علم النجوم ما به تفرّد بين الأفاضل فضلاً عن السلاطين، وقرأ من علم الهيئة ما ألبسه ثوب الهيئة بين الناس أجمعين، حتى انه كان يدرس مولانا علي قوشي في علم الهيئة، ويباحث العلماء مباحث تقتضي أنه اكتسب من الكمال الحصة الوفيرة وهذا كثير على السلاطين، بل على الأفاضل الكاملين .

وأما معرفته بعلم الموسيقى وبالعلوم الرياضية فإنه قد اشتهر وشاع، وانتشر وذاع، وملاّت أصواته الأسماع، في الوهاد والضياح، وكان ينظم الشعر الفارسي نظماً أرق من نسيم الشمال، وأرقّ من الماء الزلال، ويربطه في (آ ٣٩) أصوات ونغمات، بحيث أنه يكاد يجيي العظام الرفات، وأحفظ منه كثيراً، ولكن لا يناسب تواريخ العرب، ولولا ذلك لذكرت منه جملة وافية . ولكن الإحاض مطلوب، والنفسُ تنبسطُ بالانتقال من أسلوب الى أسلوب .

فمن ذلك قوله من غزل ربطه بنغم من صناعته وهو :

شام فراق حال من زارمشكست صبح وصال اكثر^(١) بدكارمشكاست
جان دادنم به پاي تو اسان بودولي محروميم زد و لت ينداومشكاست
وله أيضاً بيت من غزل معناه في غاية الحسن وهو متعلق بالحبيب
الذي يطيب :

سمع صفت بتينغ كاش صدره اكر بري سرم من هواي تينغ توباز سري براورم
وكان طهاسب شاه قد اعتقله في قلعة قهقه^(٢) في ديار العجم ومكث
بها معتقلاً سنين عديدة . وكان ولد طهاسب شاه اسماعيل محبوساً معه ، فقال
له : إن أطلقني الله تعالى من الحبس وولاني أمر الناس فلاله علي أني
أطلقك وأوليك بلادك أيضاً . فاتفق أن الله تعالى أطلقه وأعطاه سلطنة
العراقيين وأذربيجان ، وشيروان ، وشيراز ، وخراسان ، وهمدان ،
وديوار الجبال . فأخرجه من قهقه لكن وضعه في قلعة اصطخر وقال : أريد
أن أرسلك الى بلادك كما أريد من التعظيم . فلم تطل مدة اسماعيل في
السلطنة ، ومات اسماعيل وهو في قلعة اصطخر . فاستخرجه الشاه أعمى أخو
اسماعيل المسمى مجدي بنده محمد عند ما تولت السلطنة باتفاق أمراء قزلباش .
وكانت إقامته في زمن سلطنة أبيه وأخيه الشاه اسماعيل في شيراز . فلما
مات أخوه شاه اسماعيل لم يجدوا في بيت السلطنة ذكراً قابلاً للملك
سوى هذا ، فقالوا : هو من بيت السلطنة ليس إلا ، فنحن نوليّه ملك أبيه
ولو كان أعمى ، فلما تولى السلطنة أرسل الى خان أحمد واستخرجه من اصطخر
وولاه بلاد كيلان ، كما كان . فلم يزل بها الى أن أخذ سلطان الاسلام
السلطان مراد بن سليم غالب عراق العجم وكل عراق العرب ، وأذربيجان

(١) كذا في النسخ وقد اقترح الدكتور حسين علي محفوظ ان تكون « دلبر »

ليستقيم المعنى . وقد تكرّم بضبط هذه الأبيات الفارسية فله الشكر .

(٢) كذا . واقترح الدكتور محفوظ ان تكون « قهندز » أو « قهبايه » ، ولم ترد

قهقه في معجم البلدان

وشيروان ، وبلاد الكرج . فلزم أن شاه عباس بن خدای بنده الضرب المذكور أرسل عسكرياً وافرأ فأخذوا كيلان من يد خان أحمد هذا ، وخاف منهم فهرب مع جماعة معدودين إلى جانب سلطان الاسلام ، وهو مولانا الغازي المظفر الأبعد ، السلطان محمد ، بن السلطان مراد بن سليم . وقصد قسطنطينية فدخل وامتدح السلطان المذكور بقصيدة عظيمة (٣٩ ب) يحثه فيها على أخذ كيلان من يد شاه عباس ، وأهدى خضرة سلطان الاسلام شمدان مرصعاً قيل إنهم خمنوه بثمانين ألف دينار ذهباً ، ولم يحصل مراده من العسكر وذهب الى بغداد باذن السلطان المذكور ومات في سنة تسع بعد الألف رحمه الله تعالى آمين .

٣١

الشيخ أحمد المكفناقي^(١)

الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد المكفناقي الدمشقي

كان رجلاً صالحاً محظوظاً من كلام الصوفية وإشاراتهم . وكان رحمه الله تعالى يتسببُ ببيع الكفن^(٢) . وكان فضلاء دمشق مثل الشيخ علاء الدين ابن عماد الدين والشهاب الغزالي يحبونه ويخالسونه ويفرحون بكلامه . ولما مرض مرض الموت دخل عليه الشيخ شهاب الدين وهو يجود بنفسه ففتح عينيه وبكى وأنشد :

إذا كان هذا فعله مع محبته فياليت شعري بالمدى كيف يصنعُ

ثم انه استعبر ورفع رأسه وأنشد :

نفسُ المحب على الآلام صابرةٌ لعلّ متلفها يوماً يداويها

ثم انه مات بعد ذلك بيومين .

وكانت وفاته في سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة . كذا في « الروض

العاطر » .

(١) مكان هذا الاسم بياض في هـ

(٢) م ، ب « المكفن »

الشيخ أحمد الأيدوني^(١)

شيخنا الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن تقي الدين الإيدوني الشافعي رحمه الله تعالى .

كان قد تسبّب أولاً بجدّ الشريط بسوق الذهب^(٢) ، واستمر به مدة ، ثم إنه حفظ القرآن الكريم وقرأه بالعرش على الشيخ شهاب الدين الطيبي ، وقرأ الفقه والتفسير على الشيخ بدر الدين الغزالي ، ثم لزم الشيخ محمد الأيبي بصاحبة دمشق وتعلم منه الفارسية ، ودرّس بالجامع وتصدّره ، وأُعطي نصف إمامة المقصورة شريكاً لشيخه الشهاب الطيبي الكبير . وكانت بيده بقعة حديث بالجامع . وكان عالماً عاملاً دينياً خاشعاً لله تعالى كثير البكاء ، وكان الناس يقصدون إمامته لحسن صوته ووضوح قراءته . وسمعتُه يقول عند ما كتب علماء دمشق محضراً بأن غيره أولى منه بالإمامة ❀ ستكتب شهادتهم ويُسألون^(٣) ❀

توفي رحمه الله تعالى في سنة ثمان وتسعين وتسع مئة . ودفن بتربة الحمزية ، وكانت جنازته حافلة رحمه تعالى .

(١) مكان هذا الاسم بياض في هـ

(٢) له سوق الذهبين الذي كان شمال الجامع الأموي ، وبني أيام الأمير نوروز ،

انظر النجمي ٢ : ٤٠٠

(٣) سورة الزخرف ، ٤٣ ، الآية ١٩

٣٣

أحمد بن روح الأنصاري

مولانا أحمد أفندي الأنصاري قاضي القضاة بالشام ومصر وأدرنه وقسطنطينية . وتولى قضاء العسكر بولاية أناطولي وولاية روم ايلى .

كان المذكور قدم الى قسطنطينية من بلاد كنجة وبردعة من بلاد العجم . وكان وحيداً فريداً فقيراً . أخبرني أنه ورد من بلاده ماشياً ، وأنه ورد الى البلدة المسماة بالقصير فأخذها العهد على الشيخ أحمد القصيري المشهور . وسافر بعد ذلك الى باب السلطنة العثمانية ، وخدم رجلاً من (٤٠٠ آ) أركان الدولة يقال له فريدون آغا ، وأقرأ أولاده ولازمه حتى انتظم في سلك موالي الروم . وتولى تدريس المدرسة المعروفة بأمر السلطان مراد ، ومنها خرج الى قضاء الشام في الدولة المرادية .

وبدمشق اجتمعت به وذاكرته في أنواع العلوم ، ومدحته بقصيدة أوجبت أنه عرض له في تدريس المدرسة الوجيزية^(١) بدمشق وحصلت لي بعون الله تعالى .

وكان المذكور فاضلاً في العلوم العقلية كالمنطق والكلام . كانت عريته ضعيفة ، وكذلك فقهه . وكان كريماً الى الغاية لكنه كان موصوفاً بالتهاون في ما يتعلق بأمر القضاء حتى انه ما كان يتأمل الحجة التي تعرض عليه للامضاء بل كان يضيها تقليداً للكاتب وثقةً به وتغافلاً عن التثبت ، لاسيما في أمور الشرائع . وصدر له من ذلك أن بعض أعدائه أدخل عليه حجة

(١) كذا . ولم يذكر النعمي مدرسة بهذا الاسم . ولعلها معرفة عن الوجيزية .

فيها بيعٌ للسوات ونحديدها بكرة الأرض . فعلمت عليها فشاع ذلك في بلاد الروم وافتضح بذلك عند الموالي ومابالى بذلك .

وتولى قضاء مصر ورجع من طريق الشام ، ونزل بالميدان الأخضر .

فذهبتُ للسلام عليه وسألتُه عن علماء مصر فأتى عليهم وقال لي : سألتني

الشيخ زين العابدين البكري عن لَوِّ في قوله تعالى : ﴿ ولو

أن مافي الأرض من شجرة أقلام ، والبحرُ يده من بعده سبعة أبحر ،

مانفدت كلماتُ الله ﴾ (١) من جهة لو أنها لو أُجريت على قاعدتها المعلومة

من أن "نَفِي" مدخولها إثبات ، وإثباته نفي ، لصار المعنى : لكن ما كان

مافي الأرض من شجرة أقلام فنفدت كلمات الله . وذلك محال .

فقلتُ له : عجباً من الشيخ زين العابدين يسألكم عن مسألة مذكورة

مع جوابها في المطوّل . فنجعل من قولي لأنه كان يظن أن السؤال من

مولدات أفكار الشيخ زين العابدين .

وجرى معه في ذلك المجلس أبحاث تضيق المفالة عن تفصيلها .

وبلغني أنه اختلط في آخر عمره . وكان يكتب في امضائه : المفتقر

الى الملك الباري ، أحمد بن روح الله الأنصاري .

وبالجملة فكان الغالب عليه الحلم والكرم ، والعلم العقلي الذي هو به علم .

وكانت وفاته بقسطنطينية في عام ثمان بعد الألف من هجرة خير الأنام ،

عليه من الله أفضل الصلاة واتم السلام .

٣٤

الشيخ أحمد بن المنقار

الشيخ أحمد بن محمد بن المنقار الشيخ الكامل الموصوف من الذكاء بالعجب العجائب ، الذي فتح الله له في العلوم أوسع باب .
هو من بيت المنقار . وهذا البيت من البيوت الكبيرة بحلب ينتسبون الى حضرة العباس (٤١ ب) عم النبي ﷺ . ولهم بالشام أقارب .
والشيخ أحمد صاحب هذه الترجمة ولد بدمشق وأمه دمشقية ، وأبوه محمد فاته تحصيل العلم ، لكنه سافر الى باب السلطنة العلية بقسطنطينية المحمية ، فصار قاضياً ببعض القضاة ، ومات وهو في طريق القضاء . ونشأ ولده الشيخ أحمد هذا في طلب العلم ، ونال منه حظاً عظيماً وافراً ، ونصباً متكاثراً . وكانت قراءته على الشيخ أسد الدين التبريزي ثم الدمشقي الآتي ذكره فيه عن قريب إن شاء الله تعالى ، لأنه كان زوج عمته . ولقد نشأ نشأةً عجيبة بحيث أنه ألف قبل أن يصير عمره عشرين سنة رسالة مقبولة في مباحث الاستعارة وبيان أقسامها وتحقيق المجاز والحقيقة . وعرضها على علماء عصره فما منهم إلا من وضع عليها قلم القبول ، ومدحه بما تستحقه من المدح المقبول . وكتبت عليها كتابةً حسنة ، ووصفتمها بعبارات مستحسنة ، ما بين نثر ونظام ، يُدعن لها أهل الكلام ، ودرّس بالمدرسة الفارسية^(١) بدمشق المحمية ، وطار صيته في الآفاق ، وتناقلت أحاديث فضله الرفاق ، وسافر الى حلب مرات عديدة ، فظهرت فضائله وسيرته الحميدة . ثم لما مات والده في

بلاد الروم طالباً للقضاء - فأدركه ، وصادفه في طريقه الذي سلكه لزم أن ينهض الى قسطنطينية ليتناول ماخلف والدّه من المال ، ويسعى على منصب [له]^(١) يكون سبب الإكرام والإجلال . فاستمر صيته بين موالي الروم . وأدركه من العزّة ما كان يطلب ويروم . بحيث ان المفتي الأعظم | شيخ الاسلام |^(٢) مولانا زكريا أفندي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى جعله ملازماً منه على قاعدة علماء تلك الديار . وفي ذلك رفعة عظيمة عند أرباب الاعتبار . فبينما هو في تلك المقامات رفيعاً ، ساكناً حصناً من المجد منيعاً ، اختلط عقله ، وضاع فضله ، وصار يخلط في كلامه ، ويخبط في نظامه ، فوضعه في دار الشفا ، وفرح بحالته الحاسد^(٣) واشتق . وزادت به هذه الأحوال ، وداخلته منها الأهوال ، فلزم إرساله الى بلاده مربوطاً ، وأصبح كإله كعاله ليس مضبوطاً . ووصل الى دمشق في زنجير وثيق ، فتارة يغيّب وآونة يفتق ، ولقد دخلت عليه مسلماً ، وله من الدهر ممتظماً . فرأيته في سلسلة طويلة الذيل ، فأسبلت دموعي كالسيل ، حزناً عليه ، وشوقاً اليه ، لأنه كان يرأسني بقصائده ، ويطارحني بفوائده (٤١ آ) وكنت أجيبه عن رسائله ، وأحقق جميع دلائله . فقال لي وهو في تلك الحال ، متثلاً على سبيل الارتجال ، مشيراً الى سلسلته التي منعه من التردد والمسير ، وصيرته في صورة الأسير^(٤) :

إذا وأيت عارضاً مُسلسلاً في وَجَنَةٍ كَجَنَةٍ يا عاذلي
فأعلم يقيناً أننا من أُمَّة تُقَادُ لِلجَنَةِ بالسلاسل
وصار يكتني بكلام لطيف ، خالٍ عن التخليط والتخريف . ويشير

(١) الزيادة من ه ، ب

(٢) ما بين الخطين ساقط من ه ، ب

(٣) ه « الحسود »

(٤) ه ، ب « الأمير »

الى بعض المراسلات الماضية ، في الأيام الحالية . وكنت أريد الذهاب فيميسكني ، وأطلب الهرب فيدركني .

وطلب الأحاب' له الدواء من كل طبيب ، فما ناله من الشفاء حظٌ ولا نصيب . وهو إلى الآن في قيوده ، مقيم على عهده^(١) . ولكن حالته تنقص وتزيد بحسب فصول العام . وربما رأيتُه في بعض الأيام ومعه مغربي يحفظه ، وخوفاً عليه بالمحظ . والدهر أبو الأهوال ، لا يُبقي على حال . وأولُ شيء أرسله اليّ وهو صغير ما بقل عذاره ، ولا رقت على صعيقة خدته أسطاره ، هذه القصيدة ، سائلاً عن لولا عند دخولها على الضمير المتصل ، وصيورتها حرف جرٍ عند سيبويه ، هل يجوز عطفُ اممٍ مجرور على مدخولها عند إعادة حرف الجر الذي هو لولا أم لا ، بأن يُقال : لولاك ولولا زيدٍ [بجرٍ زيدٍ]^(٢) وهو ممنوع . [فليقر]^(٣) بذلك . ويقال (كذا) لنا حرف جرٍ لا يجوز العطف على مجروره ولو أعيد حرفُ الجرِّ . وقد نظم ذلك في قصيدة رائية وأرسلها اليّ ، وألحّ في إرسال الجواب عليّ ، وقصيدته هي قوله :

أربّ الندى ياذا المكارم والبرِّ ومن جوّده قدفاق مدّ أعلى البحرِ
ويا كاملاً حاز العلوه بأسرها فأضحت له منقادة النهي والأمرِ
ويا فاضلاً من حسنه اشتقّ اسمه فاضحى جميل الوصف والاسم والذکرِ
حويت الذي لم يحويه من مآثر أفاضل هذا العصر من سالف الدهرِ
إمام له فهمٌ إذا عنّ مُشكِلٌ أزال مُعماه^(٣) ولم يُبتق من سرِّ

(١) ب « مهوده »

(٢) الزيادة من ه ، ب

(٣) ه « معمي »

بلاغته قد أملت ذكر وائل
أقر له بالفخر كل مفضل
جواد حكاه الغيث يوم عطائه
سألتك لاجهلاً بمقدارك الذي
عن اسم ضمير جرّ بالحرف ثم لا
سوالاً أعدت الحرف أم لا فبيّن
وإن لم أكن أهلاً لذلك إنني
وأنت الذي تُرجي لكشف نقابه
[أمولاي عذراً إنني لمقصر
وكيف يطبق الحصر في النظم عاجز
وها قد أتت خجلي اليك فأولها
فلا زلت مأوى العلم أفضل أهله
وذم وأبق ماغنى على العود ساجع
فأجبتُه لما صار أهلاً للجواب، وفتح له من الفضل أبواب. ولم أراع
الروي للاشتهار^(٤). فقلتُ مجيئاً في سنة تسع مئة وثلاث وتسعين :

(١) ب « السمر »

(٢) الزيادة من ب « ب »

(٣) ب « النهر »

(٤) « لاشتهاره وانشاره »

الاهاتِ حدّثني عن الرّشاشِ الأملئ
وهاتِ عن اللحظ الذي صار راشقاً
وحدّث عن السهم الذي لم تُصَبْ به
أليس عجيباً أن رمانى بأنهم
وقلّد فيري الدّرطيبُ كلامه
ومذ فاني دُرّ المباسم لم أزل
فيا ليت شعري حين تهتُ بشعره
سقى الله ماء الحسنِ خدّاً إذا بدا
وإن لحظته أعينُ الناس خفيةً
وما كان فيه عقربُ الصدغ ساكناً
وقامةٌ قد أقامت قيامتي
جعلتُ دموعَ العين شرباً لفضنها
رعى الله من قلبي لديه مضجعُ
ومن بات ريان الجفون من الكرى
ومن صار يُولي لي حروبَ جفونه
وفارقتي مثل الشباب مودعاً
فراقُ شباب في فراقِ حباب

ودّعني من أسماء زينب أو أسماء
على قوس محيّ الحواجب لي سهماً
جلودٌ وللقب المفرّح قد أصمى
ولم ألق في حظ التواصل لي سهماً
وصيرّ حظي بعد طول العنا كلّها
لشوقي إليه اجعل الدرّ لي نظماً
ينيرُ صباح الثغر لي ليلةً ظلماً
من الحدر لم يترك لشمس الضحى رسماً
يكاد وحاشاه من اللحظ أن يدمى
لشيء سوى أن يمنع العاشق اللثماً
وأقعدت السلوان والصبر والعزما
فواحزني لم صيرت مهجتي نظماً
ومن ذقت منه بعد شهيد اللقا سماً
وصير لحظي في الدجا يرقب النجماً
وأولي له بالذلّ من طاعتي سلماً
فبالله قل لي كم بسهم العنا أرمى
وحقك ياسلمى يكلّ بذنا سلماً

كُنْتُ مَعَ الْأَحْبَابِ فِي لَيْلِ صَبَوْتِي
وَلَوْ دَامَ لِي عَصْرُ الشَّبِيحَةِ وَالصَّبَا
وَلَكِنْ بِتَقْوِيضِ الشَّبَابِ خِيَامَهُ
سَقَى اللَّهُ ذَاكَ الْعَهْدَ عَهْدَ غَمَامَةٍ
سَأَذْكَرُهُ مَالِحًا فِي الصَّبْحِ بَارِقٍ
هُوَ الْكَامِلُ الْحَمُودُ أَحْمَدُ مَنْ غَدَا
أَنَارَ شَهَابَ الْفَضْلِ مِنْهُ لِيَالِيَا
وَجَدَّدَ رُبْعًا لِلْفَضَائِلِ قَدْ عَفَا
وَحَلَّ عَقُودَ الْمَشْكَلاتِ بِفَهْمِهِ
لَسُنَّ كَانَ سِنًّا عَنِ رِجَالٍ مُؤَخَّرَا
فَقُلْ مَا تَشَاءُ فِي فَضْلِهِ وَكَمَالِهِ
وَمَنْ عِنْدَهُ فِي فَضْلِ أَحْمَدِ رَبِيبَةٍ
فَهَاتِ صِنُوفَ الْمَدْحِ فِيهِ وَلَا تَحْفُفْ
فَكُلُّ مَدِيحٍ فِي عُلَاهِ حَقِيقَةٌ
فِيَا فَاضِلًّا قَدْ شَاعَ فِي النَّاسِ فَضْلُهُ
بَعَثَ قَرِيضًا بَلْ أَزَاهِرَ رَوْضَةٍ
فَهَاجَ إِلَى نَظْمِ الْقَرِيضِ سَجِيَّةً

فَوَأَسْفِي صَبِيحُ الْمَشِيبِ بِنَا نَمَّا
لَمَلَّتْ نَفْسِي بِالْوَصَالِ وَلَوْ وَهْمَا
تَقَطَّعَتِ الْأَطْمَاعُ مِنْ رِشَاءِ أَلِي
وَإِنْ مَتَّ مِنْ شَوْقِي إِلَى عَهْدِهِ نَعْمَا
وَدَامَ شَهَابُ الدِّينِ يَهْلُو الْوَرَى عِلْمَا
لَدَفْتِ أَهْلَ الْفَضْلِ فِي دَهْرِنَا خَتْمَا
مَنْ الْجَهْلِ قَدْ كَانَتْ بِلَاغَرَةٍ دُهُمَا
وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُ الدَّهْرُ ذَاتَنَا وَلَا رِسْمَا
كَأَنَّ ابْنَ سَيْنَا كَانَ أَوْدَعَهُ الْقَهْمَا
أَقْدَمَ فَاتِهِمْ عِلْمًا وَجَاوَزَهُمْ حِلْمًا
فَوَرْتَبْتُهُ مِمَّا يُقَالُ بِهِ أَنِّي
فَذَلِكَ ذُو طَرْفٍ بِلَا رَبِيبَةٍ أَعْمَى
عُلُوقًا وَإِغْرَانًا وَلَا تَرْتَقِبْ إِثْمًا
بِذَلِكَ وَصَاةَ الْفَضْلِ قَدْ أَمَضْتَ الْحِكْمَا
وَشَمْسُ الضَّحَى فِي الصَّحُولِ تَقْبَلُ الْكُتْمَا
سَقَتْهَا سَحَابُ الْفَضْلِ مِنْ فِكْرِكَ الْأَسْمَى
مَضَى زَمَنٌ مَاحَرَكْتَ نَحْوَهُ عَزْمًا

وفي ضمنه اغزُّ جلته لحاطري
فأوضحت بالتلويح عقد عقوده
فلولاك لم تفتج عقايمُ فكري
أمرت بتبيين الجواب وإثني
فن أنجل ذا أرسلت من روض فكري
وشيعت بكر آمن عذاري خواطري
عقيلة خدر للأعاريب تعترني
إذا قليت يوماً على سماع منصت^(١)
وتصبغ وجه الحاسدين بصفرة
فلا جاد ربع الحاسدين غمامة
وحيا الحيا من طاب خيماً وفطرة
فإن وجود المنصفين نعدّه
ودم في سماء الفضل شمساً منيرة
مدى الدهر ما استولى الغرام على فتي

بديهة فكر تنقب الصخرة الصما
فمنك كالتصريح لفظ الذي أوسى
ولا نظمت من درّ أبحرها نظماً
رأيت امتثال الأمر ياسيدي حتما
أزهر من سقيا الحجي بسمت بسما
صريحة أنساب إذا أصبحت تنمى
كأن جديساً جدّها كان أوطسها
تشرّد عن أوطان خاطره الهما
كان استماع الفضل يورثهم سُقما
ولا زال هذا الدهر يوسمهم ذمّاً
ولا ذاق في الأيام ظلماً ولا هضماً
على قلة الإنصاف في دهرنا غنماً
وجانبك الأعلى ورتبتك العظمى
فسامر من شوق إلى بدره نجماً

ولما^(٢) وصلت هذه القصيدة إلى الشهاب المذكور عرضها على شيخه الشيخ
أسد الدين التبريزي ثم الدمشقي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، فكتب إليّ

(١) م « منصف »

(٢) ه ، ب « قلت ولا »

نثراً يتقدمُ قصيدةً ، على وزن هذه القصيدة وقافيتها وتعرض فيها لمدهي
ولده الشهاب المذكور . وبعد وصول قصيدة الشيخ أسد الدين إليّ كتب إليّ
الشهابُ المذكور قصيدةً على الوزن والقافية أيضاً يمدح فيها الشيخ أسد الدين
المذكور ويمدحني أيضاً . ولنذكر النثر الذي كتبه الشيخ أسد الدين ، وقصيدته
بتامها^(١) وقصيدة الشهاب المذكورة بتامها .

فأمّا النثرُ فهو ما كتبَ إليّ في سنة تسع مئة وثلاث وتسعين فقال :
يا مولانا . هذا الجوابُ الذي لعب بنا لعب الشول بالألباب ، وأبرز
مخدرات المعاني من وراء الحجاب ، وجلاها على أبناء الأدب سافرة النقاب .
فتطفّل الفقير على تلك الفوائد ، وانتقى منها غرر الفرائد . فلما تأمل في ذلك
العقد المنضد جاشَ صدره ، وقدم فكره . فأنشد :

سَقُونِي وَقَالُوا لَا تَعْنُ وَلَوْ سَقَوْا جِبَالَ حُنَيْنٍ مَاسَقُونِي لَعَنَّتْ
وقد سبق مولانا في حلبة الرمان مجلياً ، وتلاه الشهاب المجاب مصليا ،
ومذ أصبح مولانا مالك زمام الأدب سار الفقير من غير نقص في مولانا
متبها . وإن كان حال شعري المسطور ، كما قال الشهاب المذكور :

إِنْ كَانَ يَحْكِي الَّذِي أَبَدَيْتَ قَافِيَةً فَلَيْسَ مِثْلَالَهُ فِي اللَّطْفِ وَالْحِكْمِ
هَلْ طَلَعَتْ غَيْثٌ يُجَاكِي وَابِلًا هَظِلًا أَمْ هَلْ غَدِيرٌ يُجَاكِي الْبَحْرَ فِي الْعِظَمِ
وامّا القصيدةُ الأُسديّةُ فهي هذه^(٢) :

يُفَوِّقُ نُحُوي لِحْظُهُ أَبَدًا سَهَا وَلَمْ أَرَّ لِي فِي حَبِّهِ غَيْرَ ذَا سَهْمَا
بِنَارِ الْجَوِي أَفْنَى وَجُودِي وَلَمْ يَدْعَ مِنْ الْجَسَدِ الْبَالِي خِيَالًا وَلَا دَسَا

(١) في ٥ ، ب بدلاً من قوله « وقصيدته بتامها ... » مايلي : ونذكر من قصيدته

المذكورة بعض أبيات . ومن قصيدة الشهاب أيضاً بعض أبيات : «

(٢) ب ، ٥ « فطلما »

(١) إذا مادحى ليل أراعي نجومه
إلى الصبح لم أعر ف لطيب الكرى طهما
فبين فؤادي والغرام تلازم
و بين جنوني والكرى الفتنة العظي
ولم أكتسب من حبه طول مدتي
سوى أن كسوت القلب والبدن السقما
فدعم ذاك الحال حسنا بوجهه
طفقت أنادي الحال من حيرتي عمّا
أيا لأنني فيه استمع لصفاته
لعلك أن تبدي التعطف والرحما
أغن رشيق القد أعيد أهيف
بديع صفات اللحظ أحورّه ألمي
محياه لما بان في ليل شعره
[بدالي] بدو التّم في الليلة الظلما
ولما انتنى يرنو بألحاظ جوذري
تذكرت أيضا جردت والقنا الصما
أعادل دع عنك الملام فإنني
أضعت رشادي حين أحببت والعزما
غزال يصيد الأسد في يوم حربه
ويُيدي مع الأحباب بين الورى سلما
ولما أراد الفتك بي حين صادني
تقلد سيف اللّحظ ثم مضى قدما
مراشقه درياق ملسوع صدغه
فما باله أبدي من الصدّ لي سّما
ولا تحسبني في هواه مجددا
فناز هواه أحرقت كبدي قدما
وقد كنت أخفي الحب قدما فذ بدا
مشيب برأسي ما استطعت له كتما^(١)
مشيب حبّ والملام وغرابة
وصدّ أذاب القلب مني والجسما
تجمعت البلوى عليّ وليس لي
وجود لأنني صرت من صدّه وهما

(١) من هنا إلى ما بعد ١٤ بيتا كله ساقط من ٥ ، ب

(٢) إلى هنا ساقط في ٥ ، ب ثم فيها : إلى أن يقول : مشيب ..

تقسمتِ الناسُ الوصالَ جميعه
(١) أَيْحَسُنُ فِي شَرَعِ الْحَبِيبَةِ أَنِّي
أَيْحَسُنُ فِي شَرَعِ الْحَبِيبَةِ أَنْ أَرَى
قَضَايَا الْوَرَى فِي الْحَبِّ قَدْ أَنْتَجَتْ لَهُمْ
تَمَكُّ قَلْبِي كُلَّهُ بِلِحَاطِهِ
لَقَدْ مَتُّ غَمًّا فِي هَوَاهُ وَإِنِّي
لَقَدْ جِئْتُ أَشْكُو مِنْ هَوَاهُ إِلَى فَيَّ
هُوَ الْحَسَنُ الْأَفْعَالِ وَالْإِسْمِ وَالَّذِي
وَصَاحِبِهِ ذَاكَ الَّذِي بَدَّ فَضْلَهُ
| شَهَابٍ مِنْ اللَّهِ الْمُهَيْمِنِ تَأَقَّبُ
فَلَوْلَاهُمَا مَا كَانَ لِلْفَضْلِ رَوْقٌ
| هُمَا مُفْرَدَا ذَا الْعَضْرِ فِي الْعِلْمِ وَالْحُجْبَى
كَأَنَّهَا عِنْدَ التَّسَاجِلِ أَصْبَحَا
(٤) وَقَدْ نَظَّمَا فِي السَّلَكِ دَرًّا مُنْضَدًّا

وَكَانَ النَّوَى لِي بَيْنَهُمْ دُونَهُمْ قَسَمِ
أَمُوتُ وَمَا قَارَفْتُ إِثْمًا وَلَا جُرْمًا
بِمَرَشَفِهِ مَاءَ الْحَيَاةِ وَأَنْ أَظْلَمَا
قَضَايَايَ فِي حَيِّ لَهْمٍ أَنْتَجَتْ عُقْمَا
وَلَمْ يَبْقَ لِي قَلْبًا لِزَيْنَبٍ أَوْ سَلَمَى
مَضَى لِي دَهْرٌ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ الْعَمَّا (٢)
مِنَاقِبِهِ تَسْتَعْرِقُ النَّثْرَ وَالنَّظْمَا
مَدِيحُ عِلَاهُ صَارَ فِي مَذْهَبِي حَتْمَا
فَضَائِلُ مَنْ جَارَاهُ فِي فَضْلِهِ خَصْمَا
وَلَكِنِّي فِي عِلْمِهِ يَشْبَهُ الْيَمَّا (٣)
وَمَا رَقْتُ كَفَايَ فِي وَرْقٍ رَقَا
هُمَا شَاعِرَا ذَا الدَّهْرِ قَدْ خَتَمَا خَتْمَا (٣)
كَشَمْسِ الضَّحَى قَدْ قَارَنْتَ قَرَأْتُمَا
وَقَدْ حَيَّرَا فِي وَصْفِهِ الْعُرْبَ وَالْعَجْمَا

(١) من هنا يبدأ سطر جديد في ه ، ب

(٢) الى هنا ساقط من ه ، ب

(٣) ساقط من ه ، ب

(٤) من هنا ساقط من ه ، ب

هما شتفا سمي بشعرٍ مُهذبٍ لديه أبو تمامِ النَّدْبُ ما تَمَّا
 هما أحييا ربم الفضائل بعدما عفا رسمه لم يبق سوى اسما
 فما روضة غناء باكرها الندى وفتفت الأزهارُ في دوحها كَمَا
 وقام خطيبُ الدَّوحِ فيها مُغرداً يجدد للعشاق في سجمه عَزَمًا
 وفاح شذاها عندما هبت الصبا ونفس عن قلب الحب العنا الجمًا
 تسلم في أرجائها الماءُ جارياً على حصباتٍ كالجواهر أو أسمى
 بأحسن منه حين زار منازلِي وأشرق من أنواره الليلة الدهما
 فسامرته جنح الدجى مُتَلذذاً وأوثقته ضمًا وأوسعته لثما
 أهديتها لي الشعرَ أم ففت ساحرِ أم العقدَ أم بدرَ الدياجي أم النجما
 أم الوردَ أم زهرَ الرياض أم المني أم الشمس أم كأس المدام أم النعمي
 فدوما جميعاً بارك الله فيكما تفيدان طلاباً أتوا نحوكم علما
 ولا تفترا غيظاً على الدهر إنهُ عن الفاضل النحويِّ ذو نظر أعمي
 فيكفيكما غيظُ الجهول لفضلكم وإن رغمت أنفُ الحسود به وغمما^(١)
 ولا زلتما في نعمةٍ ومسرّةٍ ولا تريا في الدهر نقصاً ولا وصما^(٢)
 مدى الدهر ما غنى على الدوحِ تساجعُ فأجلى به عن قلب سامعه همًا

(١) الى هنا سائط في ه ، ب °

(٢) ه ، ب « ظلاً ولا مضياً »

وأما القصيدة الشهاية فهي هذه (١) :

أتى يننتي كاللذن بل قدته أسمى
فريدكال (٢) جامع الظرف (٣) جوذر
إذا ما بدا أو ماس تيهاً وإن رنا
ترى وجهه في شعره السبّط مشرقا
له مقلة سيّافة غمدّها الحشا
لمحت بطرفي خده فكلمته
تجسم من لطف وظرفٍ أما ترى
لو قلت تحكيه الغزاة لفتة (٧)
غزاني ببيض السود من طرفه ومن
وحلني في الحب أثقال ردفه
وأعجب ما فيه بجود بطيقه
وقد فطرت قلبي نوابٍ بينه
غزالٌ بفعل الجفن يلميك عن أسما
أمير جمال (٤) اهيف أحور المي
ترى البدر منه والمثقف والسهما
ومن عجب شمس بداجية ظلما
ونباله قلبي لأسهمها مرعى
فقلته قُدمي ووجنته تدمي (٥)
تألمه (٦) لما تخيّته وهما
وتحكي عيّاه لأوسعته ذمّا
طوارق هجراً فنت الجسم والرّسما
والبسني من خصره الناحل السقما
وقد سلب الأجزاء من هجره النوما
وטר في نوى من غير رؤيته صوما

(١) ب ه « وأما القصيدة التي كتبها الشيخ شهاب المذكور فظلمها . »

(٢) ه « جمال »

(٣) ه « اللطف »

(٤) ه « كمال »

(٥) ه ساقط من ه ، ب

(٦) ه « تغيّره »

(٧) من هنا ساقط في ه ، ب

وَحَلَّتْ عُرَى جَسْمِي بِدُ الْبَعْدِ فَا نَبْرِي وَلَكِنْ عُرَى وَدَّتِي بِهَ أَحْكَمَتْ بَرْمَا
كَفِي حَزْنًا أَتَى رَهِيْنُ سَقَامِهِ وَغَيْرِي وَافٍ مِنْ تَعْظَمِهِ قَسْمَا
بِحْيَى يَوْمَ الْبَيْنِ نَمَّتْ مَدَامِعِي وَمَنْ سِرُّهُ فِي الْجَنَنِ لَا يَأْمَنُ النَّهْمَا
حَكَمْتِي حَمَامُ الْبَانَ شَجْوًا فَكَلْنَا لَقَرَطِ الْجَوِيِّ يَبْكِي عَلَى الْبَانَةِ الشَّمَا
تَعَلَّمْتُ مِنْ دَمْعِي النَّثِيرِ وَثَغْرِهِ وَمَا كَذْتُ أَدْرِي النَّثْرَ فِي اللَّفْظِ وَالنَّظْمَا
وَلَوْلَا جَفَاهُ لَمْ تَفْضُ مَقَلَّتِي دَمًا وَوَلَا نَوَاهُ لَمْ يَهْضُ [لِي] الْهَوَى الْعِظْمَا
إِذَا لَأْمَنِي قَوْمٌ بِحَبِيْبِهِ لَا أَرَى إِطَاعَتَهُمْ لَكِنْ أَرَى آوَمَهُمْ لَوْ مَا
يَلُومُونَ أَنْ يُطْفُوا بِنَارِ مَلَامِهِمْ هَوَايَ وَمَا بِالنَّارِ يُطْفَأُ بِلِ يُحْمَى
فَفِي عَيْنِهِمْ عَنِ لَطْفِ إِبْدَاعِهِ عَمِي وَلِي أَدُنُّ عَنْ فَحْشِ عَذْلِهِمْ صِمَا^(١)
يَمِينًا بِمَيَاتِ الْمِبَاسِمِ إِنِّي عَنِ الْحَبِّ لَا أَلْوِي بِلَوْمِهِمُ الْغَرْمَا
وَلَا ابْتَغِي عَنْ قَيْدِ حَبِيْبِهِ مَخْلَصًا سِوَى حَسَنِ قَوْلًا وَفِعْلًا كَذَلِكَ اسْمَا
إِمَامِ أَوْلِي الْأَفْضَالِ فَخَرُّ زَمَانِهِ فَرِيدُ الْوَرَى فِي كُلِّ عِلْمٍ غَدَايْمَا
يَوْمٌ لَدَى حَلِّ الْعَوِيصَاتِ إِنْ دَجَتْ فَيَحْسَمُ إِشْكَالَاتَهَا فِكْرُهُ حَسْمَا
وَأَطْلَعَ شَمْسَ الْفَضْلِ بَعْدَ أَفْوَلْهَا وَشَوْهَ وَجْهَ الْجَهْلِ حَتَّى غَدَا جَبْهَا
لِعَمْرِي لَقَدْ فَاقَ الْأَوَاخِرَ فِطْنَةً

(١) الى هنا ساقط في ٢٥ ب

(٢) من هنا الى آخر القصيدة ساقط في ٢٥ ب

إذا العُربُ جاروه ميادين أفتحوا
ولو ظمئت في كشفِ رمزِ نفوسهم
أليس عجبياً يُدعى خلو دهرنا
ويانفت السحر الحلال بلفظه
ويا مُودعاً لطف النسيم كلامه
إليك مقاليدُ البلاغة القيت
لبست من الأفضال أوفر حلة
وأرسلت طرساً بل صحائف فضة
بل الخمر في كأس البيان مرثوقاً
بل الزهر في روض الطروس منضداً
لقد جاد وشمي الفصاحة روضه
لديه يرى نظم ابن زيدون ناقصاً
فلا مُتعت عيني بحسن حبيبها
فهاك قريضي عن قريضك قاصر
ودرك في سلك البيان منظم
وما يشبه البحر الحضم جداول

فتحسبهم من عي نطقهم عجباً
لأرشفهم من ثغر أفكاره ظلمنا
من الفضل وهو البحر فيه طماعلما
ويا من اليه كل مجد غدا يُنمى
وإن كان في أحشاء أعدائه كلماً
ومنك الموالي تستقي الوايل الجمّاً
وعمرت ربماً في العلا قارن النجى
ونظماً بل المنثور من ربك الأسمى
وليست ترى الأفهام في شربه إثماً
بل البرد قد أودعت في وشيه رقماً
فاضحت فنون اللطف في وجهه وسمّاً
وشعر حبيب في السلامة ماتماً
وقرت به إن عاينت مثله نظماً
وهل ير مع^(١) يجي الدراري في الدهما
وجزعي في سنك الركاكة قد ضمّاً
كذاك الشهي لا يباحق القمر التماً

(١) اليرمع : حمى بيض تلح ، اذا فتت انفتت .

ودم غرّة في جبهة الدهر نزهةً أديب الوري حلف النهى أوحداً قرما
وأبقيت مأوى كلِّ مجدٍ وسُودٍ وسحّت على نادي فضائلك النُعمى
مدى الدهر ما وثي مطارف طرسه أريب يري الحشا مدحته حتم |
[وهو باق الى الآن في بيته بقيد الترسيم ، شفاه الله المولى الحكيم]^(١)

(١) الزيادة من ٥ ، ب . وفي حاشية ٥ : ثم توفي سنة ١٠٣٣ هـ .

٣٥

الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ أسد

هو الشيخ الصالح ، الفاضل الفالح ، العابدُ الزاهد ، الملازم على العبادة في غالب المعابد .

كان والده الشيخ أسد في الأصل من قرية حمّارا ، ثم خرج منها الى دمشق . وأخذ عن الشيخ العارف بالله الشيخ محمد بن عراق الطريق . ثم ارتحل الى بلاد صفد الى قرية يقال لها الدبر وبها توفي . فنشأ ولده الشيخ أحمد صاحب هذه الترجمة على الطاعة والعبادة . وورث عنه السبحة والسجادة . غير أنّ الشيخ أحمد هذا مقيم في مدينة صفد في زاوية تعرف به الآن ، وكانت قديماً تعرف بجامع الصدر .

وهو الآن من محاسن الأخيار من الأتقياء الأبرار . مولده بمدينة صفد ، على ما أخبرني بذلك ابن أخيه الشيخ عبد الرحيم ، في سنة ٩٤٤ . فيكون عمره في هذا التاريخ ، وهي سنة تسع بعد الألف ، خمساً وستين سنة . ولهم وردٌ خاصٌ بهم نقلوه عن أستاذ والدهم الشيخ محمد بن عراق يقرؤنه مع جماعتهم في أعقاب الصلوات الخمس .

وهو شيخ له نور ساطع ، وضياء من العبادة لامع ، لا يفارق تلاوة القرآن ، ولا يفتر ساعة عن عبادة الملك الديان . وله خطٌ حسنٌ وعبارات مستحسنة ، وفضيلة لائقة بأمثاله حسنة .

وأخبرني ابن أخيه الشيخ عبد الرحيم المذكور أنّ عمّه الشيخ أحمد المذكور متجانبٌ عن الاختلاط بالانام ، وأتّه لا يتردّد الى الحكام ، بل

ربما يتردّد الحُكّامُ اليه ويخضعون بين يديه . لكنه ربما سلم على الحاكم عند ابتداء قدومه مرة واحدة (٤٦ آ) لايعيدها ، إلاّ بضرورة داعية لاييريدُها . وله بعض علوفات قليلة | من جانب السلطنة العلية . وربما يرسل بعض أقاربه لاستيفائها من ديوان دمشق المحميّة . (١)

والديرُ الذي ذكرنا أنّ الشيخ الأسد توفي فيه في سفح جبل بالقرب من قرية البُصنة . وكان الدير قديماً يعرف بدير الخضر . وكان قديماً مسكن النصارى ، فأخرجهم منه المرحوم السلطان سليمان رحمه الله تعالى وأمر الشيخ الأسد بالإقامة فيه مع أولاده وأتباعه . فامتثل الأمر الشريف وقطن فيه الى أن توفاه الله تعالى . وكانت وفاةُ الشيخ أسد المذكور في الدير المزبور سنة ٩٧٧ .

وأولاده وأنساله مقيمون به ماعدا الشيخ أحمد صاحب هذه الترجمة فإنه مقيم بمدينة صفد كما شرحناه .

وبالجملة فالأسد لايعقب إلاّ الأشبال ، وصاحب الحال لاينشأ عنه الا أرباب الأحوال . والفروع سالكون على طريق الأصول . وأفعالهم تابعةٌ لما كان عليه الرسول . ولم يُنقل عنهم ما يخالف المعقول ولا يُنافي المنقول . وقد بارك الله في نسلهم فانتشروا ، وبجاسن الصفات قد اشتهروا . والحمد لله على كل حال ، وعليه الاعتماد في جميع الأحوال .

٣٦

الشيخ أحمد الحلبي الشهير بابن الملا

هو الشيخُ الفاضل ، |العلامةُ الكاملُ|^(١) ، ذو الفواضل والفضائل ،
والمآثر التي ليس لها من 'مماثل' .

ورد الى دمشق مع ابيه الشهير بالملا . وكان أبوه من أعيان الناس .
تولى أوقاف المدرسة السليمية بالصاحية المحمية . ونشأ ولده أحمد هذا فاضلاً
بارعاً ، حافظاً جامعاً . جال في ميدان العربية ففاز بقصات السبقي ،
وتناظر مع أبناء الأدب فما منهم إلاّ من سلّم له بالسيادة وله إسترق .
واستمر مع والده في دمشق مدة طويلة ورجع معه الى حلب ، واجتهد
في الطلب ، للعارف والعلوم ، وبالغ في النصح عما تضمنته من منطوقٍ
ومفهوم ، الى أن أصبح في العلم علامة ، وفي الفهم فهامة . وسافر الى دار
السلطنة العلية قسطنطينية المحمية . فدرّس في حلب بعدة مدارس ، ومدح
في الروم مقبي دار السلطنة العلية المولى أبا السعود ، صاحب التفسير الفائق
على درر العقود . وأجاد في مدحه الى أن أشاع المدوح المذكور أشعاره
في الروم ، ونال بذلك من الرفعة ما يطلبه ويروم .

ولما رأى العالم قد صار للجاهل مطلوباً ، وأصبح العالم مقلوباً ، بحيث
أنّ العلماء ضاعوا بين الجهّال ، وسقطت مرتبتهم الى الخسيس (٤٦ ب)
بعد المنزل المتعال ، وأصبحت المدارس تُتباع لمن يدرسها ، ولا يدرّس
فيها ، وطارت معاني الكتب في آفاق الضياع من قوادمها الى خوافيها ،

وكبر الجهاد العلماء ، حتى ارتفعوا الى القمائم ، وقطنوا لجهامهم فيما كانت ينزله العلماء من المعالم ، تخلى عن المناصب ، وما تجلى في مناصب المراتب ، بل ترك التدريس ودرسه ، ونسي الدرس وما درسه .

وكان له وقفٌ قد انتقل اليه من بعض أسلافه ، فاكتفى بما يحصل منه ، فامتوى مادراً من أخلافه . وقطن غالب أوقاته في الضياع ، حتى أصارته الى وصف الضياع .

وكان ملازماً على التحرير والتصنيف ، والتقريب والتأليف . بحيث انه شرح « مغني اللبيب عن كتب الأعراب » للعلامة جمال الدين بن هشام . وأخبرني من رآه من العلماء الأعلام أن الشرح المذكور في بابه غاية لا ترام ، وأنه واضح المباني ، متين المعاني . تبسم منه^(١) تغور التحقيق ، وتنفخ من أزهاره أرواح التدقيق . وما وقفت عليه لكن سمعت بأوصافه الحسنة ، ومعانيه المستحسنة . وله في النظم اليد الطائفة ، وفي النثر المقاصد الكاملة . سلم له أهل زمانه ، من مشايخه وأقرانه . وكان يحضر في بعض فصول السنة الى حلب الشهباء فيبادر أعيانها الى الاجتماع به ، ولا يتخلف عنه كبير ولا صغير ، ولا جليل ولا حقير . وغالب أخذه العلوم عن عالم حلب المرحوم الشهير بابن الحنبلي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ولكن صدرت له محنة في آخر عمره وأفضت به الى الزوال ، وأصارته منقولاً الى وصف الانتقال . وذلك أنه لما كثرت إقامته في القرى كما ذكرناه كان بعض الفلاحين يستند اليه في بعض المهمات ، ويستعين به عند وقع المهمات . فجاءه رجل وطلب منه أن يساعده في تزوجه لبنت رجل من أعيان هاتيك الناحية . وكان ابن عمها قد تكلم مع أبيها في أن يتزوجها . فلأجل خاطر الشيخ أحمد المذكور زوجها والدّها لمن طلبها على يد الشيخ ولم يزوجها لابن عمها . فعاقبه ابن عمها فقال : مالي ذنب في ذلك ،

ومافعلته إلا بإبرام من الشيخ أحمد فإته استاذنا وهو الحاكم علينا، وهو صاحب المرتبة العلية، في الديار الحليّة. فأسرّها ابن عمّ البنت في خاطره، وصار يرتاد الفرصة في قتل الشيخ المذكور إذا كان في القرية أيام يبادره. فلم يزل يحاول الفرصة، ليذهب بقتله ما عنده من الغصّة، حتى أمكنه غيمله (٤٧ آ) في ليله. فحضر إليه مع فرقة من الأستقياء المساعدين له على مراده، والمعادين له على كمال إسعافه وإسعاده. فكسر باب الدار، وكأس الحمام عليه أدار، وماراقب في قتله غضب الجبار. بلغني أنّ الشيخ كان جالساً يطالع في بعض الكتب المفيدة. وعنده عبدٌ حبشي يطبخ له قهوة ابن ليقوتيّ تسهيداً. وإذا بالشقيّ المذكور قد دخل عليه بغتة والسيّف في يده مسلول. فاستعطفه بما حضره من الكلام فكان عنده غير مقبول. وبطش به غير راحم لشيبته، ولا عاطفٍ على علومه وفضيلته. وسقاه بدل ما كان يتوقّب من القهوة كأس الحمام، وأدرك بذلك ما كان قد طلب من المرام. ونال الشيخ شهادة الآخرة، وحاز جنّة ناضرة، مع وجوه الى ربها فاظرة. وشاع الخبر بذلك في البلاد، حتى بكت حسن العهاد.

ولقد كان لطيف الأخلاق، كريماً على الغرباء والرفاق. ولقد أخبرني عنه جمٌّ غفير، وجمعٌ كثير، أنّه كان حلوّ المذاكرة، لطيف المحاضرة، رقيق المسامرة. ولولم يكن كذلك لما حاز السعادة، وفاز بمرتبة الشهادة. وكان له ولدان فاضلان عالمان كاملان. أحدهما اسمه مجد، والآخر ابراهيم. وكلُّ منهما في حلب رئيسٌ جليل عظيم. يتوقّدان ذكاءً وفهماً، ويتدفقان سخاءً وعلماً.

وبلغني أنّ القتائل لأبيها المذكور مع مَنْ كان من أرباب الشقاوة والشرور، قد قتلوا قصاصاً. وما وجدوا من السيّف خلاصاً. وأنّ استيفاء حقه منهم كان في مدة قصيرة، وأنّ مولاة الحق كان في ذلك نصيره. وله من النظم ما يسعّر الألباب، ومن النثر ما لايفلق معه كتاب.

فمن ذلك ما قاله في حقّ رجلٍ شريفٍ كان نقيب الأشراف بجلب ، وكان
بذي اللسان ، مغرى بثلب الأعيان . وكان يُتهمُ بالمغلاة في القرابة ،
وعدم الحب لحضرات الصحابة :

ياسيداً مِنْ شَرِّهِ إنا نعوذُ بعائشة
رفقاً على أعراضنا ما أنتِ إلاّ فاحشة

ومن ذلك ما قاله يصف ربيعاً نصيراً ، لا تجده له نظيراً ، واجداد ،
فيا أفاد :

أرى نضجاتِ الزهر عطّرتِ الحمى كأنّ غزالي في الرياض تَنَسَّما^(١)
ومن عجبٍ أنّ الغمامة قد بكتْ سَحَيِّراً وثغر الروض أبدى تبسُّما
وقد نشرتْ أيدي الغصون^(٢) لآلئاً غدت [فوق] زلد النمر دراً منظماً^(٣)
وقد دارتِ الكاساتُ من كفِّ أعيدٍ كبدر أَرانا فوق كفيهِ أنجُما
وقد صفقتْ في الدوح أغصانهُ على غنا الورق والشحرور غنى وزمزما
ودبَّ عذارُ الآس في خدِ روضةٍ بها عارضُ الريحان لآح مُسنِّما
أهنيك قد جاء الربيعُ وأقبلتْ بشائرُهُ والدهر انك منعما
فأسرعْ إلى كاساتِ خمر^(٤) كأَنها وقد برزتْ من كفِّ ظبيّ تلثما
هلالٌ أدار الشمسَ ما بين ممشَر من الغيدِ تلقى دونهم أنجم السما
شمنا لها عرفاً تصوعُ نشرهُ فأحيا نفوساً حبَّابها قد تصرّما

(١) ه ، ب « تبسّما »

(٢) ب ، م « الربيع »

(٣) في النسخ « غدت زلد النمر دراً منظماً »

(٤) ه « خير »

إِذَا مَابَدَتْ مِنْ دَنِّهَا ^(١) خَلَّتْ أَنَّهَا
وَإِنْ قَمَّتْ فِي الطَّاسِ أَبَدِي حَبَابُهَا
أَدِيرْتُ عَلَيْنَا وَالصَّبَاحُ كَأَنَّهُ
وَمَا زَالَ سَاقِنَا يَحْتُ كَوْسَهَا
وَمَا خَلَّتْ أَنْ الشَّمْسُ أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا
وَمَا ذَاكَ إِلَّا مَذْرَأَاتُ بَدْرِ كَأَسْنَا
فَعَادَتْ بِقَلْبٍ خَافِقٍ نَحْوَ مَغْرَبِ
نَسْوَدُ مَا فِي الشَّرْقِ ثَوْبٌ حِدَادِهَا
وَأَحْوَرُ لِحْظٍ مَا تَبَدَّى عِذَارُهُ
يَسْلُ مِنْ الْأَحْظَافِ عَضْبًا مَهْتَدًا
وَيَفْتَرُّ عَنْ خَمْرٍ يَمَازِجُ سُكْرًا
وَقَدْ خَطَّ فَوْقَ الثَّغْرِ بِالْمَسْكِ شَارِبٌ
لَهُ مَقْلَتَا ظِيٍّ وَعَظْفُ غَزَالَةٍ
أَنَادِيهِ وَالْأَجْفَانُ هَامٌ سَحَابُهَا
لَكَ اللَّهُ رَفَقًا قَدْ أَذْبَتِ ^(٣) مَهْبَتُكَ

سُرُورٌ بِكَاسَاتِ النِّعَمِ تَجَسَّمَا
فَوَاقِعَ يَاقُوتِ عَلَى التَّبَرِّ قَدْ طَمَا
إِضَاءَةٌ ثَغْرِ مِنْ حَبِيبٍ تَبَسَّمَا
عَلَيْنَا إِلَى أَنْ أُبْرَزَ الشَّرْقُ أَدُهَمَا
إِلَى الْغَرْبِ الْإَمْنِ ^(٢) جَوِيٍّ وَتَضْرَمَا
بِأَفْقِ السَّمَاءِ أَلْقَى الضِّيَاءُ وَخَيْمًا
أَقَامَتْ بِهِ مِنْ فَقْدِهَا النُّورَ مَا تَمَّا
وَفِي الْغَرْبِ أَجْرَتْ مِنْ مَحَاجِرِهَا دَمَا
وَإِكْنَ مَا فِي خَدِّهِ الطَّرْفُ أَوْ هَمَا
وَمَنْ قَدَّهُ إِنْ مَاسَ رُحْمًا مَقُومًا
عَلَى لَوْلُؤٍ فَوْقَ الْعَقِيقِ قَنْظًا
بِجَانِبِهِ خَالٌ أَمَاتِ الْمُتَيْمَمَا
وَقَدْ رُدَّ نَبِيٍّ وَصَدَعٌ تَنْمَمَا
وَطَعْمُ الْكُرِيِّ عَنِ مَقْلَتِي الْبَعْدُ قَدَّمِي
كَسْتِي بَسَّحَابِ الطَّرْفِ فِي خَدِّهِ مِي

(١) « دونها »

(٢) « عن »

(٣) « اذابت »

يبيتُ على فرشِ الصبابة والضنا
إذا غبرَّ وجهُ الشرقِ فاضتْ شئونُه^(١)
وانْ أشرقَتْ منه الغزاةُ خلته
وإنْ هتفتْ ورقاءُ في الدوحِ هيبتْ
حامِ الحِمى رِقفاً فإني متيمٌ
مقيمٌ بأرضِ الرومِ في سوءِ حالةِ
بلادِ بها أهلُ الفضائلِ عالةٌ
فسحقاً لأهلِها أولي البغي والهوى
وما نقلته من خطه في رحلته
الرحلة الرومية ، قوله :

ألا إنَّ الفراقَ سببا فؤادي
وأجرى بجرِّ دَمعي من عيوني
فلي وجدَّ عن العُدالِ خافٍ
نزحتُ عن الأحبةِ فالتسلي
عسى الرحمنُ يجمعنا قريباً
وبالجملة فإنه من مُفردات الزمان ، ومن محاسن الخلاتن ، والإخوان .
مانخلف بعده مثله ، ومن تشبه به صار للتعقير مثله . رحمه الله تعالى رحمة
واسعة الى يوم الحساب .

(١) م ، ه ، ب « شجونُه » ولعلها كما التبتنا .

(٢) ه « عن »

٣٧

الأمير أحمد بن الأمير قانصوه الغزاوي الساعدي

تولى أحمد المذكور هذا الإمارة بعجلون^(١) وما والاها من بلاد الكرك^(٢) والشوبك^(٣) بعد أبيه الأمير قانصوه ، وبأشر الإمارة في هاتيك النواحي في زمن سلطنة المرحوم السلطان مراد ابن السلطان سليم . وكان قليل الأذى للرعايا ولكن كان منسوباً الى الخسة .

وبالجملة هو من قوم لهم قدمٌ في الإمارة في هاتيك البلاد ، وكانوا في زمن الجراكسة أمراءها . ورأيتُ من اجدادهم في بعض التواريخ الأمير محمد بن ساعد . وذكر صاحب التاريخ المذكور أنه كان أميراً في جبل عجلون ، وأن بعض حكام دمشق طلع اليه الى بلاده فهرب منه وخافه . وأمّا قانصوه والد الأمير أحمد هذا فإنه كان جمال البيت المذكور ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف القاف .

مات الأمير أحمد المذكور فجأةً بتواحي عجلون . وذلك أن بعض أمراء دمشق أرسل اليه أحكاماً سلطانيةً في بعض المهمات مع بعض الأجناد فينبأ الرسولُ عنده إذ قيل مات الأمير . فاضطربت البلادُ لذلك حتى قيل للرسول (٤٨ ب) أنت ناوت الأمير | شيئاً شمه ، فكان

(١) بلدة كبيرة في الأردن اليوم

(٢) بلدة كبيرة في الأردن اليوم . انظر عنها معجم البلدان .

(٣) بلدة كبيرة في الأردن اليوم . انظر عنها معجم البلدان .

فيه (١) سمته . وليس كذلك . وإنما الامر كما قال الأمير أبو فراس
الجداني :

والكن إذا حُمَّ القضاءُ على امرئٍ فليس له بَرٌّ يقيه ولا بَجْرٌ
وإمارة عجلون في هذا التاريخ بيد الأمير حمدان ولد الأمير أحمد صاحب
هذه الترجمة وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

٣٨

أمير الأمراء أحمد باشا الشهير بين أمراء الأروام بشمسي أحمد باشا

هذا^(١) الأمير المذكور منسوبٌ الى حفصة خالد بن الوليد الصحابي رضي الله عنه . وهو من بيوت السلطنة القديمة ، يتصل نسبه بالسلطان اسفنديار سلطان قسطنطيني كان تولى هاتيك النواحي . لكن لما غلبت شوكة بني عثمان سلم اسفنديار سلطنته لهم باختياره بشروطٍ منها أن لا تخرج البلاد المذكورة عن يد من يوجد من نسله . ومنها أن لا يبقى أحدٌ من اولاده وأنساله بغير منصب يليق بشأنه ، ووفى بنو عثمان لهم بذلك . وصاحب هذه الترجمة خدام في بيت السلطنة بقسطنطينية عند سلاطين آل عثمان ، ولم يزل ينتقل في الولايات الى أن ولاة السلطان سليمان خان ، عليه الرحمة والرضوان ، إمارة الأمراء بدمشق الشام . فجاء إلى دمشق وسار في الناس سيرة حسنة . وكان كريم الطبع ، قليل الضرر ، كثير النفع للرعايا والأتباع . وطالت مدته^(٢) بدمشق ، وبني بها خانقاه قبالة قلعة دمشق من جانبها القبلي ملاصقةً لخندقها^(٣) . وجعل بها حجرات للصوفية ، وجعل لها وقفاً يطبخ منه كل ليلة بعد العصر طعام^(٤) يأكله المجاورون بها^(٤) وهي من محاسن دمشق ، وقعت على وضع لطيف .

(١) انظر ولاية دمشق في العهد العثماني ص ١٤

(٢) ص ٥ ، ب « مدة ولايته »

(٣) انظر ذيل ثمار المقاصد ص ١٩١ (مسجد الأحمدية)

(٤) ساقط من ٥

وبها بركة عظيمة وبستان، لطيف واقع في وسطها . ودائماً يكون بها شيخ يتناول ماسرط للمشايع من علوفة وطعام وعوائد وفوائد ، وانما قيل له شمسي ليكون مخلصاً له يذكره في شعره على عادة شعراء الفرس والروم لأن المذكور كان من محاسن شعراء الروم . له ديوان شعر مشهور بينهم يتداولونه ويحفظونه .

|| (١) ومن جملة آثاره أنه نظم كتاب « الوقاية في فقه الامام الأعظم أبي حنيفة » رضي الله عنه نظماً بلسان التركية وأكمله وعرضه على المولى أبي السعود المقي .

وكان القاضي بدمشق في أيام دولته قاضي القضاة محمد أفندي (١٤٩٠ آ) ابن العلامة المقي أبي السعود صاحب التفسير الآتي ذكره وذكر والده إن شاء الله تعالى . فاتفق أن القاضي المذكور كان راكباً في يوم عيد ومعه جماعته وأصحابه ، فرمى على باب دار الإمارة بدمشق ، وكان قد قام الباب المذكور أرجوحة لبعض الأجناد من جماعة أمير الأمراء المذكور ، والطبل والزمار يضرب للأرجوحة على العادة . فنقرت فرس القاضي من صوت الطبل فكادت تلقيه الى الأرض ، فأخذته حمية المنصب وأنفة النسب فأمر من معه بتخريق (٢) الطبل ، فخرقوا طبل الباشا وجماعته . فعلم بذلك أمير الأمراء فأمر بجدة غضبه بقطع ذنب فرس القاضي ، وأمر بضرب كل من رآوا من جماعته . فوجدوا بعض (٣) المنسويين الى القاضي من أعيان دمشق فضربهم ضرباً مبرحاً . فلزم أن كلا من الباشا والقاضي عرض حاله مع صاحبه إلى العتبة العلية بقسطنطينية الحمية . فعزل الباشا عن دمشق واعطي عوضها سينواس . وعزل القاضي وأعطي عوضاً عن دمشق قضاء حلب .

(١) من هنا الى قوله المقي ساقط من ه ، ب

(٢) ه ، ب « بتخريق »

(٣) ساقط من ه

وبعد سيواس تولى الحكومة بولاية بلاد الروم كلتها وصار بعد ذلك
مُصاحباً للسلطان سليم بن المرحوم السلطان سليمان . وكان موصوفاً بلطف
المصاحبة ، وحسن المعاشرة . وصاحبَ المرحوم السلطان مراد أيضاً بعد
أبيه السلطان سليم ، واستمر على ذلك الى أن توفي وهو في منصب المصاحبة
للسلطان مراد رحمهم الله تعالى .

وبالجملة فلقد كان من الذين يفتخر بهم الزمان ، ويبتهج بهم الدوران ،
وتربته بقسطنطينية المحروسة رحمه الله تعالى .

٣٩

الأمير أحمد بن رضوان بن مصطفى أمير غزة

يوم تاريخه | سلمه الله تعالى | (١)

هو الامير الكبير ، صاحب القدر الخطير ، والجود الغزير ، والعقل والتدبير . كان أبوه رضوان باشا من أكابر الأمراء بل وصل الى رتبة الوزراء في زمن السلطان [سليم ، وفي زمن السلطان مراد . وأما جده مصطفى باشا فإنه كان من كبار الأمراء في زمن السلطان سليمان] (٢) وأرسل مرات الى فتح بلاد اليمن . ووقفت على مكتوب عظيم من السلطان سليمان إلى المطهر الحسيني سلطان اليمن وفيه تهديد شديد ، ووعد وكيد . وفيه أمر المطهر بأنه لا يخالف مصطفى باشا المذكور . ومصطفى باشا هذا هو المعروف (٩٩ ب) بين العرب في بلاد الشام بمصطفى أبوشاهين . قالوا لكثرة حمله للشاهين على يده عند الصيد .

والأمير أحمد صاحب هذه الترجمة رُزق من السعادة حظاً عظيماً وافراً ، ووجد من الحظ العظيم (٣) ما كان له ناصراً . استولى على مملكة غزّة ما يقرب من ثلاثين سنة من غير عزلٍ يقتضي رحيله عنها ، ولا ذهابه منها . استوطنها فطابت له وطناً ، وسكنها فكانت له بالسعادة سكناً . وله أولادٌ نجبا ، وما منهم إلا من أشبه جداً أو أباً . وكلّهم من بنت المرحوم درويش باشا صاحب المدرسة الدرويشية بدمشق الشام . وخالفهم

(١) ساقط من ، ه ب

(٢) الزيادة من ، ه ب

(٣) ه ب « الجسم »

لأمهم حسن باشا الوزير ابن الوزير . وما منهم إلا مَنْ هو أمير ابن أمير ، وكبير ولد كبير .

فأمّا سليمان فهو نائب القدس الشريف في هذا الزمان .
وأخوه الذي دونه أمير نابلس في هذا الأوان .

وحاصل الأمر أنّ الأمير أحمد هذا وإن كان مقيماً على سبيل النيابة بغزة ، لكنّه قريب من الوزراء في الهبة والغزة . عرضت عليه نيابة حلب مرات فما أرادها ، ولا ورد مرادها . لأنه يريد أن تكون غزة وطناً له ولأولاده ، ويجب أن تكون معدودة من جملة أملاكه وبلاده . فهو لذلك لا يزالها ، ولا يحول عنها بل يحاولها . ولقد تولى إمارة الحاج الشريف الشامي فباشرها أحسن مباشرة . وحمدت أفعاله للدنيا والآخرة . وأمّا خيواته على العلماء الذين في بلدته ، وإحسانه للفقراء الذين في ناحيته فأمره يضيّق عنه نطاق البيان ، ويكل عن بيانه لسان كل ملسان . طالما يسعفهم في الأزمات ، ويمن عليهم بجزيل الهبات . وقد يحضر إلى دمشق في بعض الأعوام ، فيمن على من بها من العلماء والأمراء والأعوام ، وعمر بها بيتاً أذعن لحسنه أرباب البيوت ، لما حازه من اعظم الصفات والنعوت ، وهو في هذا التاريخ مقيم بغزة المحروسة يطرد عنها العصاة ، ويرد القطاع والبغاة . والقافلة المصرية بوجوده تجرد الأمن والإحسان . ولولاه لأخافها عصاة العربان .

وبالجملة فهو من محاسن عصرنا هذا ، وهو معدود من محاسن الدولة العثمانية . وقد انتشى في أيام امارته بغزة علماء وفضلاء سيأتي ذكر بعضهم إن شاء الله تعالى .

وفي سنة تسع بعد الألف أرسل الأمير أحمد المذكور الى باب السلطنة قصّاداً وتحفّافاً عظيماً . وصار أمير الأمراء ببعض المدن الكبيرة ، وتقاعد عن ذلك بإقطاع عظيم . وصير إمارة غزة باسم بعض أولاده رحمه الله . (٥٠ آ)

٤٠

صاحبنا الشيخ أحمد

المجاور يومئذ بالمدينة المنورة

على ساكنها ألف ألف صلاة وألف ألف تحية^(١)

وهو رجل صالح فالح ، | وبالصلاح والعبادة معروف بين الأنام^(٢) |
ولما^(٣) وصلنا من مكة المعظمة ، الى المدينة المنورة المكرمة ، في يوم
الاثنين قاصع الحرم الحرام سنة إحدى وعشرين بعد الألف ، دخلتُ
المدينة متقدما على ركب الحجيج الشامي ، لأكتسب المبادرة الى زيارة
الجناب الرفيع | السامي^(٤) . فلما دخلتُ باب الشام صادفتُ قبل كل
أحدِ الشيخ المذكور . فحيانا بالسلام ، فاستبشرتُ بوثيته ، وتيمّنتُ بطلعته .
فأدخل يده اليمن في كم يده الشمال . وأخرج منها وردةً حمراء كأنها
الشفق الأحمر ، عند بزوغ الفجر . كذب السرّحان . وأعطانيها فرائبها
خلقة عجيبة بارزة عن قدرة أبدية ، أزليّة غريبة . ولم يكن أحدٌ رأى
الورد قبلها في هاتيك^(٥) البلاد في ذلك الأوان . فتفاءلتُ بها وعلتُ أن
أمورنا الى خير وسداد . وما فارقتُ مراقبة المشاهدة للحجرة المكرمة في
تلك الأيام ، مدة إقامة الركب الشامي ، بل جاورتُ في سبيل المرحوم
أبي النصر السلطان قايتباي الذي كان سلطان الإسلام . والسبيلُ المذكور
على باب الرحمة مطلٌ بشباكٍ كبير على الحجرة الشريفة النبوية . على
صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية .

(١) ما بين الخطين القائمين ساقط من ه ، ب

(٢) ساقط من ب

(٣) ه ، ب « فحين »

(٤) ساقط من ه ، ب

(٥) ه ، ب « تلك »

٤١

الشيخ أحمد الصامتي المقدسي

هو الشيخ الصالح ، المعتقد الفالح ، البركة الصافي ، الصادق الوافي ، الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ عبد الكريم ابن المرحوم الشيخ موسى ابن الشيخ الصالح عبد المنعم الصامتي الأنصاري الخزرجي المقدسي .
الشيخ الذي روى الطريقة عن أبيه وجدته ، وشهدت له شواهد التسليم بسعادة طالعه وجدته .

ورد الى دمشق الشام | من بيت المقدس |^(١) مرات عديدة ، وتورد اليها مدة مديدة . ومنها ورؤده اليها في أوائل سنة عشر بعد الألف . فدعوته الى بيتي في دمشق فأجاب الدعوة ، واكتسبت بصعته أطفـ جلاوة ، وسألتهم عن نسبتهم الى حضرة عبادة [بن] الصامت ، فذكر دلائل صحيحة صريحة ، وشواهد صادقة مليحة ، وأوقفني على إجازة معه لبعضهم من حضرة القطب الرباني ، سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل فردوس الجنة مقيله ومثواه . فرأيت إجازة عظيمة متوجة بحضرة الشيخ عبد القادر رضي الله عنه في أعلاها (٥٠ ب) كتابته : أجزت الشيخ الصالح ، السعيد الفالح ، الشيخ عبد المنعم لما علمت من صلاح حاله ، وصدق أقواله ، وطهارة أفعاله ، وما نسب إلي في هذه الإجازة عندي مقبول . والله تعالى هو المأمول . وأنا عبد القادر بن أبي صالح الجيلي الحنبلي وفقه الله ووفق به ، وهدى الناس الى الخير بسببه . إنه ولي ذلك والقادر عليه . وهو حسبي ونعم الوكيل .

وحال الشيخ أحمد المذكور حال الأولياء لأنه في غاية الصلاح . كان مرة في بعض حمامات دمشق ومعه صاحب له ، فغسل أثوابه في الحمام وطلع صاحبه قبله . فرأى غلامه قد هرب من الحمام | (١) فأخبر الشيخ المذكور بذلك . وقال : اخرج الى أن نفتش على الغلام الى أين هرب | . فقال : نعم سمعاً وطاعة . وطلع ولبس ثيابه ووضع ماغسل من الثياب على كتفه ، وهي رطبة ، فكان الماء يتقاطر منها على ثيابه ، وهو دائر بدمشق يسأل عن الغلام ولا يبالي بحالته ، ومتى قال له رفيقه : 'فم' ، يقوم . ومتى قال له : اجلس ، يجلس . وهكذا .

وأما أهل بيت المقدس فيعكفون عن أسلافه حكايات لهم في الكرامات وخرق العادات . ولهم حلقة ذكر في المسجد الأقصى وعلى ذكرهم وسامة الصلاح ، ومبارق الفلاح . ولا سيما اتصافهم الى حضرة عبادة بن الصامت ، لأن الامام النووي رضي الله عنه ذكر أن عبادة بن الصامت كان قاضياً (٢) .

(١) من هنا الى قوله « هرب » ساقط من هـ

(٢) لم يذكر النووي أن عبادة كان قاضياً . انظر تهذيب الاحماء واللغات ١ : ٢٥٦

رقم ٢٨١ ؛ وانظر ايضاً قضاء دمشق لابن طولون .

٤٢

المولى أحمد أفندي ابن محمد

قاضي دمشق الشهير بشيخ زاده بمعنى ابن الشيخ

قد ولي^(١) قضاء دمشق المحروسة من جانب سلطان الإسلام ، وملك ملوك الأنام ، السلطان أحمد ابن المرحوم السلطان محمد خان . أدام الله تعالى سعادته الى انقضاء الدوران . وكان وصوله الى دمشق في غرة شعبان سنة اثنتين وعشرين وألف . ولم يكن بدمشق حاكم سيف عند ورود القاضي المذكور ، لأن حاكمها الوزير الكبير أحمد باشا الشهر كان نجماً تحت قلعة باناس في قتال فخر الدين بن معن أمير الدروز^(٢) . ثم في يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وألف ورد الخبر من باب السلطنة العلية بعزل القاضي المذكور^(٣) ، وكان قبل أن يصير قاضي دمشق مدرساً بمدرسة من مدارس دار السلطنة العلية وهي مدارس السلطان سليمان^(٤) وكانت مدة مكثه بدمشق سنة كاملة [من ابتداء شهر ربيع الثاني من سنة اثنتين وعشرين بعد الألف الى ابتداء الشهر المذكور]^(٥) وولوه بعد الشام قضاء مكة المعظمة . وما كان صنعه بدمشق إلا تعبير

(١) من هنا ساقط في ه ، ب

(٢) الى هنا ينتهي ماهو ساقط من ه ، ب

(٣) هذه الجملة في في ه ، ب تختلف عما هي عليه هنا . وهذا نصها : « ورد الخبر

في يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة في شهور ثلاث وعشرين بعد الألف من

باب السلطنة العلية بقسطنطينية المحمية الى دمشق الشام حماها الله من حوادث

الأيام بعزل القاضي المذكور ... »

(٤) م « مدارس السلطانية »

(٥) الزيادة من ه ، ب

المدارس الموقوفة بدمشق (٥١ آ) وامتل الناس أمره في ذلك إلا القليل ،
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم لما تحقق عزله من دمشق رحل منها الى بيت المقدس ، وزار المعاهد
هناك [واقام قليلا] ^(١) ثم توجه الى جانب مصر يريد أن يعبر منها الى
البندَر المعروف بالسويس ، ومنه الى مكة ، عظمها الله تعالى ، زائراً
وقاضياً . ولقد كان عازماً على الحج ولو لم يول قضاء مكة . فاتفق أن
الأحكام السلطانية الأحمديّة نفذها الله تعالى ورددت اليه الى دمشق وكان
قد طلع منها . فاستأجروا له ساعياً أخذها ولحقه في الطريق . وكان الناس
قد أشاعوا موته في الطريق . ولم يصحّ ذلك ^(٢) . وكان في دمشق
مباشراً للقضاء بهمة وعزيمة صارمة . وكانت له عفة عن أموال الناس ، لكنه
كان ضيق العطن سيء الظن في الناس ، لاسيما العلماء . وكان يُبغض غالب
الناس ويظهر التقوى . ثم إنه يحكي عن موالي الروم قبائح غريبة . ولا
ندري هل هي مخترعة أم هي واقعة .

وكان يشتم الناس بقوله : بره عرب ، يوّى أن الاتصاف بالعربية من
أكبر العيوب فيشتم بذلك . وكان قارة يزيد فيها : بره عرب طاط .
ولقد تسلط على صاحبنا الشيخ شمس الدين الميداني الشهير في دمشق
ابن الخنتوش تسلطاً عظيماً ، ولازم ذلك غالب مدته في دمشق . وذلك
لأن الشمس المذكور متول على أوقاف جامع يلبغا ^(٣) الناصري .

(١) الزيادة من ٥ ، ب

(٢) ساقط من ٥ ، ب

(٣) انظر النعيبي ١ : ٤٢٣

٤٣

أحمد باشا الوزير الملقب بالحافظ

هو^(١) الوزير الكبير الحافظ لكلام الله تعالى العليم الخبير . | الذي تولى في حرم السلطنة العثمانية في قسطنطينية المحمية^(٢) | فنبغ أميراً ، وصار وزيراً . تقلب في الولايات ، ونال المراتب العليا ، بحيث انه جلس في منزلة الوزارة العظمى ، ونال المقام الأسمى . وسبب تلقبه بالحافظ أنه حفظ كلام الله جل وعلا ، وقرأه بالروايات المتعددة ، وتلا ، وتولى مصر فباشرها أحسن مباشرة ، وطالت مدته بها ، ولما عُزل عنها رجع الى الأبواب السلطانية من طريق دمشق الشام ، وكان معه من الأسباب والتجملات ما يُستكثر على بعض الملوك . ونزل في دمشق في الميدان الأخضر^(٣) قريباً من العمارة السلطانية^(٤) . وكان أمير الأمراء حينئذ بدمشق مراد باشا الذي أُسر في ديار العجم . (٥١ ب) فتلقاه وأكرم نزله وأضافه ، وبالغ في رعايته ، حتى إنه قال له : يا أمير أنت ترحلني من دمشق بكثرة إحسانك ، فإنك قد أخرجتني بفضلك وأغرقني بأمطار سعائب منك .

ولما رحل عن دمشق ركب الأمير مراد باشا لوداعه ، وكذلك عساكر الشام . ولما وصل الى الأبواب العالية بقسطنطينية جعل وزيراً ومشيراً . وهو في هذا التاريخ - وهو سنة تسع بعد الألف - قائم مقام الوزير الأعظم إبراهيم باشا . وذلك لأن حضرة السلطان الأعظم ، والحقان الأكرم ،

(١) انظر ولاية دمشق في العهد العثماني ص ٢٩

(٢) ما بين الخطين القائمين ساطط من ٥ ، ب

(٣) انظر مخطوط دمشق القديمة لنا

(٤) انظر ذيل ثمار المعاصد ص ٢٢٥

السلطان محمد حفظه الله تعالى أرسل الوزير الأعظم ابراهيم باشا الى قتال الكفار في بلادهم . فلزم أن يكون له نائب من الوزراء ، فجعل الحافظ أحمد باشا المذكور قائماً مقامه ، يعرض الأمور المهمة على حضرة السلطان .

ومن غريب ما اتفق أن الحافظ هذا لما 'صرف عن ولاية مصر وذهب الى قسطنطينية حسبوا مال الخزينة في أيامه فوجدوه ناقصاً بمقدار خمس مئة الف دينار ذهباً عيناً . فطلبوه منه فتعلل ، فعرض الأمر على حضرة السلطان فأمر بتعيين قاضي العساكر بناحية أناطولي ، وهو يحيى افندي الشهير بقوش يحيى ، ومعه مولانا حسن افندي الشهير بابن القنلي قاضي القضاة بمصر سابقاً ، ومعها عثمان افندي قاضي القضاة بمصر سابقاً لأجل سماع الدعوى على الحافظ المذكور ، بالمال المزبور . وكان المدعي رأس أرباب الدفاتر محمود افندي الملقب بفجئ^(١) ، المزبلة ، لكونه وكيل حضرة السلطان فيما يتعلق بالأموال . فادعى محمود المذكور على الحافظ بحضرة القضاة الثلاثة المذكورين وكانت الدعوى في مجلس الوزير الأعظم ابراهيم باشا . فجال الكلام في الدعوى المذكورة ، الى أن اتفق قاضيان على إلزام الحافظ بالمال كله ، وهما يحيى افندي وحسن افندي وخالفهما في ذلك الثالث وهو عثمان افندي وقال : لا يسوغ إلزام الحافظ المذكور شرعاً . فصدر بسبب المخالفة المذكورة القال والقييل . وكتب القاضيان حجة بالإلزام المذكور . فعرض أحمد الحافظ الحجة على بعض العلماء في الروم . فقال له : ليس الإلزام شرعياً ، ولا هو مستوفياً للشرائط الشرعية . فعرض الحافظ هذا الحكم على حضرة السلطان ، نصره الله تعالى ، فكتب السلطان بخطه أمراً (٥٢ آ) للعلماء أن يكتبوا ما يعلمون في الحكم المذكور إن كان صحيحاً أو باطلاً . فكتب غالب علماء دار السلطنة على الحكم والإلزام بأنه باطل ، ولم يستوف^(٢) الإلزام شرائطه الشرعية . وتنعوا في الكتابة ، وبالغوا في التشنيع على من حكم . فمن جملة من حكم عليه

(١) هـ « بمجئ »

(٢) ساقط من هـ

أحمد أفندي بن روح الله الأنصاري المنفصل عن قضاء العساكر ، وكذلك محمد أفندي ولد الخوجا سعد الدين قاضي العساكر يومئذ بولاية الروم ، وأخوه أسعد أفندي المنفصل عن قضاء قسطنطينية . وكتب المولى عبد الحلیم أفندي المنفصل عن قضاء العسكر ، وكتب كل منهم عبارة بليغة لطيفة لكن بلسان تفهيم حضرة السلطان وبقية أرباب الدولة .

ولقد رأيتُ صورة الحجّة وصورة ما كتبَ عليها العلماءُ مفصلاً في دمشق صحبة بعض قضاة دمشق ، في سنة تسعٍ بعد الألف .

وانفصل الأمر عن أنّ الحافظ المذكور لم يُعْطِ من المبلغ المذكور شيئاً لعدم وقوع الإلزام موقعه الشرعي .

والحافظ في يومنا هذا يتعاطى أمور الوزارة العظمى ، وعندده كمالُ الدقة في حفظ مال السلطنة ، حتى إنّ ناظر الأموال السلطانية بدمشق وهو مولانا وسيدنا محمد أمين الدفترى العجبي حفظه الله تعالى أخبرني أنّ الحافظ المذكور كتب دفترأ وأرسله إلى دمشق بأسماء جماعةٍ يُعْطَوْنَ في دمشق من الصدقات السلطانية ومنع من عداهم ، مع أنّ المنوعين في غاية الكثرة والاستحقاق ، ويكفيه ما في ذلك من قطع الأرزاق .

والحافظ أحمد صاحب الترجمة خادمٌ أبيض خصيّ نحيفُ البنية خفيّ الصوت عند التكلم ، لكنه مذکورٌ بالعقل الرزين ، والتدبير المتين . والله تعالى يقدم ما فيه الخير لنا وللمسلمين . أجمعين آمين .

٤٤

أحمد باشا الحافظ

هو^(١) الوزير الكبير ، صاحب القدر الحظير ، والجود الغزير ، واللفظ الذي ليس له نظير . ورد الى دمشق حاكماً بها من جانب سلطان سلاطين الاسلام ، ومالك ملوك جميع الأنام ، حضرة مولانا الملك الأسعد الأجد ، المولى الأعظم السلطان أحمد . حمد الله أمره ، وشرح صدره ، وسهّل أمره ، وجمل ذكره . وطلع لاستقباله أعيانُ الأعلام ، وأكابر دمشق الشام . |^(٢) وكان الفقيرُ من جملة مَنْ طلع إليه ، وَوَرَدَ عليه . فرأيتُه عالماً ذكياً ، وكاتباً سنياً . وسلك في دمشق الشام ، مسالك الصالحين من الحكام . وأحب^(٣) (٥٢ ب) أهل العلم وأحبوه ، وطلبهم وطلبوه . |

وكان وروده إلى دمشق [يوم الاثنين حادي عشر شهر ربيع الثاني] في سنة ثمانى عشرة بعد الألف وقتل قبل قدومه الى نفس دمشق أمير الآلاي بدمشق وهو باكير الشهر بأبي من . وكان قتله في قرية يقال لها النبك^(٣) .

ثم دخل بعد ذلك الى دمشق بهيبة عظيمة ، وخشية منه في النفوس كبيرة . [وفي يوم الأحد وهو الرابع والعشرون من شهر ربيع الثاني من شهر سنة ثمانى عشرة بعد الألف أمر الوزير الأجد الحافظ أحمد باشا

(١) في نص هذه الترجمة كما ورد في ه ، ب اختلاف في الترتيب عما ورد عليه هنا
(٢) من هنا الى قوله : بعد الألف ، ساقط من ه ، ب . وسأني هذه الجملة بمنها في مكان آخر مع وصفه طلوع المسكر والقضاة لاستقباله . والترجمة هنا تختلف في ترتيبها عما هي عليه في ه ، ب
(٣) قرية مشهورة تقع بين دمشق وحمص .

جميع عسكر دمشق بالخروج الى الميدان الأخضر بالجانب الغربي منها ، وأن يحمل كل واحدٍ منهم البندقية المسماة بالكمحلة قديماً لأنها سلاح مماليك آل عثمان . وأن يحضروا بها الى الميدان المذكور . وأمر بوضع غرض يكون هدفاً للبندق . ونادى بأن المصيب للغرض منكم له بخشيش عشرة دنانير . فأول من أصاب الغرض منهم كنعان بلوكباشي الجركسي . فأعطاه المبلغ المذكور . وهلم جرا .

فلما تم ضرب البندق أمر بلعب الخيل في الميدان المذكور . فاصطف الخيل فريقين . فكان كل من يصيب بضرب الجريدة يعطيه الوزير مئة كفه من الدراهم . وعاد العسكر وهم في غاية الفرح من ذلك . والله الموفق .

وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين من صفر الحير من شهر سنة تسع عشرة بعد الألف قدم الحاج وطلع لاستقباله الوزير الكبير الأجدد أحمد باشا المذكور صاحب إيالة الشام . وكان القاضي يومئذ بدمشق السيد الشريف محمد الشهير بابن السيد برهان الدين الحسيني . وطلع بعمامة خضراء لاستقبال الحج . وكان يوماً مشهوداً طلع فيه غالب أهل دمشق . وكان الموكب عظيماً تزين فيه العسكر بالزينة العظيمة . وأما الوزير فإنه لبس الأبيض الأطلس بالفروة السمور . وكان وراءه نحو أربعين خاصكياً ما بين من طرّ شاربه ومن هو أمرد لا نبات بعارضيه . والكلّ بالرماح والأتراس المرصعة ، والتراكيش . الى غير ذلك من أنواع الزينة اللطيفة النادرة الوجود إلاّ عند أبواب الحظوظ والسعود . وكان أمير الحاج في السنة المذكورة فروخ بك أمير لواء نابلس الحروسة . وقد تعرّض للحاج شاب اسمه عليّ بن عمر من أمراء بني شاهين . وهو من أولاد أكابره . وكان حسن الشكل جداً ، ولا نبات بعارضيه . فلما تعرّض للحاج ساق فرسه ليضرب رجلاً من الجند بالرمح ، فضربه

رجل من أجناد غزّة بالبندقية ، فأصابت صدره ، فطلعت من ظهره ومات من ساعته ، وقطع رأسه . وكان ذا ذؤابة عالية . ورفع على رمح يوم الدخول إلى دمشق . وكان الهواء يلعب بذؤابته كالغصن تتمركز عندآبته عنه فوق اعتدال قامته [(١)] .

وأقام في دمشق الى يوم تاريخه وهو يوم الأربعاء العشرون من شهر ربيع الثاني من شهر سنة إحدى وعشرين بعد الألف .

وفي هذا اليوم المذكور بعينه ثار الجنود السلطانية بدمشق على جماعة أحمد باشا المذكور وقتلوا منهم نحو عشرين رجلاً ، وذلك لأن الجنود السلطانية زعموا أن رجلاً منهم كان سكران فركب فرسه ومرّ على باب دار السعادة (٢) ، وهي مقرّ الباشا المذكور ، ودخل إلى الدار المذكورة . فقتله من وجد من جماعة الباشا المذكور . فثار الجنود لذلك . وقد اتفق رؤيتنا لجمعهم وثورانهم عند سوق المؤيدية (٣) تحت القلعة . وذلك أن حضرة الباشا المذكور دعانا إليه وهو بالميدان الأخضر لمصلحة تتعلق ببعض المشايخ ، ودعا صاحبنا عبد الحي افندي الكردي . فذهبنا معاً . فبينما نحن بالسوق المؤيدي وإذا بغوغائهم قد ارتفعت ، واجتمعوا نحو ثلاث مئة . فقلت لعبد الحي افندي : ارجع ، فإنّ الذهاب إلى الباشا غير مناسب . فرجعنا معاً ، وما ندري عاقبة الأمر والخير يكون ان شاء الله تعالى .

وفي رابع عشري ربيع الثاني نهض الوزير الحافظ أحمد مع عسكر الشام وكبسوا التركان الحرّقية ، وكانوا في حوران ، ونهبوهم . ولم يبقوا

(١) الزيادة من ه ، ب .

(٢) كانت جنوب سوق الأروام (مدخل سوق الحميدية) اليوم .

(٣) هي جامع المؤيد شيخ الملوكي في خان الباشا اليوم . انظر ذيل ثار

من غنمهم إلا القليل . ووقع بينهم قتالٌ فقتل من جانب عسكر دمشق نحو خمسة رجال . وقتل من التركان كثيرٌ . وخاف الباشا المذكور من انتشار الفتنة فكث أيتاماً بحوران يستعطفُ خواطر مَنْ أقيه من التركان . وذهب نهبهم هدراً . وما ندري عاقبة أمرهم في نهبهم . ولقد بلغني أنهم كانوا قد طفوا وبغوا ، وأنهم كانوا يرعون زرع أهل حوران ، وكانوا يتباطئون في إعطاء مال السلطنة ، وربما منعوا الإعطاء بالكلية . فقابلهم الله تعالى على يد الوزير المذكور ، ولكل ظالم ظالمٌ يفتقمُ منه . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وفي أواسط جمادى الأولى إحدى وعشرين بعد الألف طلع حاكم دمشق الوزير المذكور أحمد باشا ومعه غالب عساكر دمشق (٥٣ ألف) إلى ناحية حلب باستدعاء الوزير الأعظم نصوح باشا . فإن الوزير الأعظم المذكور كان في ديار بكر ، فورد إلى حلب ومعه رسول ملك الشرق شاه عباس بالصلح بينه وبين سلطان الإسلام السلطان أحمد . ولما وصلوا إلى حلب استقبلهم أهل حلب ودخلوا بهيمة عظيمة وهيئة كبيرة ، ولم يبق أحدٌ من أهل حلب إلا وقد خرج إلى الفرجة عليهم . وبلغنا أنه صدر بين الوزيرين المذكورين مناقشةٌ أدت إلى منافسة ، وإلى برودة وركة ، ويُقال إنه آل الأمر إلى الصلح .

وقد ذكرنا أن الحافظ أحمد المذكور كان في بداية قدومه إلى دمشق سالكاً مسالك الصالحين . ولكنه تغيّر وتكبّر وتتكبر . وأظهر صورة الكبر مقلداً الصورة في غيره من الوزراء^(١) .

وقد رجع عسكر دمشق وحاكمهم الحافظ أحمد باشا إلى دمشق وفارقوا حضرة الوزير الأعظم نصوح باشا من حلب . فأما الوزير نصوح

(١) « مقلداً لصورة ذاتية لغيره من الوزراء » .

باشا فاتته قد سار الى دار السلطنة قسطنطينية . وأما الوزير الحافظ أحمد فقد عاد إلى محلّ ولايته دمشق المحروسة . وبعد أيام نادى بالسفر إلى الجانب القبليّ . وذلك لأنّ فروخ أمير الحاج قد التزم أن يضمّ له مع نابلس وعجلون والكرّك والشوّبك وما يتبع ذلك ، وأن يُعطى من جانب السلطنة ستين ألف دينار من الذهب ، ويقوم بالحجّ ولو ازمه ذهاباً وإياباً ، ويتعاطى الملاقاة أيضاً من عنده ، وعجلون والكرّك في يد الأمير حمدان بن أحمد بن قانصوه الغزاوي . فلزم سفر الوزير المذكور مع عسكر الشام لتخليص عجلون والكرّك من يد حمدان المذكور وتسليمها ليد فروخ بيك أمير الحاج . فيبقى حينئذٍ في يد فروخ ثلاثة سناجق : نابلس وعجلون والكرّك ، وهذا لم يتفق لأحد قبله في هذه الدولة .

ولما سافر العسكر الشامي من دمشق مع وزيرهم الحافظ أحمد المذكور نزلوا على الكسوة^(١) ، وساروا منها إلى شقعب^(٢) ، ثم إلى المزيريب^(٣) ، ولما سمع ابن قانصوه بسفر الوزير أخلى عجلون والكرّك ، وسار إلى الجانب الشرقيّ ، وأرسل إلى حضرة الوزير يقول : أنا عبدُ السلطان ومطيعٌ له . وقد امتثلتُ أمره في ما صنع . ورحلتُ عن البلاد فخذوها وأعطوها لمن أردتُم . وسافر وذهبَ مع العرب إلى جانب الشرق ، وأرسل مفاتيح الكرك إلى الوزير . وسار الوزير سلّمه الله تعالى على جبل عجلون . ويريد أن يرجع إلى دمشق لتأم المصلحة المطلوبة . وكان ذلك كلّهُ في رجب وشعبان (٥٣ ب) من سنة إحدى وعشرين بعد الألف ، والخيرُ يكون إن شاء الله تعالى .

قلتُ : والحافظُ أحمد باشا صاحب الترجمة مقيم يوم تاريخه وهو يوم

(١) قرية كبيرة على الطريق بين دمشق ودرعا .

(٢) قرية في جنوب دمشق غرب مرج الصفر في حوران .

(٣) قرية في حوران . مشهورة بشلالاتها .

الثلاثة ثالث شوال من شهور سنة إحدى وعشرين بعد الألف بدمشق ، وهو حاكمها ووزيرها ومدبرها ومشيرها . وقد صرف على أصحاب الجوالي بدمشق علوفاتهم قبيل العيد في أواخر رمضان من السنة المذكورة ، غير أنهم أبرزوا صورة دفتر فيه قطع وظائف كثير من أهل دمشق ، منهم من أعطوه نصف ما كان له ، ومنهم من قطعوا ماله بالكليّة ، ومنهم من أبقوا له العشر أو الخمس ، ومنهم من أبقوه على ما كان له من غير تبديل ولا تحويل ولا تغيير ، وذلك حكمة الملك اللطيف الحبير . والفقيه الحسن البوبرني من الذين أبقوه على حاله ، وما قطعوا ماله ، ولا خيّبوا السعيد من أماله . ولعمري إنهم أفحشوا في قطع الأرزاق . [ولم يراقبوا الملك الرزاق] ^(١) . وما أحسن ما كتبه الشيخ فلان لوالده شيخ الإسلام اسماعيل الشهرير بابن المقرئ اليمني ^(٢) . وقد كان قطع رزقه ، وأضاع حقه ، وعرّى من إحسانه عنقه :

لا تَقْطَعَنَّ عَادَةَ بَرٍّ وَلَا تجعل عقاب المرء في رزقه
فإن إثم الإفك من مسطح يحطُّ قدرَ النجم من أفقه
وقد جرى منه الذي قد جرى وعتب الصديق في حقه ^(٣)

وبالجملة فإن قطع الخشوم ، أسهل من قطع الرسوم . قلت : وقد بلغني أن الشيخ اسماعيل المقرئ رضي الله عنه كتب تحت هذه الأبيات هذا البيت وهو قوله :

لو لم يتب مسطح مما جنى ما عتب الصديق في حقه ^(٤)

(١) الزيادة من ه .

(٢) ه « وما أحسن ما كتبه شيخ الإسلام اسماعيل بن المقرئ اليمني لوالده » .

(٣) البيتان ساقطان من ه ، مكانها فيها بياض .

(٤) ساقط من ه .

قلتُ : وقد سمعتُ من شيخنا أحمد ابن شيخ الاسلام البدر الغزي هذه القصة . وقال بعد ذلك : أنا نظمتُ بيتاً على لسان ابن الشيخ اسماعيل يصريح بالتوبة بعد سماعه من أبيه ما يدلُّ على طلبها وهو قولي :
تُبنا إلى الله وكلُّ امرئٍ يتوبُ قد بُورك في رِزقهِ

قلتُ : وفي غرّة شعبان من سنة اثنتين وعشرين بعد الألف نهض الوزيرُ الحافظ أحمد المذكور صاحب هذه الترجمة من دمشق ونزل في أوّل الجسور خارج باب الله ، وذلك لأنَّ ابن معن الدرزي الذي صار [إليه] سنجق صفد من باب السلطنة العثمانية العلية ، بقسطنطينية ، عظم شأنه (٤٥ ألف) وارتفع مكانه ، وبعُدَ صيته ، وكثُرَت أمواله . لانه تصرف في بلادٍ ما خطر في بال أحدٍ من الأمراء التصرف فيها . فكان متصرفاً في بلاد كفرنكته ، وبلاد عاكّا ، والساحل ، وصدف ، وبلاد ابن بشاره ، وبلاد الشيف ، وبلاد جيرة صدف ، وتصرف أيضاً في بلاد بيروت (١) ، وبلاد صيدا ، وفي بلاد جبل كسروان ، وفي بلاد جبّة المنيطرة ، وفي جبّيل ، وأنطلياس ، والبسترون ، وفي الجرد ، والغرب ، والمنتن ، والشوف ، والمقيطع ، والشعار . وتصرف أيضاً في البقاع العزيزي ، وفي بلاد بعلبك ، بسبب أنه حكم في البقاع وبعلبك الأمير يونس بن الحرفوش من تحت يده . فكانت في حكم بلاده . وتصرف أيضاً في بلاد صور ، والمعشوقة (٢) ، وما كفاه ذلك حتى انه جاء إلى قلعة شقيف وحصنها وجددها وأكدها وأطدها ، وشحنها بالأرزاق التي لا انتهاء لها ، وجعل بها من آلات الحصار ما لا يُعد ولا يُحَد . واستمرَّ في ذلك التحصيل والتحصين نحو عشرة أعوام . فتظن له الأمراء والوكلاء ، فعرض ذلك الوزيرُ الكبير الحافظ الكامل

(١) جميع المدن الآتي ذكرها هي في لبنان . انظر عنها قاموس لبنان لوديع أهولا هنا

(٢) في قاموس لبنان « المعشوق » .

الشهيرُ بالحافظ أحمد باشا صاحب إيالة الشام إلى باب السلطنة الأحمديّة
بقسطنطينيّة . فلزم أنّ السلطان أحمد أيّده الله تعالى عيّن لأخذ ابن معن
المذكور ، واسمه فخر الدين ، عساكر أناطولي وأمراؤها وأمراء بلاد قرمان
وعساكرها . فوردت العساكرُ المذكورةُ إلى الشّام واجتمعتُ بالوزير
المذكور على مقتضى ما رسم به السلطان أحمد أيّده الله تعالى .

ولما وردت العساكرُ الروميةُ نهض بها الوزيرُ المذكور وقام من
دمشق وخيّم بالقرب من قرية الكسوة ، إلى أن وردت عساكرُ قرمان ،
وعساكر أدنه ، وعساكر حلب ، وعساكر أناطولي . فأقام الوزير
المذكور بهم وأحاطوا بقلعة الشقيف وسيأتي ما قرء عليه الحال .

وفي يوم الأربعاء وهو خامس عشر شهر رمضان من شهر سنة
اثنيتين وعشرين بعد الألف وردت الأخبار من العسكر النصور وهو
محيطُ بقلعة شقيف أنون بأن المنجنيق والعرّادات والطوب لم تؤثر في
القلعة المذكورة مع كثرة الضرب بها ، والجماعةُ المحصورون في القلعة
قسبان : قسمٌ من الأزوام البغاة السكبان ، وقسمٌ من العرب الدرّوز
المستحقّين للقتل بإجماع المذاهب .

وفي يوم السبت الخامس (٥٤ ب) والعشرين من شهر رمضان
المذكور وردت الأخبار بأنّ النقب قد زاد في حائط القلعة المذكورة
ولكن اشتمّزت النفوسُ من هواٍ بارد قد وقع في الوجود . وأخبرونا بأنّ
بلاد الشقيف يزدادُ بردُها فوق البلاد بمراتب كثيرة . وفي ذلك المعنى
ضرر كثير على المرابطين من عساكر دمشق في باب القلعة المذكورة .
وقد أخبرنا مَنْ نثقُ به من القادمين على دمشق من جانب المرابطين
أنّ فتحها متعسر جداً وقد هجم فصلُ الشتاء ولم يبق في فصل الحريف
إلا القليل . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقد وقع الاجماعُ من القادمين إلى دمشق من جانب المرابطين أنّ

السعي في فتح القلعة إنما هو من جانب حسين باشا ابن حضرة يوسف باشا ابن سيف حفظ الله الأصل والفرع ، وأبقاهما جناحين للدولة الأحمديّة . ولقد أخبرني مَنْ أثقُ به أنّ حضرة حسين باشا السيفي المذكور يلبسُ في حال المجاهدة مع بُغاة القلعة عباءةً كما يلبسها بعض المجاهدين من آحاد الناس . وأنّ حضرة السردار الحافظ أحمد باشا خايط حسين باشا عندما شاهد منه تلك الرغبة في الجهاد :

هكذا هكذا وإلا فلا لا إن خبز السلطان مرّحّب عليك

وأخبروا أنّ هذا الكلام أَرْضَى بعضاً وأغضب بعضاً ، وأبوز من بعض الأعيان به حبّاً ومن بعضهم بُغْضاً .

وبالجملة فإنّ الفتح منه مطلوب ، وعليه النصر محسوب . والله تعالى كاشف الكروب ، وغافرُ الذنوب ، والمرجوتُ من ربّ الأرباب ومنزّل الكتاب ، ومعقِّ الرقاب ، ومهوّن الأمور الصّعب ، أن يجعل الفتح قريباً ، والنصر مقارناً لدعاءٍ يكون له الإلهُ مجيباً .

وفي يوم الجمعة سادس عشر شوال من سنة اثنتين وعشرين بعد الألف ورد الخبرُ من دمشق من القادمين من جانب العسكر بأنّ رأس العساكر أحمد باشا عيّن عسكرياً وجعل رأسه حاكم قرمان المسمّى بمؤمن باشا . وكان من جملة العساكر المعيّنين الأمير يونس بن الحرفوش ، والأمير أحمد بن الشهاب . وكان من جملة العساكر المعيّنين الذين عيّنوا مع مؤمن باشا حضرة حسين باشا ابن يوسف باشا ابن سيف . وكان القصدُ من تعيين العساكر المذكورين أن يذهبوا إلى شوف (٥٥ آ) ابن معن لينهبوا وليقتلوا . فإنّ بلاد الشوف عاصية تبعاً لابن معن . فإنّ عصيانه قد تحقّق من جهة أنّه عمّر قلائع وشحنها بالرجال والعُدَد والمؤن من غير إذن الأبواب العالية السلطانيّة ، وكذلك استخدم طائفة السكبان ، ولا شك أنّهم أعداء للسلطنة العليّة .

والحاصلُ أنَّ العساكرَ السلطانيَّةَ محاصرةً لقلعة الشقيف ، ودهوما من الحصارِ بجبلٍ غيرِ خفيف . ولم تظهر علامة الفتح من البنا ، وارتفع الصلح لما قرره الباغي من القتالِ وعليه بني ، وهم الآن عساكر غير منصرفة ، وما جرت إلاَّ بحركات الفتح المؤتلفة ، وإن كانت مخالفة لهم الآن وليست منعطفة . فالفتح من لطف الله مطلوب ، وبه تنجبرُ من المؤمنين القلوب .

وأما العساكرُ التي عُيِّنت للشوف ، فإن عوامل العساكر قد عملت فيها عملاً جدَّعَ الأنوف ، وقطع السيوف ، وأبقى أهلها بها كالضيوف . وأبعدهم عن ساحتها ببدأ غير مألوف . وعن قريب تضمحل مع أهلها ، وتبلي بعد خصبها بمحلها ، وتنزل الرجال في غير محلها ، ويتركون مواطنهم وأماكنهم ويصبحون لا ترى إلاَّ مساكنهم . فإنهم بلغوا من الشقاق مبلغاً عظيماً ، وأظهروا من العناد مظهراً جسيماً . فأحاط بهم البغي وعاقبته الوحشية ، وبواطنهم التي ليست بسليمة . وبالجملة فانهم كما قيل : بنوا وعلتوا ، ومضوا وخلتوا . ما ذاك دام ولا ذا يدوم .

[وفي يوم السبت رابع جمادى الآخرة من سنة ثلاث وعشرين بعد الألف خرج عسكر دمشق تبعاً لأمير أمرائها الحافظ الوزير المذكور . وسبب ذلك أنَّ الأمير فخر الدين بن معن لما هرب إلى بلاد الفرنج استقرَّ إلى أوائل الشهر المذكور . فظهر الخبر إلى دمشق بأنَّ الأمير المذكور ورد بأساطيل مجرية وخرج عند برج الدامور بين صيدا وبيروت . وشاع الخبر بأنه نزل على البرج المذكور وحاصره وأراد أخذه . فلذلك نهض الوزير الحافظ المذكور وخرج وخيم خارج دمشق ، في آخر الجسور ، في طريق الكسوة . وسكن خبر ابن معن بعد ذلك .

والذي صحَّ من الخبر أن رجلاً من أمراء الدروز من جماعة ابن معن يُقال له يزبك ورد في ثلاث سفن وصعد إلى الشوف . وهي في الأصل مستقرَّ ابن معن المذكور وأسلافه . ومهما صحَّ من الخبر بعد ذلك يُكتب .

وفي يوم الخميس خامس عشر رجب من السنة المذكورة دخل إلى دمشق رجل كبير يقال له مؤمن باشا . وهو حاكم بلاد قرمان من أولها إلى آخرها . ودخوله لأجل ورود الأمر المطاع السلطاني الأحمدي إليه وهو في ولايته من ديار قرمان - ومركز دائرة البلاد المذكورة قونية - بأن يرسل بعساكر البلاد المذكورة إلى أن يحيط بدمشق . وبعد ذلك تجتمع العساكر المأمورة وينازلون قلعة الشقيف وقلعة بانياس . فإنها الآن مغلقتان على جماعة ابن معن من السكمانية وغيرهم من الأشقياء . وقد ذكر كثير من ورد إلى دمشق من بلاد جبل الشوف أن الأمير فخر الدين بن معن قد رجع من بلاد الفرنج إلى بلاده الأصلية ، وهي بلاد الشوف . ولم يصح ذلك .

لكن قد ثبت أن الباشا المذكور ورد إليه في العشر الأول من رجب من السنة المذكورة خلعة ودبوس معظم ، وسيف مرصع بالجواهر ، ومع ذلك أوامر شريفة مطاعة أحمدية بأن يرسل من دمشق إلى حصار قلعتي الشقيف وبانياس . ومن الأوامر أن يذهب الوزير إلى بلاد ابن معن وأن ينهبها ويحرقها ، لأن ما كمل القلاع العاصية المذكورة من بلاد الشوف . فلو خربت من الأول لم يكن لأهل القلاع قوت يتاروت به .

وفي يوم الأحد ثاني شعبان من السنة المذكورة ظهر الخبر بدمشق أن الوزير الحافظ أقام من سطح المزة إلى جانب المسكان المسمى بالعراد ، بالعين المهمة والراء المشددة ، قاصداً إلى أن يجاوز المسكان المذكور إلى البقاع العزيزي ، ومنه إلى بلاد الشوف ، شوف ابن معن . ومن الناس من يقول إن في نية المحاصر لتلعتي الشقيف وبانياس ، لا كمن حاصر الشقيف في سنة اثنتين بعد الألف وأذهب على حصارها النفوس النفيسة والأموال العظيمة ، ولم ينل منها بطائل ، ورجع منها يني نفسه إلى قابل .
[وما هو الآن مقابل] (١)

وفي يوم الثلاثاء عاشر شهر رمضان ورد الخبر إلى دمشق بأن الباشا الحافظ أحمد باشا رجع من بلاد شوف ابن معن إلى أرض البقاع العزيري ، ونزل عند قرية يُقال لها قبر عباس واختلف الناس في سبب رجوعه ، والذي صحّ منه أنه ذهب بالعسكر الدمشقي والعسكر الرومي والقرماني وغير ذلك من عساكر فلسطين إلى بلاد الشرف وأمر بحرق كثير من بلادها . فأحرقوا الباروك^(١) ، وهي قرية في بلاد الشرف عظيمة المقدار . وأحرقوا غيرها حتى دبّت النيران في سهلها ووعرها ، ودنت من ساحل بحرها . وجاء إلى الباشا أناسٌ أخبروه بأن قوماً من الدروز في وادي من الأودية ، وأن عدّتهم قليلة ، وغنيبتهم جليّة . فأرسل الباشا إليهم جماعته [٥٥ ب] وبعضاً من عسكر السلطان الرومي ، وأمر عليهم واحداً يقال له مصطفى ، وكان كبيراً عسكراً دمشق سابقاً ، وهو في اصطلاحهم يسمى آغا . فصدر من الفريقين حربٌ أفضت إلى إظهار الدروز والبغاة الطغاة أعداء الدين الهرب وولّوا . فأتبعهم عسكر الوزير ومن معهم إلى أن أبعدوهم عن أسبانيهم . ورجع العسكرُ ينهبون فرجعوا إليهم بعدما ثقلت أحلامهم . فقتلوا من العسكر كثيراً ، بل قتل منهم ما رجع منهم إلا القليل .

ثم إن حضرة الوزير أرسل حسين باشا ابن يوسف باشا ابن سيفا وكان جمال العسكر ، وبهجة الفرسان ، وعروس الخيل ، فبرز كالأسد المصور ، وصدّم بعسكره الجمهور . وألقى نفسه بين الصفتين ونادى : لا أثر بعد عين ، أنا حسين أنا حسين ، وأمسك سيفه وأقدم وتقدّم ، واجتهد وصمّم ، وضرب بالحسام ، وفتق الهام ، وقال لأسوده ، وأقسم على جنوده : بأنّ منّ التفّ ورائه ضربتُ أعلاه : وأخذتُ ما فيه عيناه . فأقدمتُ أمامه الأسودُ المجرّبة ، وضربتُ بين يديه السيوفُ المجدّبة . وكان فضله يسوقهم ، وزجره لهم عن التادي يعوقهم . حتى حميت سوقهم ، وأسرعت إلى

(١) انظر فاموس لبنان ص ٩

فلق الهامات سوقهم ، وهم يقدونه بالنفوس ، ويجرسونه بالرؤوس ، حتى انتصر على الطامة الدروز ، وجيشه ، بلطف الله تعالى محفوظ ومحروز . وأحصى من قتل منهم فكان فرق العدد ، وفاتهم من الله ومن الحلق المدد . لأنهم ينكرون الشرائع ويهزأون ببراهين الحق الساطع . وعندهم كتب ناطقة والعياذ بالله تعالى بأن الحاكم العبيدي المحدث رب معبود ، وبلغون من خالفه من سائر الجنود . وهذا أمر يشهد به العيان ، وينظره من له عينان . ولقد شاهدت من كتبهم المرححة بالكفر في غالب الصحائف . وعلمت بأنهم من أفتح الفرق النارية المذكورة في أخزى المواقف . ولعمري إنهم كانوا في عيشة ناعمة ، وبلهنية من حوادث الدهر سالمة . خنازير في جمال ، وكلاب ناجحة كالأبطال ، فبغوا تبعاً لطغيتهم ، واعتدوا بالعدول عن جادتهم ، وعادوا إلى معاداة الامير الكبير ، ذي الجود الغزير ، والفضل الكثير ، واحتالوا حتى اقتلعوا منه بالحداغ معاملة غزير ^(١) أعني حضرة يوسف باشا السيفي الشهير بابن سيف ، من لم يزل يجبر كبيراً ويكرم ضيفاً . ولعمري (٥٦ آ) إن يوسف السيفي رجل أمير ثابت الأساس ، طاهر الذليل عن جميع الأدناس ، أصيل نبيل ، آخذ في عروق ذي القربة بالخط الجزيل . وقد كانوا أسلاباً في سبل المسكارم ملكوا ، والكثير من ممالك الروم قد ملكوا . وهو حنفي المذهب ، واعتقاده كالطراز المذهب .

[وفي يوم الخميس خامس جمادى الأولى من شهر السنة المزبورة صدر من الوزير قصة في الديوان . وذلك أن مصلي صاحب صنحق الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، وهو حمزة الرومي البكوكباثي ، الساكن في باب الجابية عند باب السيمائية الغربي ، دخل الى الديوان بدمشق . فكلّمه الوزير في أمر يتعلّق بأمر قرى الشريف صاحب مكة ، وأنها في يد مصلي المذكور ، نردت عليه رداً غنياً يخالف الأدب . فاحتدّ الوزير

(١) في كسروان بلبنان . انظر قاموس لبنان ص ٢٠٢

واشتد ، وأمر بأن يُحبس في قلعة دمشق . فراجعه في ذلك أكبر الجاويشية ، وهو محمد الشهير بابن الدردار . فرفضه الوزير برجله في صدره وشتمه ، وأمر بأخذ مصلي المذكور وحبسه بالقلعة المذكورة . فحبس على مقتضى أمر الوزير المذكور . ولا يُدرى ما يُفعل به بعد ذلك .
لله الأمر من قبل ومن بعد .

قلت : وآل أمره الى أن شفع الشيخ محمد بن سعد الدين الجباوي ، الساكن في محلة القبيبات ، وكذلك أكبر العسكر الشامي عليه ليشفع فيه . فشفع فيه . وأطلق من القلعة . وهو على منصبه وزيادة . [(١)]
دخل الوزير المذكور ، أحمد باشا الشهير بحافظ أحمد باشا الثاني - فانه تقدّم في نواب آل عثمان رجل آخر يُقال له حافظ أحمد باشا - إلى دمشق نائباً بها من جانب السلطان الأجد الأسعد ، السلطان أحمد ، ابن المرحوم المغفور له الغازي المجاهد السلطان محمد ابن المرحوم السلطان مراد ابن المرحوم السلطان سليم ابن المرحوم السلطان سليمان ابن المرحوم السلطان سليم فاتح بلاد العرب . وهو الذي بنى السليمية السلطانية بالصاحية ، وعمّر مزار الشيخ يحيى الدين بن عربي . وكان دخوله إليها يوم الاثنين حادي عشر شهر ربيع الثاني من شهر سنة ثمان عشرة بعد الألف من الهجرة النبوية . وطلع العسكر بتامه الى استقباله ، وكذلك قاضي القضاة بدمشق السيد محمد بن السيد محمد الحميدي . وطلع العلماء للسلام عليه في قرية حرسنا (٢) فرادى ومجتعين . وكذلك طلع الشيخ محمد ابن الشيخ سعد الدين الجباوي للسلام عليه في القرية المذكورة ، ولم يكن من عادته الطلوع الى لقاء الحكّام ، لكنّ هذا الوزير لما وصل الى قرية عنذرا أرسل بعض مكاتيب الى أكبر دمشق ومن جملتهم الشيخ محمد السعدي

(١) الزيادة من ٥ ، ب

(٢) قرية قريبة من دمشق ، من قرى الفوطة . انظر غوطة دمشق لكرديلي

المذكور ، وكنت عازماً على أن لا أطلع الى القرية للاقائه ، ولكن جاءني منه مكتوبٌ يتضمنُ السلام وعرضُ المحبة والوداد . فطلعتُ إليه فقام إليّ ملاقياً ، وصافحته في أثناء البساط ، عندما قام للقاء إظهاراً للانبساط . وجلستُ عنده ساعة فوجدته متيقظاً ، وبالصواب متلفظاً . ووجدته عارفاً بشيءٍ من أشعار التركيّة والفارسيّة ، وبشيءٍ من علم العروض ، وبشيءٍ من علم العربيّة ، إلى غير ذلك من الفضائل والفضائل .

وسألني عن بعض مهمّات بلاد الشام ، ورأيتُه متطعاً إلى إنصاف الرعيّة .

ولما دخل طلع إليه كلُّ مَنْ في دمشق ، وأشعلوا له الأسواق بالنشوع^(١) والسُرُج . وكان يسلمُ يميناً وشمالاً . ولقد رمقني في جامع مسجد القصب المنسوب الى ابن منجك ونظر (٥٦ ب) إليّ وتبسّم في وجهي . ولما اجتمعتُ به في دار الإمارة بدمشق ذكرني بالرؤية المذكورة والتبسّم المشار اليه . فدلّ ذلك على تيقظه ونقطة . وها هو الآن جالسٌ في دمشق والمطلوبُ من الله تعالى أن يوفقه للخير ، ويدفع عنه كل ضيّر . وقد نظمتُ له تاريخين أحدهما قولي :

بَعْدَلٍ وَفَضْلٍ قَدْ بَلَغَتْ مَرَامِكَا . وَأَصْبَحَ هَذَا الدَّهْرُ طَوْعاً غَلَامِكَا
فَفَعْلُكَ مُحَمَّدٌ وَاسْمُكَ أَحْمَدُ . فَأَعْطَاكَ مَوْلَاكَ الْمَنَى وَأَدَامَا
وَمَدَّ يَمِينُكَ تَعْرِ الشَّامِ بِضِحْكَ فُرْحَةً . لِأَقْبَالِكُمْ أَرْدَحْتُ نُورَ شَامِكَا

فقولنا : نور ، شامكا ، بحساب الجمل عدده ألف وثلاثون عشرة ، وهو عامُ دخول الوزير المذكور الى دمشق . وفي نقط شامكا لطيفة مبنية على اللغة الفارسية . وذلك ان لفظة شام في لغة الفرس بمعنى الظلمة ،

وهي أيضاً اسم بلاد الشام . ففهم ذلك ونسبته على المعنيين عند قراءة ذلك .
والتاريخ الثاني وهو قولنا ناظماً مدحه (١) :

صفلاً وإقبالاً وعزاً ودولةً وعدل يصون الكائنات ويحميها
ياقبال من قد صار الملك حافظاً ومن باغ الآمال ألقى أمانيها
أنى لدمشق الشام والدمر جائر فبالبشر حياها وبالجود يحميها
أنى نحوها غيتاً وعرثاً لأجل ذا به أخضر وادياً وعر نادياً
وزير لملطان الإقليم من علا الى أن تدانى عنه أعلى معاليها
غدا مالكا لا حمد إذ هو أحمد فقل في معال يبتديها ويبتديها
وقد سعدت منه دمشق وأهلها فأزخه بشر دمشق كأهلها
وذلك أن لفظة بشر دمشق كأهلها عدده بحساب الجمل ألف وثمانين
عشرة وهو موافق لعام دخوله الى دمشق .

وفي يوم الأربعاء ثامن عشر شهر رمضان من شهر سنة عشرين بعد
الألف دخل الحافظ الوزير المذكور آنفاً الى دمشق بمركب عظيم .
وركب في خدمته العسكر الشاميّ وإس اطلس ذروة سمور عظيمة
القيمة ، وأمامه سبعة جنب عليها صروج من الذهب المرصع بالجواهر
النفيسة . وكان ضعيف الجسد بالحسنى . وكان قدومه من مدينة آمد
من العسكر الوزيريّ ، أعني الوزير الأعظم المرحوم مراد باشا .

لما كان يوم الجمعة ثاني جمادى (٥٧ آ) الأولى من شهر سنة تسع
عشرة بعد الألف صدرت بدمشق عجيبة وهي أن سيداً شريفاً من
السادات الحسينية الخادمين لمزار (٢) السيدة رقية الصغرى ، بمسجد الراس

(١) هـ « مدح الوزير المذكور »

(٢) انظر فيل قمار المقاصد ص ٢٢٩

بالقرب من باب الفراديس ، يُقال له جمال الدين ، كان يتعاطى بيع الفواكه في الجانب المذكور . فصلت الجمعة في اليوم المذكور وخرج من الجامع الأموي طاهراً متوضئاً فوقف في جانب حانوته ، وإذا بمملوكٍ أبيض تجسري كان شكله غايه لا تُدرك على ما يُقال ، بل قيل إنه لا نظير له في الحسن وقف عليه وطلب منه بطيخاً أصفر . فتناول معه واختلفا في ثمن البطيخ . فيقال إن الشريف المذكور كلم المملوك كلاماً يتعلق بطلب ما لا يليق من الفاحشة . ولا أتحمق صحة ذلك . فصر به بسكتين كانت معه في لوحه ، وهرب المملوك ، فدخل الدم الى جوف السيد وشرع يخرج من أنفه وفمه . وطلب الماء فلم يُسقى خوفاً عليه . فوقع ، ولم يلبث أن خرجت روحه . فبادر بعضُ خدام العسكر إلى إمساك المملوك والسكين مشرعة في يده . فتعاضى عن الإمساك ، فقكثروا عليه ، إلى أن أوثقوا كتافه . واجتمع الناس وأهل المقتول وذهبوا بالمملوك الى حاكم دمشق . وهو الوزير الحافظ أحمد باشا . فقال لأقارب المقتول : أيها السادات . إن كان للمقتول أولادٌ صغارٌ فالرأي أن يُباع المملوك ويزاد فوق ثمنه إلى أن يُربى الأيتام بالمال ، إذ لا شبهة أنهم فقراء . فبادروا بالصراخ وإظهار عدم الرضا . وكان السيد محمد بن عجلان النازل في بيت الرفاعي بحملة الميدان تقيب الأشراف إذ ذاك . فقال : الرأي قتل المملوك حتى لا يُقال : مملوكٌ في الرق قتل شريفاً صحيح النسب ولم يُقتل به . أو يُقال : باعوا شريفاً مقتولاً ظمناً بقليل من المال . فامتا صمتموا على القتل قتل المملوك بالقرب من مصرع السيد المذكور . وذهب به مع بعد المناسبة المناسبة بينها . والله الأمر من قبل ومن بعد . وقد شاهدنا المملوك مطروحاً في الجانب القبلي من مزار السيدة رقية ، والسيد ممدد في نفس المزار ، والنوائح ينحن عليه ، إلى أن دُفن السيد وبقي المملوك ليلة السبت الى الصباح ، ففُسل ودُفن في تربة مرج الدحداح . وتأسف الناس على شرف المقتول وعلى حسن القتائل .

وقد أفتيتُ بأنَّ المماليك لا يسوغ قتله الآن فوراً ، لان الوارثين للقصاص - أعني أولاد السيد المقتول - صغارٌ ، ولم يبلغ أكبرهم أربع سنين ، فكان الواجب أن يُجَبَسَ القاتل الى أن (٥٧ ب) يبلغ الأولاد وهم بعد ذلك بالحيار ، إن شاؤوا أخذوا القصاص وإن شاؤوا أعفوا عنه وأخذوا الدية . ولكن سبق السيفُ العَدْلُ ، وكلُّ عاملٍ فعلية جزاءُ ما صدر منه من العمل . فإن القاتل قد فات . وصار في عداد الأموات . ولا يُعْنَى أصفٌ بعد فقْدِ ، والله الأمرُ من قبَلِ ومن بعد .

ثم في رابع شهر ربيع الأول سنة أربعٍ وعشرين وألف نهار الأحد المبارك دخل الوزيرُ حافظ أحمد باشا الى دمشق معزولاً .

وفي نهار السبت ثالث عشر الشهر المذكور خرج من دمشق وشيخه الأعيانُ ، وقد أُعْطِيَ ولاية أنطاولي . وأن يحافظ بمسكركه بأرض الروم . ثم في نهار الاثنين المبارك خامس عشر شهر ربيع الأول سنة أربعٍ وعشرين وألف دخل مقسّم محمد باشا السلحدار الجركسي ، وشهرته بابن البالقجي ، ونزل عند حسن باشا الدفتري ، وعمل له سماطاً عظيماً ، وتقدّمى عنده . ثم إنه ركب وجاء إلى عند القاضي المولى شيخ محمد أفندي جوي زاده ، وسجّل حكم ولاية الشام في السجلِّ المحفوظ على العادة ، وتوجّه بعد ذلك الى دار السعادة .

وكانت مدةُ إقامة أحمد باشا الحافظ في ولاية الشام سبعة أعوام . وهجاه بعضُ الأدباء وفيها تاريخ عزله (١) :

قد فرّج الله همّ بلدنما من حاكم الجور بئس من حاكم
أخرج من جنة الشام فلا أوصاه الله غيرها سالم

(١) في ٥ ، ب « وأرخ عزله الشيخ عبد الرحمن المهدي بقوله : »

وزيرٌ وزيرٌ وحافظٌ لأذى لا أحمد الله ذلك الفاسم
كم سنّ في الظلم سنّة نفدا عليه في الدهر وزرّها دائم
وما سمعنا كسوء سيرته فما علينا وربنا عالم
سَبَعٌ شِدَادٌ بَعْدَهُنْ أُنَى عَامٌ يُفَاثُ الْوَرَى بِهِ خَاتَمٌ
إِنْ شِئْتَ تَارِيخَ نَكْبَتِهِ يَا صَاحِبَ أَرْخُهُ : أَحْمَدُ ظَالِمٌ
وقال أيضاً بعضُ الفضلاء (١) :

حافظ أحمد في البرايا سنّ أنواع المظالم
في دمشق الشام حتى زاد في أخذ الجرائم
مُدّة أمّاه العزل قالوا : أرخوه : بان ظالم

٤٥

السلطان^(١) أحمد المنصور

الشريف الحسيني سلطان مرآكش وفاس^(٢) وما والاها

هو السلطانُ العالمُ ، العامرُ لأهل العلوم | أرفع^(٣) | العالم ، الراعي لرعاياه ، الحامي لمن قصد حماه . ورث الملك عن إخوته وأبيه ، وطالت مدته فيه ، لفقده من يفازعه وينافيه .

أما أبوه فإنه مولاي محمد الشيخ . وكان من أمره أنه كان في بدايته من أهل العلم . وكان مجتهداً في تحصيل الكمالات . فاطلع على شيء من (٥٨ آ) الجفر ورأى فيه أن طالعه يوافق الملك . فصار قاضياً في نواحي السوس من ديار الغرب ، ثم وثب على بني حفص المنسبيين إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلم يزل يُقَاتِلُهُمْ وَيُقَابِلُهُمْ إلى أن ملك ديارهم وعنى من السلطنة آثارهم .

وقتل كثيراً من العلماء . فمن جملة من قتل الشيخ الزقاق . وذلك لأنه كان يقول في خطبته : ومن قتل موسياً كان كمن قتل مجوسياً . فلما أمسكه قال له : أنت زرق الضلال . فقال : لا والله بل أنا زرق العلم والهداية . فجعل عليه الكلام المذكور جنحة^(٤) وبه قتله .

(١) ب « مولاي السلطان »

(٢) ب « فارس » خطأ

(٣) سائطة من ه ب

(٤) لعلها حجة

واستمر يؤسس قواعد ملكه الى اوان هلكه ، فتولى بعده من اولاده
عدة منهم مولاي عبد الله ، ومولاي محمد . ثم قُتل بعضهم ومات
بعضهم . وانتقل الملك الى المذكور مولاي احمد المنصور ، ثبتت قواعده ،
وارتفعت معاهدته . وهو مواعع لسلاطين الزمان ، آل عثمان فيرسل
اليهم الهدايا السنية في كل سنة . وهم يرسلون اليه المكاتيب والخلع المستعينة .
حتى إن السلطان المرحوم مراد بن سليم كتب اليه في أثناء مكاتبة :
ولك عليّ العهد أن لا أمدّ يدي اليك إلا لهصافحة ، وأنّ خاطري
لا ينوي لك إلا الخير والمساحة . ورُسُلُه دائماً تأتي الى قسطنطينية
من جانب البحر ، ويمكثون زماناً طويلاً ، ويتعهدون الوزراء ، ويصاحبون
الفضاة والأمراء ، ويكاتبون مَنْ كان له قربٌ الى الدولة . ولقد رأيتُ
من مكاتبتهم جملة يكتبون في رأس المکتوب هكذا :

من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ، ويتبعون ذلك
بعباراتٍ فصيحة ، والفاظٍ مليحة ؛ على قاعدة الملوك في الزمن الماضي .
ولم يحصل لأحدٍ من أولاد مولاي محمد الشيخ ما حصل لهذا المنصور
المقصود في هذه السطور . فانه قد طالت في الملك مدته ، | واتسعت
ملكته | ^(١) ، وقويت شوكتُه ، وزادت عدته ، | وعظمت عدته | ^(١) .
فابتداء ملكه من حدود إفريقية الى حافة البحر المحيط . وبلاني أنه ملك
حصّة من بلاد السودان . وقواعدُ الشريعة في ولايته ثابتة ، وأصولُ
الحقيقة في بلاده ثابتة ، يراعي العلماء غاية الرعاية ، وينظر الى وجوههم
بعين العناية . والشعراء يدحونه بمحاسن المرائح ، ويمنحهم أعظم المنائح .
وله أولادٌ قد فرّقهم في البلاد . فجعل الأكبر وهو مولاي الشيخ
(٥٨ ب) في فاس . وجعل زيدان وهو دونه في مكناس . وهو بنفسه

مقيمٌ في مرّاكش . وأمور دولته في غاية الانتظام . ويسوس الناس
بشريعة جده عليه الصلاة والسلام .

وله شعر حسن ، أنشدني له الشيخ حسين العتيقي المغربي هذه
الآيات :

لا واطظ سلب السيف المضاً وثنايا مثل درّ أو يآذ
ما هلال الأفق إلا حاسرٌ لضياها وبهاها والقيذ
ولذا أمسى ضئيلاً ناحلاً كيف لا يخفى نحولاً من حسد
| وأنشدني له غير ذلك وفي هذا القدر كفاية . وبالله العناية .
والحمد لله وحده | (١)

٤٦

السلطان أحمد

هو السلطان الأجد ، والحقان الأسعد ، والخواندكار الأوحس ،
ابن المرحوم المجد ، السلطان محمد ، ابن الماجد مالك البلاد ، المرحوم
السلطان مراد . ابن المالك الملك الكريم ، حضرة المرحوم السلطان سليم ،
ابن الغازي المجاهد لأعداء الأيمان ، الملك الأعظم السلطان سليمان ، ابن الفاتح
للأرض المقدسة بالسيف القاطع والغزم العظيم ، صاحب القيران السلطان
سليم ، ابن الملك المانح للجود الذي ليس فوقه مزيد ، المرحوم الوالي
الصالح السلطان بايزيد . ابن الفاتح لقسطنطينية دار الملك الخلد ، المرحوم
السلطان أبو الفتح محمد ، ابن السلطان الفريد في الملوك الأجداد ، حضرة
السلطان مراد ، ابن السلطان الأجد ، السلطان محمد بن الغازي الشهير ،
حضرة السلطان يلدرم بايزيد ابن المرحوم الغازي مراد ، فاز بلطف الله
رب العباد . ابن المرحوم المفتقر الى المنان ، المرحوم السلطان أورخان ،
ابن جدتهم الأعلى عثمان ، فاتح بيت السلطنة الباقية الى انقضاء الزمان .
| (١) ثم ملك بعده أولاده واحداً بعد واحد ، وولداً بعد والد ،
وماجداً بعد ماجد ، الى أن وصلت رتبة السلطنة العظمى ، وحصلت
منزلة الخلافة الكبرى ، الى الملك المالك الأجد ، والحقان الكامل الأسعد ،
صاحب الطالع الغالب السعيد ، ومالك الجيش المنصور بلا شك ولا ترديد ،
السالك في سبيل أجداده العظام ، وأسلافه الكرام ، بتعظيم العلماء الأعلام ،
واتباع شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ، رابع عشر أولئك الأماجد ،

(١) من هنا الى قوله « توفي والده » ساقط من ه ، ب

وبدرهم الكامل الواحد ، المالك الملك الأفاصرة ، (٥٩ آ) الكاسر لصناديد الأكامرة ، المولى الأعظم الأكرم الأوحده ، الحوندكار أحمد بن محمد | . توفي والده السلطان محمد في سنة اثنتي عشرة بعد الألف من الهجرة النبوية . وتاريخ سلطنة السلطان أحمد المذكور بالتركية : اولدي سلطان زمين أحمد خان . والتاريخ المذكور قاله قاضي القضاة بدمشق الشام ، في ذلك العام ، المولى مصطفى أفندي الشهير بعزمي زاده . بلغه الله الحسنى وزبده .

فلما ان والده توفي كان الوزير له في ذلك الوقت رجلاً من أمراء الدولة يُقال له قاسم باشا . فأخفى الوزير المذكور موت السلطان المزبور ، ودخل الى داخل بيت السلطنة ، وذكر لخدمة السلطان أحمد المذكور كلاماً يقضي أنك تلبس السواد ، وتحضر في الجمع ، وتجلس على الكرسي ، وإذا حضر أعيان العلماء أصحاب المناصب وأرباب الدولة من أكابر الوزراء والأمراء فإنهم يقبلون يدك ويباعينك على السلطنة على فانوت آباتك وأجدادك فقل لهم : كل واحد منكم يشي على طريقه المعروف ، وقانونه المألوف ، ويصله منا كمال الشفقة ونهاية الرحمة .

فلما صدر ذلك ، خرج الوزير المذكور وأرسل وراء الأعيان من العلماء والوزراء فحضروا وأخذ كل واحد منهم مجلسه ، فبعد هنيهة رأوا شاباً حسن الوجه ، رقيق الجسم ، تعلوه هيمة عظيمة ووقار جسيم . فجاء حتى جلس على كرسي السلطنة ، وعليه ثياب سود ، ومتر من الصوف على رأسه ، على عادة آل عثمان في ما يلبسون عند موت أحدهم . فلما جلس علموا أنه السلطان وتيقنوا أن والده السلطان محمد قد مات . فقاموا وقالوا ما هو المعود ، وقبلوا يد السلطان أحمد . وحدثهم بما عهد اليه به الوزير قاسم باشا . وانقضى المجلس على ذلك . وشرعوا بعد ذلك في تجهيز السلطان محمد ، وأخرجوا جنازته إلى محل دفنه في التربة التي أنشأها لنفسه .

وكان للسلطان محمد ولده أصغر من السلطان أحمد . فلما حضرته الوفاة قالوا لولده السلطان أحمد : لا تقتل أخك حتى يصير لك ولده يصلح أن يكون سلطانا .

وقد بلغنا أنه في يوم تاريخه وهو يوم الاثنين تاسع ذي القعدة من شهر سنة تسع عشرة بعد الألف أن أخا السلطان أحمد المذكور حيّ باقي ، وأنه محفوظ في أماكن (٥٩ ب) مستورة لا يجتمع معه فيها إلا الموكلون بحفظه .

وما أنا أذكر من محاسن هذا السلطان أحمد ما يوجب له الدعاء الجزيل ، والثناء الجليل .

أما أولاً فإن السلطنة في زمن أبيه كانت قد قاربت الزوال ، ووصلت إلى رتبة ليس معها للبقاء مجال . ونحكت بها طائفة السكبان ، وملكوا غالب النواحي والبلدان . حتى إن خزينة مصر قدمت إلى الشام ومكثت نحو أربعة أشهر في ميدانها الأخضر الغربي ثم رجعت إلى مصر ولم يستطع من معها من عسكر السلطان ولا عسكر دمشق أن يوصلها إلى مقر السلطنة قسطنطينية .

وبما صدر في زمن أبيه أنه خرج في زمنه حسين باشا الذي كان حاكماً في بلاد الحبشة . وخروجه أسباب يطول الكتاب بذكرها . فأفسد وجبى الأموال من البلاد ، وأحرق بعض النواحي من بلاد قرمان ، ونواحي أناتولي ، وقتل وسب وأسر بعض النضاة ، واستمر في غلوائه حتى وصل إلى مدينة الرثما ، وبها العاصي الذي أسس بناء السكبانية هو عبد الحليم الشهير باليازجي . فلما وصل إلى المدينة المذكورة التقى صلاتن صائلان ، واجتمع ثعبانان منسحبان . وأبرز كل منهما لآخر حكماً يشهد بأن آل عثمان قد أمروه بقتل الآخر . وقد اتفقا على المخالفة لآل عثمان دفعة واحدة ، ونزلا في قلعة الرثما وتحالفا على أن لا يتخالفا .

فلما شاع خلافها ، وثبت عن الطاعة انصرافها ، عمّن السلطان نصره الله تعالى لقتالها الوزير الامجد محمد باشا الوزير ابن المرحوم الوزير الأعظم سنان باشا ، وانضمّ اليه عساكر الروم وعساكر الشام وحلب ؛ وغير ذلك . فرجع الأمر الى ضيافة اليازجي عبد الحلیم حسين باشا المذكور . فأرسل يطلب رهناً من العسكر السلطاني على أن يدفع حسين باشا لهم . فأرسلوا اليه من عسكر دمشق كنعان الجرکسي ، وهو من أعيان عسكر دمشق ، وباكيو دودار حاكم دمشق ، أعني خسرو باشا الخادم ، وجماعة . فأذعن لإعطاء حسين باشا . فلما تيقن حسين باشا أن اليازجي قد خانته ، وما حمل الأمانة ، التفت إليه وقرّعه ، ولغليظ الكلام سمّعه . وقال له : مَنْ يعتمد على مثلك فله هذا الجزاء ، بل هذا له أقل ما يستحق من الإجزاء . ولما أخذت العساكر السلطانية حسين باشا ، ماتت العساكر الدمشقية الى ترك اليازجي عبد (٦٠ آ) الحلیم في قلعة الروّها ، لأنّ العهد هكذا صدر معه . فغضب لذلك السرदार محمد باشا ، وعرض ذلك لحضرة السلطان محمد ، ولولا لطف الله تعالى لذهب رأس حاكم دمشق وهو خسرو باشا الخادم الطواشي .

واستمر عبد الحلیم اليازجي عاصياً حتى عُين عليه الوزير حسن باشا ابن الوزير المرحوم محمد باشا مع عساكر السلطنة العثمانية بأمرها . فالتقوا بجميع البغاة وكبائرهم عبد الحلیم اليازجي وأخوه حسن في مكان يُقال له البستان وهو في نواحي مرّش . فاقتلوا هناك . فأرسل الله تعالى النصر على عسكر السلطان . فكسروا عسكر البغاة وقتلوا منهم ما يزيد على أربعة آلاف .

ثم إن اليازجي مات في قصة يُقال لها مسموم . واجتمع البغاة بعده على أخيه حسن ، وكان أشجع من أخيه عبد الحلیم . فلزم ابن حسن باشا الوزير المميّن لقتال البغاة أرسل عسكراً من جماعته نحو

خسماية رجل ، أرسلهم الى مدينة آمد ليأتوا بنسائه وحظاياها . وكانت أمواله كثيرة لا تُضبط بالأعداد . ولو رام ضبطها ألف عداد ، بحيث أن البغاة لما كسروا العسكر المعين للابتيان بالنساء والأموال لم يقدرُوا على تحميل غير الذهب والفضة والعزير من الملبوس ، وأما ما عدا ذلك من أحمال الشاشات الهندية ، والتحف الرومية ، والمكمخات الفرنجية ، فقد ألقوا فيها النار ، وجرت من ذهبها المذاب الأنهار . وقتل من بها من المقاتلين . وأما النساء والحظايا فإن منادياً كان ينادي من جهة كبير البغاة ، وهو حسن أخو اليازجي ، بأن من مَدَّ يده الى امرأة قُطِعَتْ . وجهزهن بالأمانة والصيانة الى حسن باشا بالمدينة التي يقال لها توقات .

فلما وصل الخبر الى حسن باشا بكسر جماعته وأخذ أمواله وقتل رجاله ، كادت روحه تخرج قهراً ، وجسده يذوب قمرا . والعجب أن الخارجي حسناً بذلك ما اكتفى ، وداء جسده بجسده ما امتفى ، حتى أنه جاء الى الوزير المذكور على حين غفلة ، ليلة عيد الأضحية الى توقات وأرسل إليه يطلبه للمقابلة ، ويستدعيه للمقاتلة ، فيخرج إليه حسن باشا ومن معه من العساكر فما ثبثوا قدام البغاة لحظة واحدة وكسروا كسرة شنيعة ، وخذلوها وأخذوا أخذةً فظيمة . وهرب حسن باشا الى قلعة توقات . وما رفعوه إلا بالأحبال القويّات . وهجم العدو على المدينة بأسرها ، وصارت عساكر (٦٥ ب) السلطان مع البغاة في أسرها ، ما عدا الوزير حسن باشا مع بعض الخواص ، فإن اعتقاله في قلعة توقات كان أقرب أسباب الخلاص .

ولما تحققت الكسرة ، وحققت على عسكر السلطان ساعة العسرة ، أغلقت أبواب القلعة والعدو الباغي يحفّشها ، وجنوده الباغية يرتبها ويصفّها . فاتفق أن صبيّاً جميلاً يقال له درّي ، كان قد نال من الوزير حسن مقاماً حسناً جليلاً ، ضرب صبيّاً من صبيان خزينة حسن باشا . فنزل المضروب الى المدينة وخالط البغاة وعساكر الضلال . فقالوا له : أنت جاسوس . فقال : بل أنا ناموس . ثم حكى لهم ما صدر من درّي من

ضربه له ، وأتته ما جاء إلا مُصادقاً لهم مصاحباً مرافقاً . فقالوا له : إن كنت صادقاً في مقالك فأين يجلس الوزيرُ حسن باشا في القلعة ؟ فقال لهم : إنّه يجلسُ دائماً في هاتيك القرنة وراء هاتيك الدفوف . فجاء رجلٌ من البغاة وجلس تحت القرنة التي عيّنها الصبيّ وفي يده بندقية متضمنة لرصاصةين فضرب بها ، فجاءتُ للقضاء المقدّر تحت إبط الوزير حسن باشا . فمات لساعته ، واستمر مستنداً الى الجدار لا يعلم أحدٌ حاله . والعجبُ أنّه استمر من الصباح الى الظهر والناسُ يظنون أنّه حيٌّ ما كن . فبعد ذلك أشرفوا عليه قد مات ، وهو يابسٌ جالس . فثار من القلعة واضطربوا ، وماجوا وهاجوا ، وفرح العدو ، وجاء الهدوء . وسار وتقرّب من جانب قره حصار ، بل شتى بها .

ثم إن جماعةً قرّبوه الى خاطر السلطان محمد ، وقالوا له : هذا حسن يقعُ بمنصبٍ في بلاد روم ايلي . فأعطوه مدينة ديمشوار ، وهي في أقصى مدن الاسلام ، ، ومنها بداية ولاية الكفر .

فدام حسن الخارجي أخو اليازجي الى أن قدّر الله عليه الخالفة بينه وبين أهل مدينته . فأخرجوه منها . فذهب الى مدينة بلغراد . فوضعه حاكمها في القلعة مكرماً في الظاهر محبوساً في الباطن . وعرض أمره الى السلطان فأرسل أمراً الى حاكم بلغراد بقتله . فقطع رأسه ، وطفئ نبراسه .

وخرج بعد ذلك على السلطنة علي باشا ابن جانبلاذ حاكم كلتر وعزاز . ووصل الى أن جرّ العساكر وقاتل عسكر السلطان على حماه . وكان سرداد العساكر يوسف باشا ابن سيفا التركماني حاكم بلاد طرابلس . فلما وقعت المصافاة غلب جانب السرداد ابن (٦١ آ) سيفا ، فرت العساكر الشامية وانتصر ابن جانبلاذ انتصاراً قوياً ، بحيث أنه لم يقتل أحدٌ من جماعته . وقد نقل لي من كان في صحبة ابن سيفا أنّه رجع ومعه أربعة من جماعته . فلما مرّ على عمه الأمير محمود بن سيفا حاكم بلاد حصن

الأكراد قال له عمه : يا مولانا ! انزل حتى نكون في خدمتك . فقال له الباشا يوسف : والله يا عمي بئس الرجوع رجوعنا . ذَهَبْنَا بِالْأُلُوفِ وَرَجَعْنَا مِنْفَرْدِينَ . فقال له عمه : هكذا حكم الله .

ثم إنه بات ليلة في حصن الأكراد وأمر ابن عمه درويش بن حبيب على العسكر الذهاب الى بلاد طرابلس . فهرب ابن سيفا في البحر وأخذ أمواله وغالب أهل طرابلس من كان يخاف على نفسه أو عياله أو ماله فذهب وذهب معه من ذكرناه من أهل طرابلس .

فأما يوسف باشا فقد دار في البحر الى أن وصل حيفا . وهي على طرف البحر ، في بلاد اللجون ، تحت حكم الأمير أحمد بن طرباي . فاستجار الأمير يوسف بابن طرباي المذكور . وصدر من ابن طرباي في حقه مروءة عظيمة لأنه خرج اليه ومعه مال يكفي أمراء آل عثمان سنين عديدة ، ومعه خمسة وعشرون رجلاً بغير سلاح . فطلع من السفينة فوجد نحو ألف فارس كل واحد منهم يتلهظ عن الموت السريع ويهتز طرباً . فقال له الأمير أحمد ، عند إقباله : مرحباً بالعم العزيز ورجاله . وتربة والدي طرباي لو كان عندي مال لقد منته اليك ، ووضعته بين يديك ، ولكن جهد المقل دموعه ، وكرم البدور على الأرض طلوعه ، هذه الحيل المسومة غاية ما أقدر عليه ، ونهاية ما توصلني قدرتي اليه . فخذها ولك المنة ، ولا تسمن الى غيرها الأعمىة . فإثما أخوات ربح الشمال ، بل هي النسيم يسري في الصبح والآصال ، تخلفه من كريم ، فتكون الآن لكريم .

وقد كان ابن جانبلاد وابن مَعْن قد أرسلوا إلى الأمير أحمد المذكور أن فلانا قادم اليك بجمعه القليل وماله الموفور . فخذ رأسه واقطع أساسه ولك المال وعلينا الرجال عند القتال ، فقال : حاشا و كلاً لا يتنزل الى الدنيا من كان على مولاه كلاً . هذا ضيفي ، ودونه غرار سيفي

أنا أحمد بن طرباي الشهير الذي ليس له في العرب والعجم من نظير .
والولدُ سرُّ أبيه من (٦١ ب) خلقه تأييه .

ثم إنّه قال لحضرة يوسف باشا السيفي : يا عم دونك رأسي ورجلي
وسيفي ، فطَبَّ نفساً وقرَّ عيناً ، ولا تخف من وعدي كذباً ولا
ميئناً . وقدّم الى يوسف باشا ، ما أُراده من المال وماشا . ومكث
عنده ثلاثة أيام ، وليس له عنده فيها سوى الإكرام .

وعزم يوسف باشا على الدخول الى دمشق الشام ليستحصن بها عند
عساكر الاسلام . فقام معه مَنْ هو عنده نزيل ، وساروا الى دمشق
ومعها عسكر جرار ثقيل ، واقتتل ابن جانبلاذ مع العسكر الشامي ،
وانضم ابن سيفا مع العسكر الشامي في مكانٍ يقال له العراد بالقرب من
دمشق ، في جهتها الغربية ، فما مكثوا مقدار تسخين الماء في القِدْر إلا
وقد وقعت الكسرة على العسكر الشامي وولّوا هارين راهبين ،
وتركوا دمشق بن فيها وما فيها ، اللهم إلا قليلاً منهم . فأتهم مكثوا
على الأبواب يُقاتلون ، ولو أراد ابن جانبلاذ أخذ دمشق لأخذها من
غير تعب ، ولكنه سلّط العساكر السكبانية الباغية الذين معه على دمشق ،
فذهبوا خارج سورها ، ونهبوا ما حولها من القرى إلا قليلاً ، واستمر
النهبُ ثلاثة أيام ، وكانت أياماً عصبية .

ولما قام ابن جانبلاذ في قرية المزة خرج اليه حسن باشا الشهير بشوَرته
حسن ، وقطع على دمشق مئة ألف قرش وعشرين الف قرش على ان
يأخذها ويقوم ، والذي صدَرَ صدَرَ ، والنهبُ يُسامح أصحابه به ،
فقبِل ، وكانت هذه القروش التي هي مئة ألفٍ قد أعطها له يوسف
باشا ابن سيفا حتى افرج عنه أهل دمشق ومكثوه من الهرب عن دمشق
الى بلاده . فإتته كان محتفياً داخل السور . وقال له أهلُ دمشق : لولا
أنت لما قصدنا ابن جانبلاذ ، فإنه ليس له معنا عداوة ، وعداوته معك

ظاهرة ، فأعطي المبلغ المذكور . وكان في ذلك حكمة بالغة . أراد الله بها صيانة دمشق .

فلما جهزت إليه ، واشترى له ما أراده بعشرين ألفاً زائدة على مئة ألف قرش من سُكَّر وبن وغير ذلك ، قام عن المزة في اليوم الرابع . وكان أهل دمشق يرون من الموائد صور المشاعل تشرق من بعيد وهو ذاهب ، وفتحت دمشق ، ودخل من كان خارج سورها من الساكنين فيه عرايا حيارى ، سكارى وما هم بسكارى ، وكانت واقعة هائلة (٦٣ آ) .

واستمر ابن سميئنا هارباً الى حصن الأكراد ، وبه تحصن . ثم إن ابن جانبلاذ مر على البقاع ومر على أرض بعلبك ، ونصب خيامه تحت حصن الأكراد . وأرسل الى حضرة يوسف باشا السيفي يطلب منه المصالحة على المصاهرة بأن يتزوج ابن جانبلاذ بنت الأمير يوسف بن سيف ، ويتزوج ابن سيف بنت الأمير ابن جانبلاذ . فدار الكلام بينهما وسعوا في الصلح . فاتفق الحال على ذلك مع مالٍ يحملهُ ابن سيفاً الى ابن جانبلاذ . فاتفقوا على ذلك وأرسل ابن سيفاً أكلاً ونقائس وسكراً وغير ذلك من اللطاف ، وسار الأمير ابن جانبلاذ الى حلب ومكث بها . وكانت سكبائته تزيد يوماً فيوماً واشتهر أمره ، وشاع مكره ، وقوي الى الغاية ، وتمكن من أعوانه الى النهاية .

إلى أن ورد الوزير الأعظم مراد باشا الى قسطنطينية وتشاور الوزراء معه في شأن المذكور فكان شورته أن يذهب الى المذكور ، وهو بحلب ، وأن يسعى في إزالته وقهره . ففعل ذلك . وورد الى حلب وانتزعها من أعواد ابن جانبلاذ .

وهرب ابن جانبولاذ الى أن آل أمره الى دخول قسطنطينية المحمية ، واجتمع بحضرة السلطان الأعظم الأجدد الأوحده ، الأسعد ، حضرة السلطان أحمد ، وحكى له قصته وأبدي له غصته ، فقبل عذره ، وشرح بلطف

الوعد صدره ، وأعطاه إمارة مدينة بلاد في روم ايلى يُقال لها دمشقوار .
ولم يزل على حكومتها إلى أن عرض له أمره أوجب قتاله لرعايا تلك
الديار ، ولزم أنه انحصر في بعض القلاع في بلاد الروم ، فعرض أمره على
باب السلطنة الأحمديّة فبرز الأمرُ بقتله وعدم إخراجه من تلك القلعة .
فقتل وأرسل رأسه الى باب السلطنة . وذهب بيت الأمير جانبلاد مفراً
شعاعاً ، وصاروا بعد أن كانوا حكّاماً محكومين رعاعاً .

والموجود منهم الآن ولدٌ صغير يُخدمُ في داخل بيت السلطنة يُقال
له مُصطفى ابن المرحوم أمير الأمراء حسين باشا ابن جانبلاد ، ورجلٌ
آخر كبيرٌ يُقال له حيدر بك . وحيدر هذا مقيمٌ الآن في قسطنطينية
على زيّ الفقراء الدراويش ، وبقية نساخهم في بلاد حلب ، وأحوالهن
ضائعة . إلاّ أخت علي بك ، صاحب الاسم الذي أوجب فساد البيت
بأسره ، وصيرهم بعد إطلاقهم من الضيم في أسره ، فإنها في حباله نكاح
أمير الأمراء الكرام ، حسين باشا الحاكم بإيالة طرابلس (٦٢ ب) الشام ،
ابن الامير الكبير أمير الأمراء وظهير الوزراء ، حضرة يوسف باشا واليها ،
تنسبُ كلُّ امرأةٍ من بيت جانبلاد وتأوي اليها . وأما بيوتهم في حلب
الشهباء فقد أصبحت فاسدة الانباء ، وهبّت بها الريحُ بعد أن كانت
شمالاً نكباً . نزلت عروشها بعد أن كانت عالية ، وأصبحت بعد التوطن
خالية ، أنكرت السكّان واستوحشت من القُطان . ذهب عنها الأنيس ،
وفقدت بالوحشة وصف التأنيس . كأنّ التّعاب ، أنشد فوق الأبواب

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلاّ اليعافيرُ وإلاّ العيسُ

وأنشد ، من الى الاعتبار أرشد ، للشريف الرضي :

ولقد مررتُ على منازلهم وطولها بيد البليّ تهبُ

فوقفت حتى هجّ من لغبٍ نضوي وضجّ بعد لي الركبُ

وَتَلَفَّتْ عَيْنِي فَمَذْخَبِي عَنِّي الطَّلُوتُ تَلَفَّتَ الْقَلْبُ

ومما أنشدته نمة ، بعد أمورٍ عجيبة جمّة :

أيها الباب لمْ علاك اِكْتِتابٌ أُنْ ذاك الحِجابُ والحِجابُ

ولولا ما يتضمّنه هذا الشعر من الإكرام ، الذي لا يليق ببغبي القوم اللثام ، لأنشدتُ هذين البيتين ، وأجريتُ دمع العين ، وهما قول من قال وأجاد في المقال :

عليك سلام الله من منزلٍ قَفَرٍ اقد هجّت لي شوقاً شديداً وما تدري

عهدُك مذْ شهرٍ جديداً ولمْ أخلُ صروف الرديّ تُبلي مغانيك في شهر

ولعمري لقد رأيتُ القاعة التي زعم أهلُ حلب قاطبة أنها عمّرت في خمس سنين ، وُصرف على عمارتها خمسون ألف دينارٍ من الذهب . ولم يعرف القوم قبل ذلك ما ذهب عليها من فضةٍ أو ذهب . ولعمري لقد حسُن أنْ ينشد في حقّ هذه القاعة :

وقالوا بنى بالظلم للظلم قاعة وعمّا قليلٍ تلتقيها مرّحمة

قلتُ : وقد حجّجتُ في سنة عشرين بعد الألف من الهجرة النبوية ، وسلطان الإسلام ، حضرة السلطان أحمد . ونظمتُ منازل الحجّ في قصيدةٍ ثابّة . وكان صاحبُ مكة وما يليها السلطان إدريس بن حسن ابن أبي نُميٍّ بن بركات الحسيني . وكان خطيب بلادهِ يدعو لحضرة السلطان أحمد أولاً ، ثم للشريف إدريس المذكور ، ثم للشريف محسن بن حسين ابن حسن بن أبي نُميٍّ . وكان إدريس المذكور يعترف بالعبودية الكاملة لحضرة سلطان البسيطة السلطان أحمد ويكتب في (٦٣٣ آ) أسفل عرضه اليه : المملوكُ إدريس بن حسن الحسيني لطف الله به آمين .

٤٧

السلطان أبو يزيد

ابن المرحوم السلطان سليمان ، ابن السلطان سايم خان ، ابن المرحوم السلطان أبي يزيد ، ابن المرحوم السلطان محمد فاتح قسطنطينية . هو الأمير أبو يزيد . كان والده السلطان سليمان - روجه الله في غرف الجنان - قد فرّق أولاده الثلاثة في البلاد . وهم السلطان مصطفى ، والسلطان أبو يزيد ، صاحب الترجمة ، والسلطان سليم . فلما طالت مدة والدم السلطان تتحرّك كل واحد منهم الى السلطنة . فأما السلطان مصطفى فقد أخذ خزينة مصر وهي مقبلة من مصر ذاهبة الى جانب الروم وقال : هذه نفقة أمي . وكانت أمه معه في بلده .

وأما السلطان أبو يزيد فقد تحارب مع أخيه السلطان سليم على باب قونية ، ووقعت الكسرة على أبي يزيد فولّى هارباً الى جانب ديار العجم . ومرّ من جانب بغداد الى أن وصل الى بلاد شاه العجم . وهو شاه طهماسب ولد إسماعيل شاه قزلباش ، واستأذنه في الحضور إليه الى قزوين فأذن له في ذلك . ولما قرّب الى قزوين طلع الشاه الى استقباله ونصب أوطاقه خارج قزوين ، وتلقاه على ظهور الخيل . ولم يكن عند الشاه عسكري كثير . وكان مع الأمير أبي يزيد ما يزيد على عشرة آلاف رجل . فقال له رجل من كبار جماعته ، يُقال له قطز فرهاد : اسمع من شوري واقتل الشاه ، فإنك تصير مالِكاً لديار العجم ، وربما تتوصل الي أن تملك ديار الروم أيضا . فما أقدم أبو يزيد على ذلك . فلما اجتمع

الشاهُ أظهر له الشاه كمال الخضوع والانتقاد ، وأنزله في مكانٍ قريبٍ منه .
وعلم الشاه أنه لا يستطيعُ دفاعه إن نوى له عذراً لكثرة مَنْ معه .
فشرع في تفريق عسكره في البلاد كلها . وكان يُرسل الى كل بلد جماعة
ويأمرُ أميرُ تلك البلد أن يقتلهم . ولم يزل على ذلك حتى أفنى جميع
عسكره . ولم يعلم أبو يزيد ما جرى لهم ، وبقي هو في منزله وليس
معه سوى الأولاد الصغار الذين يخدمونه . واستمرَّ على ذلك مدة .
وكان قليلَ الاجتماع بالشاه على كثرة ركوب الشاه اليه .

وأخبرني مَنْ (٦٣ ب) أتقُ به من كان حاضراً ناظراً لجميع ما
صدر بينها أن الشاه كان يدعو أبا يزيد الى البستان ، وكان يأخذ الفواكه
الحسنة ويضعها على يديه ويمدُّها إليه ليأكل منها . فكان يأكلُ منها
ما اختار ، ولا يتكلم ولا يتواضع ، مع الشاه ، ولا يقولُ له شيئاً .
فلما تكرر ذلك منه أرسل اليه يُعاتبه ويقولُ : أنا مثل أبيه ، وأعرضُ
عليه الفواكه بيدي فأخذها ولا يتواضعُ معي بكلمةٍ واحدةٍ أبداً .
فأرسل اليه أبو يزيد يقول له : أمَّا التواضعُ فشيءٌ ما دخل بيتنا ولا
نعرفه إلا مع الله تعالى الذي هو خالقُ الخلق وباسطُ الرزق ، فإن كان
الوالدُ الشاه يعرف ذلك فليعلمني حتى أستعمله معه عند الإكرام . فلما
سمع الشاه ذلك تغافل عنه . واستمرت الوحشةُ تزيد بينهما إلى أن نوى
أبو يزيد على أن يتدارك ما فات وهيات هيات . فنوى أن يضع للشاه
السمَّ في الطعام . وذلك أن الشاه خرج الى بستانه في أيام الفواكه ودعا مَنْ
عنده من أولاد السلاطين . والأمراء ، وكان عنده نحو سبعة من أولاد السلاطين ،
ولكن كان أبو يزيد أكبرهم وأعظمهم . فلما حلوا في البستان قال الشاه : ليطبخ
كلُّ واحدٍ منا طعاماً يعرفه على طريقة بلاده ، وقصد بذلك الانبساط معهم .
فوضع كلُّ واحدٍ فوطه واتَّزَّر بها وشرعوا في الطبخ على ما يعرفون من الأساليب .
فنوى أبو يزيد على أن يضع السمَّ للشاه في طعامه . فشرع بذلك رجلٌ

كان من جماعة أبي يزيد، ولكنه كان يأنس بالشاه ويختص بمصاحبه . فأشار الى الشاه وأعلمه بما نوى عليه أبو يزيد ، فأسرع الشاه في الذهاب من البستان ولم يأكل من الطعام . فتعجب الحاضرون من ذلك . فلما اطلع أبو يزيد على ذلك قتل ذلك الذي وشى به الى الشاه بأنه يريد أن يسمه في طعامه . فلما علم الشاه بقتل الرجل عاتب أبا يزيد على ذلك . فقال أنا قتلتُ خادمي ، والانسان إن قتل خادمه لا يُعاتب فيه . فأضمر له الشاه الضغينة في نفسه ، وطلبه يوماً إليه ، فكأته أحسن بالسوء فتعلل في الخروج كثيراً ، ثم ذهب مكرهاً . فلما دخل عليه قام من مجلسه وأمر بالقبض عليه . فسارع عسكري الشاه الى القبض على أبي يزيد . فلما شرعوا في ذلك قال (٦٤ آ) قطز فرهاد للسلطان أبي يزيد كلاماً معناه : ما سمعت من سُوري ياصبي^١ لما أشرت عليك بقبضه فذق طعم الأمر ، هذا جزاء من خالف النصيحة .

فلما تمَّ القبض عليه حبسه في بيت بستانه الذي داخل سراياه . وأرسل الى والده السلطان سليمان يخبره بالقبض عليه . فأرسل السلطان سليمان يقول للشاه : أقتله أو أرسله إليَّ حيًّا . فقال : لا أقتله ويبقى لك عليّ دم سلطان عظيم ، ولا أرسله إليك حيًّا لاحتمال أن تعفو عنه ويصير سلطاناً فلا تبقى له همٌ إلا الانتقام مني ومن أولادي لكوني أهدنته وقبضت عليه ، ولكن أنت أرسل اليَّ من خواصك من يقتله حتى أسلمه اليه .

فاضطرَّ عند ذلك السلطان سليمان الى قتله . وخاف من انتشار الفتنة إن بقيَ سالمًا ، فأرسل اليه جماعة وكبيرهم خسرو باشا الذي كان حاكماً في مدينة وأن ، وحكم بغداد والشام مرتين . وأرسل مع خسرو المذكور بماليك يعرفون أبا يزيد حق المعرفة خوفاً من إخفائه وإظهار غيره للقتل ، وقال خسرو : إذا ظهر عليك ولدي في مكانك ، فانظر الى المماليك الذين معك . فإن قاموا وبادروا في الحال الى الوقوع على رجل ولدي ويده فاعلم أنه ولدي ، وإلا فهو غيره .

فلما وصل إلى قزوين طلب الشاه من خسرو باشا تمسكاً بخطّ
السلطان وختمه بأنه قد أذن له في تسليم ولده خسرو باشا يقتله . فأعطاه
التمسك بذلك كما طلب . ثم أدخله إلى داخل البستان الذي فيه أبو يزيد
وهو معه . فلما وقع نظراً الممالك على مخدومهم وابن مخدومهم بادروا
بالبكاء عليه ووقعوا على يديه ورجليه يقيّمونها . فقال لهم خسرو باشا :
ما بالكم فعلتم هكذا ؟ فقالوا : كيف لا وهو مخدومنا السلطان أبو يزيد .
فعلم عند ذلك أنّه هو ، فسلم عليه . فقال أبو يزيد : يا لاله ! أنا أعرفُ
سبب قدومك إلى هذه البلاد . ولكن أمهني لأصلي ركعتين وأطلبُ
لي أولادي لأنظرهم ، فإنّ لي نحو سنةٍ ما رأيتهم . فقال : حبّاً
وكرامة . فتوضأ وشرع في الصلاة . فما أمهله حتى فرغ منها ، بل
بادر إلى الأمير بمخنقه قبل حضور أولاده . وكانوا أربعة أكبرهم أرخان
وكان من أحسن خلق الله صورة . أخبرني مَنْ رآه أنه ما وقعت عينه
على أحسن منه شكلاً ولا ألطفَ صورةً . (٦٤ ب) فحضر أولاده
فوجدوه قد قُضي عليه . فشرعوا في خنق أولاده إلى أن بقي منهم واحدٌ
صغير فدخل تحت ذيل الشاه وقال له : يا أبت . اعتقني أنت ، فقال
له : نعم . ثم غمز عليه فقتلوه أيضاً . وجهزوا أجسادَ الجميع وأرسلوهم
إلى ديار والدم السلطان سليمان . فلما وصلوا أمر السلطان بدفنهم .

وبلغني أن السلطان سليمان سأل عن لباس ولده أبي يزيد ، فقال له
خسرو باشا : يا مولانا السلطان . كان لباسه الصوفَ الفسقمي وتحتهُ
المتقاليّ الأزرق . قال : فبكى السلطان سليمان وقال : قبّح الله طهباسب
ما أقلّ مروءته ! أما كان يوجد عنده ثوبٌ مُذهبٌ يلبسه لولدي .
ولكن الذنبُ لولدي حيث أوقع نفسه في يد عدوِّ في الدين والدنيا .
وبلغني من الثقات أن شاه طهباسب أرسل يقول للسلطان سليمان :
أنا راجٍ منك أن تحسن إليّ لكوني تكلفتُ عليّ ولدك وعلى أولاده

وعلى جماعته وخدمه . فأرسل له السلطان سليمان ست كرات كل كورة
مئة ألف دينار ذهباً . وكتب له مع الدراهم ورقة بخطه ترجمتها
بالعربي هكذا .

شاه طهاسب بهادر . أصلح الله شأنه .

نعلمه بعد السلام أن مملوكنا حسناً قد أخبرنا أن لك طمعاً في
إحساننا . وقد رسمنا لك من مالنا بأربع كرات ، ومن مال ولدنا
سليم بكورة واحدة ، ومن مال وزيرنا رستم باشا بكورة واحدة أيضاً .
فالمجموع ست كرات .

والعجب أن السلطان سليمان يعتقد أن الدراهم أرسلها صدقة ،
والشاه يعتقد أنها تاج . ولعربي إن جميع الناس عابوا على طهاسب ما
فعله مع أبي يزيد ، فإنه ضيفه ، وقد خانته ، وأخذ ماله ، وقتل
رجالته ، وآخر الأمر أمسكته وحبسته ، وقصر في لباسه وفي خروجه ،
وأخذ أجرة على إتلاف ضيفه . وحاصل الأمر أنها معدودة من قبائحه ،
ومحسوبة من أعظم فضائحه . نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزلل في
القول والعمل .

وأرسل أبو يزيد الى الشيخ منصور الدمشقي المعروف بخطيب السقيفة
رجلاً حمله اليه ليسأله عن أمر السلطنة هل هو له . فأجابه بهذين البيتين :

مَدِكُ الْمُلُوكِ إِذَا وَهَبَ لَا تَسْأَلَنَّ عَنِ السَّبَبِ (٢٦٥ آ)

اللَّهُ أَعْطَى مَنْ أَرَا د فَكُنْ عَلَى نَهْجِ الْأَدَبِ

وكان قتل أبي يزيد المذكور في (١) .

٤٨

المولى^(١) أبو السعود أفندي

عليه رحمة الرب الودود .

هو المولى العلامة ، الكامل' الفهامة . شيخ' الاسلام على الاطلاق ، ومفتي الدهر بالاتفاق ، الذي اشتهر صيته في الآفاق ، وبرع على علماء عصره وفاق .

كان والده المذكور شيخاً صوفياً ، وعالمًا تقيًا . جمع بين المرتبتين ، وحاز الفخر في الطريقتين . وصار معلمًا في العلوم والهداية الربانية لحضرة السلطان أبي يزيد ولد حضرة السلطان الغازي محمد فاتح قسطنطينية المحمية . ونشأ ولده المولى أبو السعود صاحب' هذه الترجمة طالباً لمراتب العلوم السامية ، رامقاً بطرفه المنازل الرفيعة العالية ، فحصل من الفضائل ما أراد ، وحاز من العلوم مرتبة الأفراد . بحيث أنه صار ابتهاجاً في وجه الدولة العثمانية ، وابتساماً في نعر السلطنة السلمانية ، فاق وبرع ، وإلى أرفع المواطن ارتفع . كانت الدولة تباهي به الملوك وتفاخر به افتخار المالك على الملوك . والعجب أن غالب ما رأيناه من قضاة دمشق من تلامذته ، وكلّهم يتسبون الى حضرته ، ويتشرفون بنسبته ، ويرجعون في المناصب الى ملازمته .

أخبرني منهم المولى الكامل كمال الدين محمد الآتي ذكره في حرف السكاف إن

(١) ه ، ب « المولى المفتي »

شاء الله تعالى أن شيخه المولى صاحب الترجمة ما ذاق طعم العزّل في حياته ، بل استمرّ يتنقل في الولايات من ولاية مدرسة الى مدرسة ، ومن منصب الى منصب ، الى أن تولّى قضاء العسكر ، وبعد ذلك تولّى منصب الفتوى بقسطنطينية العظمى .

وكانت له حشمة "وافية" وحرمة "باهرة" ، وقوة بين أمثاله قاهرة . بحيث أنه كان محطّ الرّحال ، ومرجع الرجال ، ونتيجة الآمال . باهت به الدولة وافتخرت به الجملة . بحيث أنه كان يأمر فلا يُخالف في أمره ، ويطلب فيعطى ما طلب مع أداء حمده وشكره .

روينا عن الثقات أن حضرة المرحوم السلطان سليمان سأل المرحوم المولى ابن كمال باشا وقال له : لو فرض أنّك كنت في زمن المحقّق التفتازاني أو في زمن المدقّق السيد الشريف الجرجاني ما كنت تكون لهما ؟ (٦٥ ب) فقال : لو كنا في زماني لملالي العاشية . فاستكثر السلطان منه ذلك وأنكره في باطنه ولم يُجبهه بجوابٍ بعدها . فبعد ذلك بمدة سأل المفتي أبا السعود صاحب هذه الترجمة عن السؤال بعينه ، فقال في الجواب : كنت أكون تلميذاً قابلاً . فاستحسن السلطان منه هذا الجواب . وقال له : أنت صاحب الرأي والصواب . وخلع عليه سموراً كبيراً يساوي ألف دينار ذهباً . وقد أعطيت حظاً عظيماً في عمره بحيث أنه ما أصيب بشيء من مواد كاله .

وكان له ثلاثة أولاد محمد وأحمد ومصطفى .

فأمّا محمد فصار قاضياً بدمشق في حياة أبيه . وكان متساهلاً فيما يجب لمنصب القضاء من التحجّب والصيانة . وعزّل من الشام وأعطى حلب ، فمارضى بها ومات بها .

وأما أحمد فقد كان غايةً في العلم ، ومات مدرساً ، ولم يصير قاضياً . وأما مصطفى فإنه كان أصغرهم . واستمرّ حياً الى سنة ثمان بعد الألف .

ومات في السنة المذكورة قاضياً بعساكر الروم . وكان أصغرهم وأقلهم
علماً ، ولكن كانت الدولة تراعيه لمكان أبيه من الرفعة .

ولما كان ابنه محمد قاضياً بالشام كتب إليه من القسطنطينية مكتوباً
ينصحه فيه ويحذره من الرشاء في قضاؤه . وكتب له في المكتوب هذين
البيتين وأظنهما للفارضي المصري :

الْأُخْذِ الْحِكْمَةَ ^(١) مَتًى وَخَلِّ الْقَيْلَ وَالْقَالَ
فَسَادُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا قَبُولُ الْحَاكِمِ الْمَلَا

والعجب أن المفتي المذكور ألتف تفسيراً عظيماً مقبولاً عند الخاص
والعام . وعبارته غاية في الفصاحة والبلاغة . وأما محافظته على العبارات
الفصيحة ، والمعاني البليغة المليحة ، فذلك أمرٌ قد وقع عليه الإجماع ، ولم
يقع فيه اختلاف ولا نزاع ، ولقد لظمت مطالعته ، وداومت مراجعته .
وأنا الآن ألقيه في مجلس درسي التفسيري بالجامع الأموي وغالب تحقيقه
وقع في أوائله . وأما النصف الثاني فغالبه عبارة البيضاوي ، ولا يزيد
غالباً إلا بعض النكت المتعلقة بالبلاغة .

ولقد تفرّد بشيء في تفسيره جزاء الله خير الجزاء ، وهو أنه يتقيّد
غالباً باعتماد الوجه الذي يناسب سياق النظم الكريم وسباقه ، ويسلك
غالباً الإيضاح لمعاني كلام الله عز وجل .

وحاصل الأمر أنه كان نزهة (٦٦ آ) زمانه ، وابتهاج عصره وأوانه .
افتخرت به سلاطين آل عثمان ، واعتقدوا وجوده توريداً في وجنة الدوران ،
وابتساماً في ثغور الزمان .

وكان مع ذلك محافظاً على الورع والديانة ، مشابهاً على التقوى والأمانة .

مع أنه ما دخل ديار العرب ، بل كان يتنقل في المناصب بديار الروم من منصب الى منصب .

وله القصيدة المشهورة الميمية التي يشكو فيها الزمان ، ويتوجع لانداس معالم العلوم ، ويتألم لفقد قواين الموالي بديار الروم . ومطلعها :

أَبْعَدَ سُلَيْمِيْ مُطْلَبٌ وَمِرَامٌ وَدُونَ هَوَاهَا لَوْعَةٌ وَغَرَامٌ
وَهِيَاهَاتِ أَنْ يَتْنِيْ إِلَى غَيْرِ بَابِهَا عَنَانُ الْمَطَايَا أَوْ يُشَدَّ حَزَامٌ
هِيَ الْغَايَةُ الْقَصْوَى فَإِنْ فَاتَتْ نَيْلَهَا فَكُلُّ مَنْ الدُّنْيَا عَلَيَّ حَرَامٌ

إلى أن يقول فيها :

تَقَطَّعَتِ الْأَسْبَابُ بَيْنِيْ وَبَيْنَهَا وَلَمْ يَبْقَ فِينَا نَسْبَةٌ وَلِئَامٌ
فَلَا هِيَ فِي بَرَجِ الْجَمَالِ مَقِيْمَةٌ وَلَا أَنَا فِي عَهْدِ الْمَجُونِ مِرَامٌ
فَمَا كَلُّ قَوْلٍ قَبِيْلٍ عِلْمٌ وَحِكْمَةٌ وَلَا كُلُّ أَفْرَادِ الْحَدِيدِ حَسَامٌ

ومنها :

وَكَمْ عُسْرَةٌ مَا أُوْرثَتْ غَيْرَ عُسْرَةٍ وَرَبَّ كَلَامٍ فِي الْقُلُوبِ كِلَامٌ
أَجْدُكَ مَا الدُّنْيَا وَمَاذَا نَعِيْمُهَا وَمَاذَا الَّذِي تَبْغِيهِ وَهُوَ حَطَامٌ
تَشْكَلُ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ بِشَكْلِ مَا يَمَانِدُهُ وَالنَّاسُ عَنْهُ نِيَامٌ
فَعَزُّ بَهْوٍ وَالْمَهْوَانُ بَعْرَةٌ تَنْبِيَهُ فَهَاتِيكَ الْحَيَاةُ مَنَامٌ
مَحُوَتْ نُقُوشَ الْجَاهِ عَنْ لَوْحِ خَاطِرِي فَأَمْسَى كَأَنْ لَمْ يَجْرُ فِيهِ قَلَامٌ
أَنْسَتْ بِالْأَوَاءِ الزَّمَانَ وَذُلَّهُ فَيَا عَزَّةَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ سَلَامٌ

وله قصيدة أخرى يشير فيها الى الدوام المطلق لله تعالى ، وثبوت

الفناء لمن سواه . وهي قصيدة حسنة في بابها . ومطلعها :

مقالة الحق عز قائمها مر كوزة في النهى دلائلها
قوية لا ترى لها عوجاً لا قدس الله من يجادلها
ظاهرة للحجى دقايقها واضحة عنده جلائلها
تجيب عن كل نكتة سُئلت بغير خلف فأين سائلها (٦٦ب)
سريرة الحق غير خافية على أرب وذاك كافلها
طف بالبلاد التي تبوأها ملوك عصر وقف نساءلها
أين الذي اختطها ومصرها وأين معارها وعاملها
من شق أنهارها وعمرها ومن له حفرت جداولها
وأين سلطانها وسوقتها وأين أشرافها وخاملها
قل للمصانع أين صانعها وللأفاعيل أين فاعلها
خرت على عرشها قواعدها وفرقت حوله جنادلها
تجيبك عما سألت مغربة عن الشؤون التي تحاويلها
تروي أحاديث أمة سلفت راوية لا يرد قائلها
ومنها :

فهل رأيت العروش قائمة من بعد ما هدمت أسافلها
تطوي يد النائبات دفترها طي سجل فمن يساجلها

فيا لها من مُلِمَّةٍ نَزَلَتْ إِنْ الذُّنَى جَمَّةٌ نَوَازِلُهَا
والدهرَ صَعَبُ الخُطُوبِ مَنَكْرُهَا ومَشْكَلُ النَّائِبَاتِ هَائِلُهَا
لَا يَأْمَنُ الغَدَرَ مَنْ يُسَالِمُهَا وَلَا يَرَى النُّصَرَ مَنْ يُبَاذِلُهَا
فَلَا يَغْرَنُكُمْ زَخَاوِفُهَا وَلَا يَضْرِبُكُمْ شَوَاغِلُهَا
وَكُلُّ مَا فِي الوجودِ مِنْ نَعَمٍ إِمَّا تُرَايِلُكَ أَوْ تُرَايِلُهَا
مُسلِطَةٌ الدهرِ هَكَذَا دَوْلٌ فَهَزَّ سُلْطَانٌ مَنْ يُدَاوِلُهَا

وله فتاوى مرتبة على أبواب الفقه ، ورأيتُ منها نسخةً وافيةً كاملةً . تارةً يكتبونها بالتركيَّة وتارةً بالعربية .

ومات رحمه الله تعالى وهو مفتٍ بدار السلطنة العظمى قسطنطينية الكبرى ، ولم يخلف بعده مثله ، ولا ترك في الوجود شكله ، وكانت وفاته في سنة ثلاثٍ وثمانين وتسع مئة ، كما نُقِلَ إلينا بالتواتر رحمه الله تعالى ، [في دولة السلطان سليم ابن السَّعيد الغازي السلطان سليمان .

قلتُ : وأخبرني قاضي القضاة المولى كمال الدين محمد ابن المولى المرحوم أحمد الشهير بطاش كبري زاده عن المولى المفتي أبي السعود المذكور أنه أنشد قبيل موته بساعة هاذين البيتين وهما :

ألم ترَ أنَّ الدهرَ يومٌ وليلة يكرّرُ أنْ من سَبَتِ جَدِيدٍ إلى سَبَتِ
فَقُلْ لجدِيدِ الثوبِ لا بُدَّ من بليٍّ وقلْ لاجتماعِ الشملِ لا بُدَّ من شتٍ^(١)

أبو طالب الحسيني

هو الامير الذي رَفَعَتْ له السيادةُ اَعْلَامَهَا ، وَوَهَيْتَهُ الأيَّامَ
إِنْعَامَهَا . فهو الشريفُ ابنُ الشريف ، المستظلُّ في الدوحة الحسينية بالظلِّ
الوريف . وهو أبو طالب بن الأمير حسن ابن الأمير الكبير أبي نُميِّ
محمد ابن الأمير السيِّد (٦٧٧ آ) بركات . وهو في هذا التاريخ وهو سنة
تسعٍ بعد الألف وليُّ عهد أبيه السيِّد حسن . ويتعاطى الحكومة عنه
في غالب الأوقات . وهو مشكورُ السيرة ، طاهرُ السريرة . له الإصاباتُ
العجيبةُ في حكوماته ، والشجاعاتُ العظيمةُ في منازلاته . وله الفضيلةُ التي
تزينُ الأمراء ، وينظمها في مدائحهم الشعراء . فاق على إخوانه ، وبرز في
محاسن الأخلاق على أبناء زمانه . فلذلك سلَّم له أبوه مقاليدَ الامارة ، وجعل
له ولاية العهد أظهر إماره .

وردت الخلعة السلطانية من الحضرة الخونكارية المحمدية من دار السلطنة
قسطنطينية المحمية ، لحاكم مكة على العادة المعروفة ، والطريقة المألوفة ،
فألبسها الشريف حسنٌ لولده هذا أبي طالب ، وصيِّر له بذلك أرفعَ
المراتب ، وأنجح المطالب . وها هو الآن نائبه في جميع مهماته ، والقائمُ
بأعباءِ أموره في سائر أوقاته .

ولما ورد ركبُ الحاج الشاميِّ الى دمشق في سنة عشر بعد الألف
في صفر ، أخبروا بأن والده تنزَّه عن الحكومة بالكلية ، وأنه أمر الخطباءَ
بالحرمين الشريفين أن يخطبوا باسم ولده مع اسم حضرة السلطان محمد .
ففعِلوا ذلك واستقرَّت الإمارة مع وجود أبيه . فاعلم ذلك .

وفي يوم السبت الثالث والعشرين من شعبان من سنة عشر بعد الألف ووردت الأخبار بموت السيد الكبير حسن بمكة . وأنّ ولده المذكور جلس على مسند الحكومة ، وأنه قتل ابن عتيق الظالم وألقى جسده الحثيث على المزبلة بمكة حفظه الله تعالى آمين .

ولقد تولّى قبله النيابة عن أبيه أخوه المرحوم السيد حسين فأذاقه الحمام طعم الحين .

ثم تولى بعده أخوه السيد مسعود ، فلم يكن في سعيه بمشكور ولا في فعله بمحمود ، وتوفي في أيام الشباب ، وذاق والده بوفاته طعم القتاب . فألت ولاية العهد للسيد أبي طالب المقصود بالذكر في هذه السطور ، وهو الآن بالجبل المذكور ، وبالأحسان مشكور ، لا زال علمه منشوراً ، وجيشه منصوراً . آمين آمين .

أبو القاسم الشريفُ السفيانيّ (٦٧ ب)

الحسنيّ الحُسَيْنِيّ أباً وأماً الخَارِجُ في بلاد اليمن
كان ابتداءُ خروجه من مكانٍ يقالُ له وَصَابُ (١) من نواحي اليمن
| في صفر من سنة خمسٍ بعد الألف (٢) | ودعا الناسَ الى بَيْعَتِهِ ،
وانتشرتْ دعوتهُ الى أن تملك من حصون اليمن ما يزيد على عشرين حصناً ،
لكن | كان (٣) | تملكه لها بتسليم أصحابها . كان إذا ورد إلى جانبٍ
من جوانب اليمن وفيه حصنٌ من الحصون أو مدينةٌ من المدن فيُرسل
إلى أهلها مكتوباً يدعوهم | فيه (٤) | إلى نفسه وإلى بَيْعَتِهِ بِآيَاتِ قرآنيةٍ ،
وأحاديث نبويةٍ ويقولُ للناس : أنا ما أريدُ منكم إلاَّ أن تباعوني على
كتاب الله وسنة نبيه ، وعلى العدل والاستقامة على قانون الشرائع ، وعلى
إيصال | مال (٥) | بيت المال لأهله .

رأيتُ مكتوباً وارداً منه وفيه العجائبُ من الآيات والأحاديث
والمواعظ . وكان أكثرَ مَنْ (٦) يوافقُه | من (٧) | الزبديّة ، لأنه زبديّ .

(١) صقع متسع في اليمن يشتمل على وَصَابِ عالي ووصاب أسفل ، غربي وادي زيد
في تهامة . (انظر معجم أماكن اليمن ، في ذيل طبقات نقباء اليمن) .

(٢) ما بين الخطين ساقط من هـ

(٣) ساقط من هـ

(٤) ساقط من هـ

(٥) ساقط من هـ ، ب

(٦) ص « ما »

(٧) ساقط من هـ

وفي كل مكتوب يدعو الناس إلى قتال عسكر بني عثمان الموجود في بلاد اليمن .
وبعد استقرار أمره في الحصون التي أطاعته كتب لنفسه سكةً
على النقود . وكان يكتب في أحد الوجهين : لا إله إلا الله ، محمد
رسول الله . وعلى الوجه الآخر : المنصور بالله (١) أبو القاسم أمير المؤمنين
الحسيني الحسيني .

فعندما استفحل أمره عرضَ على سلطان الساميين السلطان محمد نصره الله
تعالى . وكان الذي عرضه على حضرة السلطان أميرُ الأمراء في بلاد اليمن | هو (٢) |
حسن باشا . فأمدّه السلطان بعسكرٍ بعد عسكر ، وبمالٍ بعد مال .
فخرج حسن باشا مع العساكر السلطانية وقاتل الخارج المذكور إلى أن
استخرج منه غالب الحصون التي كان قد تملكها . وسمعتُ من فخر
الأعيان الحواجا فخر الدين [بن زريق (٣)] الكاتب أنه لم يبق معه
سوى حصنين متقابلين . اسم الواحد شهارة واسم الآخر حصن أبي
عريش (٤) .

وفي يومنا هذا وهو يوم الثلاثاء سابع عشر رجب من سنة إحدى
عشرة بعد الألف ورد الخبر بأن الرجل الخارج المذكور باقٍ إلى الآن
في الحصنين المذكورين . انتهى .

(١) ب « لله »

(٢) ساقط من هـ

(٣) الزيادة من هـ . وفي ب « فخر الدين بن الكاتب »

(٤) هـ « عريش »

الشيخ أبو الفتح | ابن عبد السلام^(١) | المالكي

التونسي مولداً^(٢) والدمشقي^ه المنزل^(٣) (٦٨ آ) والوفاء .
هو شيخ الاسلام ، وفاضل الأنام ، ومفتي المالكية بدمشق الشام .
ورد إلى دمشق من المغرب بعد وروده إلى مصر المحروسة . وكانت عمامته
سوداء عند وروده . وكان عند قدومه إلى دمشق متلبساً بهيئة الصالحين .
ونزل بصاحية دمشق ، وصار خادماً لزار الشيخ نحبي الدين ابن عربي
بها . ومكث على ذلك مدةً مديدة وأعواماً عديدة . ثم إنه تغير عن
ذلك الطور ، وسكن في دمشق ، وصار قاضياً بالحكمة الكبرى . وتقلبت
أحواله ، وتغيرت أعماله ، وصار متبهماً بأمر لا تليق بأمثاله ، ولا
ينبغي أن تصدرَ عن أسكاله . وأصرَّ على ما | كان^(٤) | قد أصرَّ .
ولم يزل بدمشق يتقلب في أطوار الأيجاد ، ما بين أغوار إلى أنجاد ،
فتارة ينهبط^(٥) وآونة يسو ، وحيناً يجذبُ ووقتاً ينمو ، لكنه مع
ذلك كان يُفتي على مذهب إمام دار الهجرة ويقضي على مذهبه ، لكن
بسيوة ليست مرضية .

وكان ينطق بالكلمات الفصيحة . شهدت له موقفاً مع شيخ الاسلام

(١) قوله : « ابن عبد السلام » ساقط من ه ، ب

(٢) ه ، ب « المولد »

(٣) ه « المولد » خطأ

(٤) ساقط من ه

(٥) ه « ينهبط »

الشيخ^(١) | عبد النبي^(١) ابن جماعة الكناني المقدسي ، وقد ورد إلى دمشق فرأيتها جالسين بعد صلاة الجمعة في الإيوان الشمالي بالجامع الأموي عند الشباك المطل على الكلاسة . وشرع | الشيخ^(١) | عبد النبي يتمكلم مع الشيخ أبي الفتح صاحب الترجمة كلاماً علمياً فيما أظن . فإني كنت صغير السن ، وكنت بعيداً عنها في الجملة . فما أتم^(١) الشيخ عبد النبي كلامه الذي كان يتمكلم فيه حتى أقام الشيخ أبو الفتح رأسه وتحنج ، وقال :
سُبْحَانَ اللَّهِ ،

كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أَفَيْشٍ يُقَعِّعُ بَيْنَ رَجُلَيْهِ بِشَنْ
وقال أيضاً : جَعَجَةٌ ولا طحن . ورُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ .
سبحان الله ! يدلُّكَ على جناء الشجرة الواحدة من ثمرتها . وعلى خزامى^(٢) الأرض النفحة من رائحتها .

وجالاً فيما كانا فيه من الأبحاث ، مستعجلين من غير ارتياح^(٣) .
وظهرت زيادة الشيخ أبي الفتح على الشيخ عبد النبي ظهوراً كاملاً ، وألبسه الله تعالى من الفضل لباساً شاملاً .

وكان من أعاجيب الزمان ، ومن مفردات الدوران . كان ماهراً في المعقولات بأسرها ، وفاضلاً في المنقولات عن آخرها . (٦٨ ب)
كان إذا تكلم في العلوم يصير كالسيل إذا طمى ، وكالغيث إذا همى .
وكانت له الفصاحة التي تندى ظلالها ، وبُسْكِرُ جريائها ، ويروق سلسالها . وكان له النظم الذي يفوح نَشْرُهُ ، ويلوح بشره . لأنّه كما قيل : شَرِبَ مِنْ مَاءِ الْغَوَاطِمِ ، وهب عليه نسيم الواديين . فمن ذلك أنه كان جالساً بين إخوانه ، وعنده طائفه من خلّاته ، وإذا بوجله

(١) ساقط من هـ

(٢) هـ ، ب « خزائن »

(٣) هـ ، ب « ارتباط »

أقبل وقبّل يد الشيخ أبي الفتح وقال له : يا مولانا هذا البيت لمن ؟
وهو قول الشاعر :

لا ضُرَّ أحبائي ولا رُوِّعوا غيِّبنا فما زاروا ولا ودَّعوا
فأجابه عن قائله . وقال له : قف واستمع مني أبياتاً على وزنه
وقافيته وقال :

يا من لصبِّ بين أطلالهم يهيمُ ، لا يرقُ له مدمعُ
ترحلوا فالدارُ من بعدهم لبُعدهم أطلالها بَلقَعُ
خاتٌ كأنَّ لم يكُ فيها لنا مقامُ أنسٍ لا ولا مَرَبَعُ
نذرتُ إن عادوا لهم مُهْجتي هياتَ ما في عودمِ مطعُ
لا ضُرَّ أحبائي ولا رُوِّعوا غيِّبنا فما زاروا ولا ودَّعوا
وله القصائدُ الطنّانةُ التي ما أدرك حسان فيها إحسانه .

وكتب إلى شيخ الإسلام علاء الدين بن عماد الدين هذين البيتين
بطلب القصيدة المسماة بقاق ، وهي من نظم الشيخ بدر الدين الغزي في
الشيخ محمد الأبيجي نزيل سفح قاسيون وهما قوله :

مولاي خَفَّاشُ الدجى قد هجا حمامةَ السفح بذات الشقاق
فأنقضَّ بازي الحي من شاهقٍ يا أيها الصقر تفضلُ بقاق
والمرادُ من خَفَّاشِ الدجى شيخ الإسلام البدر الغزني ، وذلك لأنّه
كان متحجّباً لا يظهر من حجرته إلاّ من الليل | إلى الليل (١) | . والمراد
من حمامة السفح الشيخ | محمد (٢) | الأبيجي [لأنّه كان (٣)] نزيل سفح

(١) ساقط من هـ

(٢) ساقط من هـ

(٣) الزيادة من ب

قاسيون^(١) . وبازي الحميّ بريد الشاعرُ به نفسه . وبريد بالصقر الشيخ
علاء الدين لأنه كان أنجر أحدب ، وهكذا الصقر ، وفاق هي القصيدة
التي هجا بها البدرُ الغزيّ الشيخ الايجي ، وسيأتي ذكرهما في حرف
الميم إن شاء الله تعالى .

وكان كلُّ منهما في غاية الصداقة لصاحبه . ففرق بينهما الزمان ، وأيُّ
شخصٍ (آ٦٩) من الدهر في أمان . . ومطلعها :

أَخْلَايَ^(٢) بالسفح طالَ الفراقُ وساورني ألمٌ وأحترق
إلى أن يقول منها في الهجو :

وكم دبّ ليلاً على أمرٍ وأحدث فتحةً بأعلى الرواق
ومن نظم الشيخ أبي الفتح | المالكي^(٣) | رحمه الله تعالى :
حبذا بالحمام ساعة بطريّ ولو أبترت من مدى العمر شطرا
حبذا الارتحال من دارٍ سوءٍ نحن فيها في قبضة الأسرِ أسرى
وإذا ما ارتحلتُ يا صاحٍ عنها لا سقى الله بعدي الأرضَ قطراً
ومن شعره :

ألا يا أيها الساقِي أدِرْ كاساتِ أحداقِ
ولا تقطعْ مودتنا وواصلْ كلَّ مشتاقِ
ولا تبخلْ على الفاني ببذلِ جمالكِ الباقي

(١) في هـ « حمامة السفح الشيخ الايجي ، وسيأتي ذكره في حرف الميم ، وبازي ... »

(٢) في هـ ، ب « خليي »

(٣) ساقط من هـ

وله نظم ايساغوجي ، نظمُه أدقُّ من رايق النسيم ، وأبدعُ ،
بألفاظٍ تذكرُ سامعها السلافةَ والنديم . وله في القهوة البُنِّيَّة مواقفُ
ومشاهد . وذلك مع شيخ الاسلام الشيخ يونس العيناوي الشافعي ،
فإنه كان يرى تحريمها . وكان الشيخ أبو الفتح يكاد يرى وجوبها . فحصل
بينها شقاقٌ طال أمدُه ، وتأجج حسدُه .

وحضرا مرة لدى قاضي الشام علي أفندي الشهير بقنلي ، وتباحثا فيما
يتعلقُ بالقهوة . وذكر كلُّ منهما دليله . فظهر الشيخ أبو الفتح في البحث
على الشيخ يونس حيث لم تكن أدلَّةُ التحريم ناهضة . وشرع الشيخ أبو
الفتح بعد ذلك في نظمٍ مقطَّعاتٍ وموشحاتٍ وقصائدٍ في محاسن القهوة
وبيان منافعها . ويقول في بعض موشحاته مشيراً الى الشيخ يونس العيناوي .

أنا أفتي بقتضى الظاهر أنها مغنم

ليت شعري من أين الماهر أنها تحرم ؟

وكتب بعض فضلاء عصره إليه سؤالاً فيما يتعلقُ بجلِّ القهوة وحرمتها ،
ويطلب منه أن يبيِّن حكم الله فيها . فأجابهُ بجواب يعترفُ بحسنه
الجميع . ومطلعُ السؤال :

ما قولُ مولانا الإمامِ الأُوحدِ ومَن به في الشرع كلُّ يقتدي
ومَن هو المحقُّ العلامه الجُهيدُ المدقُّ الفهامة

شيخُ الشيوخِ رحلَةُ الطلابِ بحرُ العلومِ روضةُ الآدابِ
في حكمِ شربِ القهوةِ البُنِّيَّةِ بظاهرِ الشريعةِ العليَّةِ

وما على مَن بالهوى حرَّمها جهلاً ونارَ فتنةٍ أضرَّها

وهل له من شبهةٍ فتدفعُ أو حجةٍ في منمها فتقطعُ

فَأَمَّنْ عَلَيْنَا بِجَوَابِ جَزَلٍ مُتَمَنِّعٍ^(١) سَهْلٍ بِقَوْلِ فَضْلِ
إِذْ أَنْتَ أُولَى مَنْ أَجَابَ السَّائِلَ وَعَمَّ طُلَّابَ الْعُلُومِ نَائِلًا
لَا زِلْتَ قَوَامًا بِحَقِّ الْعِلْمِ وَرَادِعًا كُلَّ جَهْوَلٍ فَدَمٍ
مُؤَيَّدًا بِاللَّهِ وَالْأَمَلِكِ مَا أَنْتَظِمْتَ كَوَاكِبُ الْأَفْلاكِ
وَأَجَابَ بِمَا هُوَ الصَّوَابُ . وَلِنَذَكُرْ مِنْهُ بَعْضَ آيَاتِ تَدَلُّ عَلَى

بَاقِيهَا ، قَالَ :

أَقُولُ وَاللَّهِ هُوَ الْمُؤَفَّقُ وَإِنَّمَا بِهِ تَعَالَى أَنْطَقُ
يَا سَائِلِي عَنْ قَهْوَةِ الْبُنِّ الَّتِي كَمْ مِنْ فَتَى عَلَى هَوَاهَا مَا نَتِي
سَأَلْتَعَنَّهَا وَبِهَا خَبِيرًا فَاسْتَمَعِ التَّحْقِيقَ وَالتَّحَرِيرًا
وَأَعْلَمِ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِجْمَالِ بِأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ الْحَلَالِ
وَأَنَّ حَكْمَ شَرْبِهَا الْإِبَاحَةُ يَتَخَنُّ مَنْ حَرَّمَهَا جِرَاحَهُ
وَيَسْتَعْقُ الْخِزْيَ وَالنَّكَالَا لِأَنَّهُ^(٢) قَدْ حَرَّمَ الْحَلَالَ
وَهُوَ كَمَنْ قَدْ حَلَّلَ الْحَرَّمَ مَا يَكْفُرُ قِطْعًا عِنْدَ كُلِّ الْعُلَمَاءِ
ثُمَّ قُصَارَى أَمْرِهِ أَنْ كَذَبَا وَقَالَ فِي الْقَهْوَةِ قَوْلًا عَجَبِيًا
مِنْ كَوْنِهَا تُنْسَبُ لِلْإِسْكَارِ وَشُبُهَةِ التَّشْبِيهِ وَالْإِضْرَارِ
وَهَا أَنَا أُرِدُّ مَا قَدَّ قَالَا رَدًّا يُزِيلُ الْوَهْمَ وَالْإِشْكَالَا
مَبِينًا شُبُهَتَهُ وَغَلَطَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَحْضُ الْعِنَادِ وَرَطَّةُ

(١) ب « متنع »

(٢) ب « لكونه »

أو ابتغاء شهرة بين الوري' وسمعة قد مان فيها وافترى
وقال ما قد فاله رياء كأنه لم يقرأ الإحياء
فاسمع لما أقول يامستفتي مقال حبر في المعلوم ثبت
ثم إله بين خواص القهوة ، وما تشتمل عليه من المنافع ، إلى أن
قال في خاتمة الجواب :

هذا جواب حسن بدیع مُتَعَرِّفٌ بحسنه الجميع
هذه بالسبب فكر ناظمه فجاء كالإبريز في معالنه
يكاد من عذوبة الألفاظ شربه مسامع الحفاظ
والحمد لله على إتمامه مضمخاً بالمسك في ختامه
وصلواته على خير الوري' محمد وآله أسد الشرى'
وصحبه أئمة الهداية ومنقذ الخلق من الغواية
ما ألت يد الجنوب الدنبا ودارت القهوة بين الندما

وكان رحمه الله كثير الهجاء . واستمر بدمشق متولياً منصب القضاء
ومفتياً على مذهب مالك رضي الله عنه إلى أن توفاه الله تعالى في سنة
خمس وسبعين وتسع مئة ، ودفن في تربة مرج الدحداح فوق النهر ،
في مكان خاص معروف به إلى الآن .

وبالجملة فقد كان رحمه الله تعالى من محاسن الدنيا . ومات ولم يُعقب
بذكر ، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

الشيخ أبو السرور البكري

ابن الأستاذ العارف ، شمس العلوم والمعارف ، الشيخ محمد ابن الأستاذ [الكامل] (١) أبي الحسن البكري [الصدّيق] (٢) رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وحشرنا في زمرة جدّهم تحت لواء سيّد المرسلين .
هو الشيخ الأصيلُ العريقُ ، ربحانةُ روض بني الصديق ، وغضنّها اليانعُ الوريق . نشأ في دولة والده المهّام ، وحاز بها غاية الإجلال والإكرام (٣) | .

ويُنقَلُ عن الشيخ أبي السرور أنّه مال (٤) إلى مجالس الأنس مع بعض الخواص على سبيل الاختصاص . وأمّا ميله إلى الصور الجميلة فهو ثابتٌ بلا استبّاه . وأهلُ مصر في صفاء العيش أسباه . فبينما هو صاعدٌ في درجات التعظيم ، موصوف بغاية الإجلال ونهاية التكريم ، مدّت إليه يدُ الحدّان باعها ، وطلبت منه الحياة فسمح بها وباعها . وذلك أنه طلع إلى بعض قرى مصر الموقوفة على جهاته فأضافوه سمكاً . وكان الوقتُ في غاية الحرارة ، فكأته ألقى في بدنه شرارة . فرجع إلى مصر

(١) الزيادة من هـ

(٢) من هنا الى قوله « وينقل عن الشيخ أبي السرور » ساقط من هـ ، ب . وفيها مكان الساقط ما يلي :

« ولد صاحب الترجمة في دولة أبيه الباهرة . وتربى في رياض الفضل والصلاح الناضرة ، وينقل ... »

(٣) ينتهي الساقط هنا

(٤) هـ ، ب « مائل »

محموما ، وقال قوم (٧٠ ب) : إنه مات مسموما . ففارق الدنيا في أوائل سنة ثمان بعد الألف من هجرة خير الأنام ، عليه من الله الصلاة والسلام . وله أخٌ يُقال له أبو المواهب ، وهو الآن في قيد الحياة . لكنه تابعٌ دليل هواه ، لا يشتغل بشيء من العلوم ، ولا يطلب الفرق بين المنطوق والمفهوم ، وقد ترجمناه بالاستقلال ، وأنزلناه في منازل الإجلال . لكن العرق الطاهر في ذاته موجود . فلعله أن يرجع إلى الطريق ويعود . أخبرني الوزيرُ السيّدُ محمد أمير الأمراء بدمشق في هذا التاريخ ، وهو من شهر رمضان من سنة تسع بعد الألف ، أنّ أبا المواهب هذا ليس من أرباب الرضاد ، ولا يميل إلى طريق التوفيق والساداد . والسيّدُ المذكور عارف بأحوال المذكورين لكونه بمصر حاكما في هذا الزمان . والله تعالى هو المستعان . والمحمد لله على كل حال ، وإليه المرجع في جميع الأحوال .

٥٣

الشيخ أبو المواهب البكري

مولانا الشيخ أبو المواهب البكري ابن الأستاذ الشيخ محمد ابن الأستاذ الشيخ أبي الحسن البكري رضي الله عنهم أجمعين .
وُلد هذا الشيخ أبو المواهب ودولة أبيه وريفة الظلال ، بديعة الجمال ، عديمة المثال ، وافرة الفضل والافضال . فنشأ هبةً من (١) ربه الكريم ، فكان أبا المواهب ، ونبع من دوحته الطاهرة فجاء افتخاراً للمشارك والمغارب ، لما عنده من لطف الطباع ، ومن الفريجة السليمة في التمثل والابداع . وهذا البيت بارك الله فيهم ، من قواديمهم إلى خوافيمهم ؛ وذلك لمصادفة دعوة القطب الغوث لخدمتهم الشيخ أبي الحسن ، بأن الله جلّ وعلا يبارك في ذريتهم ويجعلهم أهل فصاحة ولسان . وقد استجاب الله (٢) دعوته للمذكورين سريعاً ، وسرت في ذريته سراية جعلت منهم كل لسان فصيحاً . وهم بيت كبير ، وفضلهم شهير .
وقد ذكرنا عدة منهم في كتابنا هذا فلتبينظر كل واحد في محله .
والشيخ أبو المواهب وإن لم يكن مشهوراً بين (٧١ آ) أهل مصر بالفضائل الكاملة ، ولم يتصف بالأوصاف البديعة الشاملة ، وهو مع ذلك يجلس في موضع التصدير ، ويلقي دروس التفسير ، من غير تقصير . وينظم الشعر المليح ، وينشئ البديع الفصيح . ويكتب الرسائل البديعة ، التي حازت الحسن جميعه . والغالب عليه الخلاء ، وكلما سمع بذي نعمة

(١) ب « فنشأ هبة الله من ربه ... »

(٢) ه ، ب « استجيب دعوته »

احسنة^(١) | أَحَبَّ قُرْبَهُ واستأعته . ولذلك لم يصرف همته إلى تحصيل العلوم والمعارف ، ولا وجهه فكره إلى استحضار النكات واللطائف . لكنَّ جِبِلَّتَهُ | جِبِلَّتْ^(٢) | بالذات على الطبع الذي يرفُّ كأنه^(٣) عذبات الأغصان في زمن الربيع ، أو كأنه شكوى العاشق إلى خليله وهو به عليم^(٤) | وله^(٤) سميع . وسمعتُ أن له هيمته في غاية القبول ، وأن جماله عند كل ناظرٍ مقبول . وقد وصل إلينا من نظمه ، الصادر عن بديع فهمه ، موابيا وهو قوله :

بأنه يا أثلاثِ بالثقا يهززن أغصانهن اخبريني لاجنماك المزن
هل الظباء اللواتي حزن قلبي حزن بالامس حزن على الجرعا أم ما حزن

وله كل معنى حسن . وله من هذا القبيل شيء لطيف ، مستغن عن التوصيف والتعريف . فحفظه الله تعالى فهو خير الحافظين ، وأبقاه جمالاً للدنيا والدين | آمين آمين^(٤) .

(١) ساقط من هـ

(٢) ساقط من هـ

(٣) هـ « له »

(٤) ساقط في هـ

الشيخ أبو الجود البتروني الحلبي

هو الشيخُ المفتي الحنفي ، ووالده الشيخ عبد الرحمن البتروني .
وُلد الشيخ أبو الجود المذكور بمدينة حلب الشهباء ، ونشأ بها متلبساً
بمخرقة العلم طالباً أن يكون معدوداً في العلماء ، لكنه تزبّب وهو حصرم ،
وتكبر فوق قدره ، وتاه على أبناء نوعه . وطار إلى الدرجة العالية قبل
استحقاقه لها . وأما فتواه في مدينة حلب فهي من مداهنة قضاة السوء
على الحق . يردُّ إلى حلب بعضُ القضاة ثم يُعزل ، فيأتي إليه بعد عزله
بأبهة عظيمة : أما العمامة فتنازع القبة كبراً ، وأما الأكامُ فإنها تكس
في الطريق ماتمراً عليه . وإذا مرَّ في طريق رفع يديه من الجهتين ويستمر
رافعاً لها (٧١ ب) كل ذلك لتقويل العوام لها . فإذا رآه القاضي واردأ
بهذه الهيئة استعظمه في نفسه . فإن كان القاضي جاهلاً زخرف عليه الكلام ،
وموّه عليه في المرام . ويأخذ منه عرضاً في أنه مستحق لمنصب القتوى
وأته من الفضل في الرتبة القصوى ، وإن كان عالماً أعطاه ما يُعبي عينيه
من الأموال فيأخذ منه عرضاً كذلك . ويُرسلُ العرض إلى باب السلطنة
مع رجل بصير بأمور الدهر يُقال له ابن الاعمى ، ويُرسل معه مالاً كثيراً
وهديّة عظيمة . فيدخل على قوم غشام^(١) ليس لهم فهم ولا اطلاع على
حقائق الماهيات ، ومعه العرض الذي يُسأل عنه صاحبه يوم العرض ،
ومعه المال الذي يُعبي العيون ويسد منافذ البصائر . فيُخرج حكماً
بأنّ أبا الجود أهلٌ لمنصب القتوى ، لا سيما وليس في حلب من أهلها من

(١) ب ، ه « أغنام »

هو عالمٌ بفقهِ الامام الاعظم أبي حنيفة رضي الله عنه . فهذه الصورة في
صيرورة أبي الجود مقتياً في مدينة حلب . فلا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم .

أخبرني أستاذي العلامة العمادُ الحنفي السمرقندي رحمه الله تعالى عنه قصة
عجيبة تفتضي كمال جهله وقلة عقله ، وهي أن العماد كان قاطناً بحلب في
مدرسة يُقال لها العادلية فحضر الشيخُ أبو الجود صاحب الترجمة ، وجلس
على باب حجرة فيها العماد ، وحضر إليه جماعة يقرأون عليه . فقرأ القاريء :
ولا زكاة في آلة الحرب والكتِّب . ونطق بالكتب مضمومة الكاف والتاء
على أنها جمع كتاب فيصير المعنى : ولا زكاة في كتب العلم ، لان العالم
يحتاج إليها للانتفاع بها ، وما هي من عروض التجارة . فقال له الشيخ
أبو الجود : غلطَ إقرأ والكتِّب بفتح الكاف وسكون التاء على أنه
مصدرٌ بمعنى الكتابة . أي ولا زكاة في آلة الحرب ولا في آلة الكتابة .
فقال القاريء : يا مولانا ، وما آلة الكتابة حتى تُتفَى الزكاة عنها ؟ .
وهل هي إلا الأقلامُ والدواة ؟ ثم تزايد بينهما الجدل حتى أدَّى
إلى الجلال .

قال المولى العماد : فقلتُ لأبي الجود : يا شيخ ! الصوابُ (٧٢ آ)
ما يقوله تلميذك . إذ لا معنى لما قلتَه أنتَ ، إنما المرادُ نَقْيُ الزكاة
في كتب العلم إذا لم تكن من عروض التجارة . قال فلم يجبني بغير
الضحك . فتأملتُ من ضحكه وبالغتُ في الردِّ عليه . فلما رأى مني الجدَّ
في الردِّ ضحك وقال لجماعته : لأجل خاطر المتلامد نقولُ : يجوز الوجهان .
على أن المراد الكتِّب جمع كتاب ، أو الكتِّب مصدرأ .
وقال لي العماد المذكور : مَنْ أراد أن ينظر إلى رجلٍ مرَّكبٍ
من الجهل والكبر | فليُنظر^(١) | إلى أبي الجود .

هذا ما كان قد ثبت عندنا بطريق اليقين ، لا يطريق التخمين .
ولكن أخبرني في هذه الأيام جماعة من ليس لهم غرض ولا من
عادتهم الكذب أنه تمرّن على الفتوى فصار له استحضار حسن في فروع
الفقه ، حتى قرب من أن يكون له ملكة علمية لكثرة المراجعة والمطالعة
بسبب الفتوى . والله تعالى أعلم .

وهو اليوم مقيم في حلب على منصب الفتوى ، ومدرّس بالمدسة
المقدّمية بحلب^(١) . فإنّ في الشام مقدّمية^(٢) وكذا في حلب مقدّمية ،
وكلتاها وقف شمس الدولة عبد الملك بن المقدّم ، ووقفهما بدمشق
قرية جسرين وقرية المحمدية^(٣) . وقد يرسل الشيخ أبو الجود وكيلاً يقبض
له ما يخصّه من جهة مقدّمية حلب .

وله أخ يُقال له | الشيخ^(٤) | أبو اليمين . وقد تولى الفتوى بحلب
أيضاً . وقد رأيتُه بدمشق ذاهباً إلى الحج في سنة أربع بعد الألف .
وما تيسر الاجتماعُ به ، لكنني رأيتُه من بعيد . والذي ثبت عندي من
أخبار الأخيار أنّ أبا اليمُن خيرٌ من أبي الجود في الفضيلة العلمية ، والله
تعالى أعلم بحقيقة ذلك .

وقد بلغني من كثير من أهل حلب أنّ والدّهما الشيخ عبد الرحمن
البتروني كان من الصالحين الواعظين ، وأنّه كان سالكاً مسلك السلف في
التقشف ، وقلة التكلّف . وأنّ ولديه مخالفان لطريقته في أقواله وأفعاله .
والله تعالى أعلم بحقيقة الحال ، في جميع الأحوال . والحمد لله على نعمه
أولاً وآخراً ، وباطناً وظاهراً .

(١) انظر عنها : الآثار الاسلامية في حلب ، لأسعد طلس . ص ٦٧

(٢) انظر النعمي ١ : ٥٩٤ . والصحيح أن في دمشق مقدّمتين ، جوانية وبرانية .

(٣) جسرين والحمدية قرينتان من قرى غوطة دمشق . انظر غوطة دمشق لكرد علي

(٤) ساقط من هـ

الشيخ أبو اليُمن البتروني الحلبي

مفتي حلب المحروسة على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه

اجتمعتُ به في حلب سنة سبع عشرة (٧٢ ب) بعد الألف عند رحلتي إليها في السنة المذكورة لاجل الاجتماع بحضرة الوزير الاعظم | حضرة (١) | مراد باشا في مُهمِّم يتعلّق بأهل دمشق . وهو أخو أبي الجود البتروني ، لكن بينهما بونٌ بعيد و فرقٌ شديد .

فأين الثرياً وأين الثرى ؟ وأين الحسامُ من المنجل ؟

فإنّ ابا الجود أبي الجودَ ، وأبا اليُمن قبل اليُمن .

فهذا بالتواضع في الثرياً وذلك بالتكبر في الحضيض

وكان أبوهما صالحاً ، وبالوعظ لاهل حلب ناجحاً . وأتى الاب وذهب ، وما تلبس من هذه الدنيا القانية بفضّة ولا ذهب ، أستغفرُ الله الاتّ ما كفى ، وعن الاحتياج إلى الخلق نفى . ونشأ أولادهُ للعلم طالبين ، وفي عُلوّ المنازل راغبين ، وكلٌّ في فلِكَ . وقال كلٌّ لأخيه عند طلبها : إن لم تكن لي فلك . ولم يزل أبو الجود يعلو إلى فتوى دمشق بتدريس المدرسة السلطانية السليمانية (٢) بميدانها الاينق ، عوضاً عن قصرها الاينق (٣) الذي له كلُّ مدحٍ يليق . وأخوه أبو اليمن هذا طلب

(١) ساقط من هـ

(٢) هي المساة في أيامنا بالنسبة السليمانية . انظر ذيل ثمار المقاصد ص ٢٢٥ .

(٣) هو القصر الأبلق الذي بناه الملك الظاهر بيبرس واتخذهُ داراً للسلطنة وقد وصفه ابن طولون في ذخائر القصر (مخطوط) ونشر الوصف احمد تيمور باشا في

وَنِعْمَ مَا طَلَب . إِلَى أَنْ نَالَ فَتَوَى حَلَب ، وَأَدْرَكَ مِنْهَا غَايَةَ الْإِرْب .
مَعَ سُلُوكِ التَّوَاضِعِ وَحَسَنِ الْإِدْبِ . وَذَلِكَ بَعْدَ مَا اجْتَهَدَ وَدَأَبَ .
اجْتَمَعَتْ بِهِ فِي حَلَبٍ عِنْدَ تَوْجِيهِ^(١) إِلَيْهَا فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ بَعْدَ
الْأَلْفِ فِي الْمَنْزِلِ الَّذِي نَزَلَتْ بِهِ بِحَلَبٍ ، وَهُوَ الْمَدْرَسَةُ الْبَهْرَامِيَّةُ^(٢) ، فِي
جَوَارِ بَيْتِ نَقِيبِ الْأَشْرَافِ إِذْ ذَاكَ ، وَهُوَ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ الرَّامُحَمَدَانِيُّ مِنْ
رَامِ حَمْدَانَ وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ قَرْيَةِ أَرْجَا . فَرَأَيْتُ الشَّيْخَ أَبَا الْيَمَنِ الْمَذْكُورَ
فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ اللَّطْفِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَكَمَالِ الْفَضِيلَةِ الَّتِي لَا تَوَازِيهَا
فَضِيلَةٌ مِنْ أَقْرَانِهِ . وَأَنْشَدَنِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ قَائِلًا :

ذَكَرَ الشَّيْخُ حَمِيدِيُّ الدِّينِ ابْنُ عَرَبِيٍّ فِي كِتَابِ الْمَسَامِرَةِ حِكَايَةَ عَنْ مَلِكٍ
حَلَّ بِهِ الشَّيْبُ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْشَدَنِي فِي هَذَا الْمَعْنَى صَاحِبُنَا عَلِيُّ الْقَفْصِيِّ^(٣) :

وَنَازِرَةٌ بِالشَّيْبِ حَلَّتْ بِمَارِضِي فَبَادَرْتُهَا بِالنَّتْفِ خَوْفًا مِنَ الْحَتْفِ
فَقَالَتْ : عَلِيٌّ ضَعْفِي اسْتَطَلَّتْ وَوَحَدْتِي وَوَيْدِكَ لِجَيْشِ الَّذِي جَاءَ مِنْ خَلْفِي
قُلْتُ : وَأَنْشَدْتُهُ فِي مَا يَمَعَلْتُكَ بِالشَّيْبِ قَوْلَ مَنْ قَالَ [وَأَجَادَ
فِي الْمَقَالِ^(٤)] :

سَأَلْتُ مِنَ الْأَطْبَايَا ذَاتَ يَوْمٍ خَبِيرًا مِمَّ شِيبِي ؟ قَالَ : بَدَنِي

فَقُلْتُ لَهُ عَلِيُّ غَيْرِ احْتِشَامٍ لَقَدْ أَخْطَأْتُ فِي مَا قُلْتُ بَلْ غَمٌّ

قُلْتُ : وَهُوَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، وَهُوَ يَوْمُ السَّبْتِ تَاسِعِ عَشْرِ رَجَبِ
الرَّوَجِّبِ مِنْ شَهْرِ سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ بَعْدَ الْأَلْفِ ، مَفْتِي حَلَبٍ وَمُدْرَسٍ

(١) ه ، ب « توجيبي »

(٢) تستسى اليوم جامع البهراوية . بناها بهرام باشا والي حلب ، في أواخر القرن
العاشر . انظر : الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب لطلس ، ص ١٢٩

(٣) ه « القفطي » . واسم القفطي الوزير « علي بن يوسف » . وانظر آخر الترجمة

(٤) الزيادة من ه . وفي ب « قول من قال وأجاد »

المدرسة العادلية بها . والناسُ يذكرون عنه الثناء الجميل ويصفونه بكلِّ وصفٍ حميدٍ جليل .

قلتُ : والقفصيُّ المذكور في رواية الشيخ عن صاحبه علي ابن محمد نسبة الى "قفصة" (١) بفتح القاف وضمها وسكون الفاء بعدها صاد مهملة مدينة بطرف إفريقية . منها مالك بن عيسى ، وابراهيم بن محمد المحدثان . واصلُ والده من البترون وهي قرية من توابع طرابلس ظهر منها جماعةٌ والله تعالى أعلم .

(١) ذكرها ياقوت في معجم البلدان بفتح القاف ولم يذكر الضم

صاحبنا الشيخ أبو الطيب [الغزي]

الماطرُ فههُ من البلاغة بالغيث الصيب ، الأصيلُ العريق . الخطيبُ المنطيق ، الغزيُّ العامريُّ الشافعيُّ القادري . ولد شيخ الإسلام البدر الغزيُّ ، صاحبُ التفسير المنظوم ، الجامع بين العلم والفهم ، والحلم والكرم ، والخطِّ وتمييز المنطوق من المفهوم .

وأما شعره فهو في المحاسن غاية ، وأما لطفه فهو النسيم إذا مرى روى عن زهرِ الرياض أصدق رواية . كتب إليّ ملفزاً في لفظ داءٍ أعاذنا الله منه آمين :

يا إماماً واحِ بدرأً كاملاً في سماءِ العلم زاد الله فضله
وهماماً مانحاه قاصدٌ سائلاً إلا ويُعطى منه سُؤله
أيُّ شيءٍ يوجب الضعفَ كما يورثُ الصّحةَ إذا ما زيدَ علّه
إنْ جَزَتْ المدُّ منه تلقه في مديّ لكن بحرفِ زيدٍ قبله
وإذا ذيلته أيضاً بما زدته فيه ابتداءً فاسمُ خله
فشفاك الله منه أن يجلّك لكن لا وقاه أن تحله
وبقيت الدهرُ مجراً زاخراً لو ذعياً المعيّ الفهمِ رحله
قلتُ : فأجبتُه عنه مرتجلاً وأرسلته اليه خجلاً :

سيدي لازلت للقصاد رحله وإليّ بابك ينوي الخاقُ رحله

يا ابن من أنسى الذي | قد^(١) كان قبله
يا أبا الطيب يا من فاته
كل من حاول إدراكا لكم
جاءني من بجر ك الدر الذي
كل من شاهد ما أبديته
أنزكم أبدى الذي في خاطري
صير القلب له بيتا ولم
شاقني والله قول قلته
كان داء وبما أودعته
عندما أوردني عين الصفا
قد كساني ثوب عز سابغا
لا بوح الدهر بدرأ كاملا
قلت : وأبو الطيب المذكور درس في دمشق | بالمدرسة^(٢) |
القصاعية^(٣) الشافعية . ثم إنه فرغ عن تدريسها للشهاب الفاضل الأجدد ،
الشيخ أحمد ابن المرحوم القاضي ولي الدين ابن قاضي القضاة ولي الدين بن
الفرفور الحنفي ، وقبض منه في مقابلة الفراغ نحو ستين ديناراً .

(١) ساقط من هـ

(٢) ساقط من هـ

(٣) انظر النيمي ١ : ٥٦٥ . وهي من مدارس الحنفية

وخطه في غابة الجودة ، ونظمه في نهاية اللطافة .
ولكن عرض له عارضٌ سوداويٌّ اقتضى أنه تَلَقَّ زوجته وفرَّق
ثيابه على كثير من أصحابه . ويُقال إنهم حجبوا عنه ولده خوفاً عليه
منه ، لأنهم سمعوا منه أنه يقولُ : لا بُدَّ من قتل هذا الطفل لأني أخاف
أنَّ تَفْعَلَ به القبيحةُ بعد كبره . وهو الآن محبوسٌ في بيتِ أبيه
بالقرب من الجامع الأمويِّ عند التربة الكاملة^(١) . ولكنه مع هذا
الحال يكتب تفسير المولى أبي السعود كتابةً صحيحةً مليحةً الى الغاية من
غير نقصان ولا تبديل . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قلتُ : وكان الأديبُ الفاضلُ جامعُ أشتات الفضائل ، الشيخ درويش
محمد بن أحمد بن طالوا قد نظم قصيدة في مدح أحمد الأنصاريِّ القاضي
بمصر والقاهرة يوم نظم المذكور للقصيدة المذكورة ومطلع القصيدة (٧٤ آ) :
فخرُ البلاد بأحمد الأنصاريِّ فخر العباد بأحمد المختار

فعارض القصيدة المذكورة الشيخ أبو الطيب المذكور وجعلها نعتاً
في فضائل أمير المؤمنين أبي الحسن | علي^(٢) | رضي الله عنه .
والشيخ أبو الطيب المذكور يلقَّب نفسه بالرضيِّ ، لأن جدَّه يُقال
له رضيِّ الدين . وقد أشار الى رد بيت في قصيدة ابن طالو المذكورة ،
ولوح الى كونه يلقَّب بالرضيِّ . وبيت الشيخ درويش آخره هكذا :

« تروي فنون الشعرِ عن مهيارِ »

وبيت [الشيخ^(٣)] أبي الطيب :

صَدَحَتْ بِهاوِرُقِ الرضِيِّ فَبِالْحَرِيِّ أَنْ لَيْسَ تَرْوِي الشَّعْرَ عَنْ مَهْيَارِ

(١) انظر النيمي ٢ : ٢٧٧

(٢) ساقط من هـ

(٣) الزيادة من هـ

وما ذكرناه من غلبة الخلط عليه صدر في سنة خمس عشرة بعد الألف من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام .
قلتُ : وكتب اليّ متعطفاً على هذا الغز . وصورة ما كتب ونقلته من خطّه ، وقد أرسله إليّ في يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان من سنة عشرين بعد الألف - وأجاد فيما أفاد :
باسمه سبحانه ، أطال الله بقاء سيدي الشيخ نبيه الذكر ، رفيع القدر ، سعيد الجدّ ، أثيل المجد ، واحد العصر ، برونم الجاحد .

وما على الله بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحد
وقد قصدتُ حضرته الزاهرة ، في ما هو نتيجة الساعة وعبو البداة ،
نزعة أدبيّة ، ومحبة حسنيّة ، وذلك أمرٌ مقصودٌ على سيدي الشيخ حرس الله
بجده القيام بأعبائه ، ومحجّب هو المستقلّ بإبرازه ، من منبوع خبائه .
والناسُ ألفٌ منهمٌ كواحدٍ وواحدٌ كالألف إن أمرٌ عنا
فأقولُ بلسان المستفهم العاجز ، لا بلسان البارز البارز : ما جمادٌ
إذا نكس تحرك ، وإذا زاد نقص . يُكسى فيعري ، ويموت فيحیی ،
يؤذّن لنفاد عمره ، ولا يُصلّي على قبره . يُبعث لانصرام
الزمان ، ما اختلف الملوّن ، ملازمٌ للصوات وهو دائمٌ الحدّث ،
ولابسٌ للزنتار غير مكثور . معتدل السير ، سريع الخطا ، وربما ضلّ
وهو أهدى من القطا . يُنجد ويعتور ما فار منه التتور . (٧٤ ب) يشبع
ويجوع ، ويأخذه الهجوع ؛ فإنّ نُبّه قام ، وإنّ ترك نام ،
وهو ملازم للقيام ، ذو صيام وغير ذي صيام . صاحبٌ مصحوب ،
راكبٌ مركوب . قائمٌ جالس ، ساكتٌ نابس . فصيحٌ أعيان من باقل ،
يعقلٌ عنه وهو غير عاقل . حيّةٌ برأسين ، ومعاقرّة بين كأسين ،
في زجاجة الزجاجة ، سيّالة الحجاجة . هو واحدٌ بل اثنان بل ثلاثة ،

مزيّن بثلاثة ، وفيها ما لا يعد ولا يحصى ، وهو على أنه محصور غير حصول ولا مُستَقْصى .

أنعموا بالجواب ، ولجنايبكم الثناء المستطاب ، والدعاء المستجاب جعل الله سعيكم مشكوراً ، وقواكم مبروراً . ووزقنا الحجّ في ركابكم في هذا العام ، والسلام . | الحقيّر ابن الغزّي^(١) | .
والغز المذكور في زجاجة الرمل التي تُعلم بها الأوقات وتُعلم به حدود الميقات .

وهذه صورة الجواب :

بعون الله الملك الوهّاب . سائلاً من ربه جل وعلا ، إته لا يضيع أجرَ مَنْ أَحسن عملاً ، أنْ يُطر سحاب فضله المدرار ، وأن يطلع بدر منته مُشْرِقاً بساطع الأنوار . على منازل المولى الفاضل ، صدر صدور جميع الأفاضل ، بقمية السلف القديم . وواسطة عقد الحلف الكريم ، مطر أنواع^(٢) السحاب الهامي ، بانياً مباني أعلام الكمال السامي . محمد الرضي ، الشهير بأبي الطيّب الغزي العامري الأشعري الشافعي القادري ، حرس الله مهجته ، وأدام في صدور المحافل بهجته ، ما امتدّ مداد ، ودام إمداد . آمين .

ثم إنّ الفضل ما زال عنه مروياً ، وظمان الطلب قد رام من غيث غوثه رويًا ، سُشنته موروثه ، وعادة عن الصدق مبعوثه . وقد جبر هذا المنزوي في كسر بيته كسيروا ، وأسدى إليه من جود جوده لطفًا كثيرًا .

وللشيخ أبي الطيب المذكور :

صادقته والحسن حيايته
كالريم لارعتًا ولا قلبا

(١) سائط من ه ، ب

(٢) ه « الأنواء »

أهوى لتهنّتي فدّ يداً وفق الهوى وتناول القلبيا

وله :

لسرّ حبيبي مكمنٌ من جوانحي تمنّع أن تدنو إليه المباحثُ (٢٧٥)

تغلغل مني حيث لا تستطيعه كدّوس الندامى والأينسُ المحادثُ

وأرسل^(١) اليّ حضرةُ الشيخ المذكور هذه القصيدة الفريدة ، الجامعة للدرر النضيدة ، في يوم الاثنين سابع شوال من شهر سنة عشرين بعد الألف من الهجرة النبوية ، عليه من الله أفضل [الصلاة]^(٢) التعمية . وفيها إشارة الى الشيخ سعد الدين ابن الشيخ سعد الدين لما انتصر على أقاربه بعد قتالٍ ونزاع . وكان الفقيرُ كاتب الحروف له به بعض اجتماع ، أدّى الى مساعدة مني طلباً للثواب | من الملك الوهاب^(٣) . فإنه جلس على سعادة المشيخة السعدية بعد أخيه الشيخ محمد صاحب المسكارم الحاتمية . وكان جلوسه بحقٍ ، فأراد ابن أخيه الشيخ كمال الدين ابن الشيخ ابراهيم أن ينازعه بعد الجلوس ، واستقرار النفوس . فلم يكن نزاعه مفيداً ، ولا رأى الناسُ كلامه سديداً ، لاستقرار عمّه ونفوذ سهمه . وكان الوزيرُ الأجد الحافظ أحمد ، حاكماً بولاية الشام . فكان الشيخ محمد قد سلّم أخاه الشيخ سعد الدين المذكور في حياته السجّادة والأعلام ، فشهد وشاهد الاستخلاف ، وعامل الشيخ سعد الدين بالانصاف ، وأمر بانقطاع المشيخة الكاملة ، لكونها حادثة غير موافقة للطريقة السعدية ، وذلك في أواسط شهر رمضان من شهر سنة عشرين بعد الألف من الهجرة النبوية ، على صاحبها ألف ألف تحية .

(١) في ٥ هـ ، ب « هذه القصيدة الفريدة ، الجامعة للدرر النضيدة أرسلها إليّ حضرة

الشيخ ابو الطيب المذكور في يوم الاثنين ... »

(٢) من ٥ هـ ب

(٣) ساقط من ٥ هـ

وَأَرْحُ طَلَانِحَ قَلْبِكَ الْمَجْرُوحِ
وَأَرْبَأُ بِنَفْسِكَ عَنْ رَبَاهِ الْفَيْحِ
وَلِرَبِّمَا سُدَّتْ مَهَا فِي الرِّيحِ
مَتَمَلِّلاً مِنْ لَاعِجِ التَّبْرِيحِ
وَتَرَى وَلِيَّ النَّصِيحِ غَيْرَ نَصِيحِ
غَابَا حَمِيٍّ مِنْ ذُبُلِ وَصْفِيحِ
تَشْفِي ، وَلَا مِنْ فَتْكِهِ بِرِيحِ
لِرَأْيَتِي بِالرُّوحِ غَيْرَ شَحِيحِ
فِي مَجْلِدِي وَصَوَارِهِ فِي سُوحِي
مَتَعَفِّفْ حِينَ الْإِقَاءِ كَشُوحِي
وَلَزِمْتُ وَرِذِي مُذْهَجَتْ صُبُوحِي
يَوْمَا بَتَحْسِينِ وَلَا تَقْبِيحِ
وَقَصِدْتُ نَحْوَ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ
وَخَوَارِقُ تَأْتِي بِكُلِّ صَرِيحِ
مَتَمَكِّنْ فِي صَدْرِهِ الْمَشْرُوحِ
هَذَا وَرَبُّ الْعَرْشِ خَيْرُ فِتُوحِ
كَالْبَدْرِ كَانَتْ فِي الظُّهُورِ وَبُوحِ

تَهْنَهُ دَوَالِحَ جَفِينِكَ الْمَقْرُوحِ
وَدَعِ الْهَوَى طَلَقَ الْعَنَانَ لِأَهْلِهِ
فَلَرَّبَّمَا ضَاقَ الْفَضَاءُ وَلَا هَوَى
كَمْ ذَا تَبَيْتُ مُسَهِّدًا تَرعى السُّهَى
كَمْ ذَا تَصَدَّقْتُ عَنِ النَّصِيحِ عَمَائِمَةً
وَمُتَمَنِّعَ كَابِنِ الْغَزَالَةِ دُونَهُ
لَمْ يَعْتَلِقْ مُضْنَاهُ مِنْهُ بَزُورَةً
لَوْ شِئْتُ لَأَشَدَّتْ الْمَعَادُ إِلَى الْهَوَى
وَرَأَيْتُ آرَامَ الصَّرِيمِ سَوَانِحًا
وَرَأَيْتِي ضَمَّتْ عَلَيَّ مَتَمَسِّكًا
لَكِنْ صَحَا قَلْبِي وَأَقْصَرَ بَاطِلِي
وَقَدْ اعْتَزَلْتُ عَنِ الْأَنَامِ وَلَمْ أَقْلُ
وَرَفَضْتُ قَوْلَ الشَّعْرِ إِلَّا نَادِرًا
وَالشَّيْخُ سَعِيدُ الدِّينِ حَالٌ بَاهِرٌ
لِللَّهِ دَرٌّ فَوَادِهِ الْعَمُورِ مِنْ
ضَاهِي أَخَاهِ الْبَحْرِ أَوَّلِ أَمْرِهِ (١)
وَلِكَمْ كَرَامَاتٍ لَهُ لَمَّا بَدَتْ

وبنصر سيدنا له وقيامه معه ترجيح فوق كل رجح
أعني الإمام الأوحـد الحسن الذي بصفاته يزدان عقد مديحي
العالم اللج الذي أفكاره تأتي بكل مباحة ومليح
كشافي جون المعضلات اذا انبرت تعاض بالتنوير والتوضيح
علامة العلماء سعد زمانه في شرحه التلخيص والتلويح
وله اليد الطولى بحسن النقد في كل العلوم وجودة التنقيح
يفتـاب مشتجر الخلاف بفكره فيهرز راجحه من المرجوح
وإذ رأى الأقوال غفلاً زانها بمدارك الترجيح والنصحيح
أعمت مزاياه وحسن خلاله وكجـاله المحسود كل فصيح
اني لأشكر فعله وجميله بلسان حمد فابح التصريح
حسب البديهة فيه لامتقـصيا ما ينبغي لعلاه بالتمديح
مولاي | كن | صدر الصدور على المدا في عصرنا [لك] لحسمه^(١) كالروح
واسلم ودم ما فتقت ربح الصبا فارات رنج او نوافج شيخ^(٢)

الحقير أبو الطيب الغزي العامري .

(١) : « جسمه » .

(٢) : « فأدارندأ أو نوافج شيخ » .

ابو سعيد بن صنع الله التبريزي الكلون كناني^(١)

من أعمال تبريز، رحمه الله تعالى . ولد في تبريز سنة عشرين (١٣١) ب
وتسع مئة . وقرأ على المولى غياث الدين منصور وفاق ، و اراد الخروج
الى جانب الروم مهاجرةً من حكم طهاسب المبتدع . فشعر به فعذبته مع
عمه ، وصادرها بعشرة آلاف دينار ذهباً ، فباعوا املاكهما في ذلك ،
ولم يحصل المبلغ المذكور . وهرب الشيخ ابو سعيد الى اردبيل ونجا
بذلك ، لأن القانون أن من هرب اليها ينجو ، ولو كان مجرماً لكونها
مقبرة أجداد طهاسب . ولما غزا السلطان سليمان ديار العجم تخاصص مع عمه
وخرجا مع السلطان المذكور الى بلاد الروم . فمات عمه بديار بكر سنة
تسع مئة وخمسين ، وذهب الشيخ ابو سعيد صحبة السلطان الى حلب . ولم
تزل علوفته تترقى الى ان صارت مئة عثماني ، وحج في سنة ست وسبعين
وعاد . وكان عالماً فاضلاً كريماً جواداً تقياً ، ولكن كان في غاية الوسوسة
حتى انه يصفح الناس ويغسل يده من مصافحتهم ، ولم يتأهل في عمره .
ومات بقسطنطينية في سنة ثمانين وتسع مئة . ودفن بحضرة الشيخ ابو الوفا
رحمه الله تعالى .

(١) هذه الترجمة شاقطة من ص ، أضفناها من ه ، ب

٥٨

الشيخ ابو بكر المغربي

هو الشيخ أبو بكر بن مسعود المغربي المالكي .
أخبرني من لفظه بدمشق في منزلي بها سنة إحدى وعشرين بعد الألف
أن مولده بمدينة (٧٦٦) مراکش . ونشأ بها وحفظ بها القرآن . قال
لي إن شهرته بمراكش ببيت الوردى .
ورد إلى دمشق من مصر أولاً في سنة ثلاث وتسعين ، ثم رجع إلى
مصر ، وأقام بها إلى سنة ثلاث بعد الألف ، ثم ورد إلى دمشق ، وألقى
بها عصا الترحال ودرس بها في المدرسة الشراييشية لأنها مشروطة للمالكية .
وأخبرني أن مولده في سنة أربع وستين تقريباً .
قال : وفي تلك السنة توفي مولاي محمد الشيخ الشريف الحسيني سلطان
افريقية ومراكش وفاس والسوس الأقصى .
وأخبرني أنه قرأ على الشيخ حسن الطناني في الأصول ، وهو الآن
مفتي المالكية بدمشق المحروسة .
قال : ومعظم قراءته على الشيخ سالم السنهوري المالكي المتحدث
مفتي المالكية .
وفي هذا التاريخ ، وهو سنة إحدى وعشرين بعد الألف ، جلس في
الغزالية بجامع بني أمية ، ويفتي بها ويدرس . وقد تزوج بها وتاهل ،
وعليه في مذهب الامام مالك المعول .

الشيخ أبو بكر الصهيويني

هو المنفرد بعلم النجوم في زمانه ، الحائزُ قصب السبق في ذلك بين أقرانه .

أصلُ والده من صهيون . وكان من آحاد الناس . فنشأ ولده هذا ذكياً فاضلاً عالماً كاملاً . قرأ على علماء عصره . ودرس في غالب العلوم على فضلاء مصره ، لكن تميّز على الجميع في علوم الأفلاك ، وكان له في ذلك غاية الإدراك ، ومن جملة مشايخه شهابُ الدين أحمد الطيبي الكبير المتقدم ذكره في ترجمته من جهة المشط الذي طلبه منه فأرجع إليه . وكان غالباً مقيّداً في أحواله بأحكام النجوم ولذلك نسبه بعض أهل عصره إلى قلة التحفظ والتقيد بالشرائع . والله أعلم بحقيقة حاله .

وفي أواخر عمره سافر إلى باب السلطان بقسطنطينية بطلب من صاحب الرصد تقيّ الدين بن معروف الذي رام أن يبني الرصد بقسطنطينية في زمن سلطنة المرحوم السلطان مراد بن سليم العثماني ثم عدل عنه لأمرٍ بطولُ شرحها . طلبه ليساعده على بعض ما يحتاج إليه الرصدُ (٧٦ ب) من مسائل النجوم لشدة مهارته في ذلك . ولما بطل عمل الرصد أخذ تدريس الناصرية البرنانية بصاحبة دمشق . ورجع الى دمشق فما تصرف في التدريس المذكور ، لأنّ صاحبه كان الشيخ أسد الدين التبريزي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وكان الشيخُ من العلماء الذين يرجع اليهم الطلبةُ في تحقيق العلوم . ونال في آخر عمره بعض ثروةٍ من بعض الحكام الذين لهم اعتناء بالنظر

في أحكام النجوم . ولما أثرى قال لصاحبه الشيخ محمد الشفري الكتبي :
سبعان الله ، قرب الرحيل من الدنيا لأنها أقبَلتْ ، ومن عادتْ أتبَّها
إذا أقبَلتْ ، أدبِرَتْ . وكان كذلك فإنه ما أطال بعدها . ولما مات
رثاه صاحبنا الأديبُ العناباتي السابق ذكره بقصيدةٍ داليةٍ حسنةٍ . وأشار
فيها الى مهارته في علم النجوم وهي قوله :

عزَّ البقاءَ لغيرِ الواحدِ الصِّمدِ وما سواه فمدفوعٌ إلى أمدِ
فأعجبَ لمنْ عيشُه ظنُّ وموتُه حتمٌ وتلقاه كالمسرورِ بالنكدِ
مازلتُ في كمدٍ من حينٍ مرَّ على سمى بأنْ خلقَ الإنسانُ في كبدِ
دنيا وإن لم تكن مثلَ البعوضةِ في التـ حفيرٍ يُدمي قذاها مُهجةَ الأسدِ
والناسُ في هذه الدنيا مآربهم شتى وهم من سبيلِ الموتِ في جدِ
فعدَّ من آدمٍ كم باد من عددٍ لم تُغنهم كثرةُ الأموالِ والعُدِّ
سقى المنون لبيدا كأسَ أربدٍ وأنـ تضى للقمان ما أمضاه في لبِ
مادار تخليدٍ هذي الدار في خلدِي سلْ دارَ ميةٍ بالعلياء فالسندِ
وكم قصورٍ عوالٍ لا قصورَ بها أقوتُ وطال عليها سالفُ الأمدِ
ماردٌ عن ماردٍ كفَّ الردي غمدِ بل ردَّ غمدانِ سيفٍ منه في غمدِ
ياراصدَ النجمِ يرجو سعدها ويخا ف النحسَ منها وعينُ الموتِ بالرصدِ
لابدٌ أن يعمسَ المقدارُ مديته في لبةِ الجدِّي أو في جبهةِ الأسدِ
تخون كفتُ ثريَّها خواتمها وتسلم العقيد جوزاها إلى الهددِ

ويجمع القمران النيران فلا مساء ليلٍ مضى يأتي بصُبحٍ غدٍ (٧٧)
لهفي عليك أبا بكرٍ إذا احتجب الهلال للصوم واحتاجوا إلى العدد
لهفي عليك لتقوم بوعت به فاحتاج بعدك للتقوم من أود
قد كنت قت بعلم النجم منفرداً بطالع فيه بالإسعاد منفرد
تبيك بالنوء أحداق النجوم فلا مريخ عين قد احمرت من الرمد
فكلها لك طرفٌ جدٌ منسكب وكلها لك قلبٌ جدٌ متقد
لو كان للشمس حكم في تصرفها غابت وبعدك لم تطلع على أحد
وكان خاطري يعتقد أولاً أن الشيخ أبا بكر المذکور لا يحسن من العلوم
إلا ما يتعلق بالنجوم ، باعتبار ما هو مشهور بين الناس . حتى اجتمعت
به في مكان الطائفة المعروفة بالمولوية بدمشق^(١) ، وطال به المجلس ،
حتى تجاذبنا معه كثيراً من أهداب العلوم في فنون شتى . وكان يتكلم
فيها بكلام حسنٍ محررٍ مُهذبٍ . فعلتُ أنه من الذين حققوا
مشكلات المسائل ، وحرروا معضلات الدلائل ، غير أن شهرته بالنجوم
قد غلبت على بقية العلوم . وكان الغالب عليه الرياضة والتقل من
المعيشة . ومات ولم يُعقب ، بل أظن أنه مات زوج . وكانت وفاته
في سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة من الهجرة النبوية على مهاجرها الصلاة
والسلام ، وعلى آله واصحابه الكرام .

(١) هو التكية الولوية في شارع النصر اليوم مقابل المحطة الحجازية . بنيت سنة ٩٩٣ هـ .

انظر : الباشات والقضاة لابن جمعة . (سنة ٩٩٣)

٦٠

الشيخ أبو بكر الذبّاح
الحنبليُّ الصالحِيُّ الدمشقيُّ

هو الشيخ الذي ثبت صلاحه ، وتقرّر فلاحه ، وحسّنت أحواله ،
وصدقت أقواله . كان على أسلوب المتقدمين في سلوكه ، لم يزل من
الدهر الى ملوكه ، بل الى فقيره وضعيفه وصلوكه . اجتمعت به في صالحية
دمشق في حدود سنة خمس وسبعين وتسع مئة . وكان ابتداءً الاجتماع
به في المدرسة العمريّة (١) ، لأنه كان إمامها ، وكانت له حجرة بها .
وكان يأتي اليها من بيته في الثلث الأخير من الليل ، فيشعلُ سراجَه
من قنديل المدرسة . ويستفتحُ في قراءة القرآن العظيم الى وقت الصلاة .
فيقومُ ويصلّي بالناس . ثم يرجع الى حجرتِه ويشغلُ بالأوراد الى طلوع
الشمس ، فبعد ارتفاعها يصلّي الضحى ثم يسير الى المدرسة دار الحديث
بالصالحية أيضاً ، فيدرّس بها فقه الإمام أحمد رضي الله عنه ، وغير
ذلك من نحو حديث ونحو .

قرأتُ عليه بالمدرسة المذكورة « الأذكار » للإمام النووي ، رضي
الله عنه ، وانتفعت بعلمه ودعائه .
وكان كثير التفنّن فيما يتعلق بأمر الدنيا بحيث أنه كان يسألُ
غالب تلاميذه كل يوم عن أسماءهم ، ومن أي بلد هم .
وأظنُّ بل أتحمقُّ أنّه كان صاحب درجة كبيرة من الولاية . شهدتُ

(١) انظر التميمي ٢ : ١٠٠ ، وهي من مدارس الحنابلة .

له كرامة وهي أنه كان يترك السراج مملوءاً بالزيت في حجرته العريضة كما ذكرنا ليمتلأ القرآن عند قدومه آخر الليل . وكان الفأر يأكل الزيت والفتيلة ، وكان الشيخ رضي الله عنه يُظهِرُ التَّأَلُّمَ لذلك . فقال لي يوماً : أنا أنذرت الفئران . فإن استمرّوا على الفساد قتلتمهم . فبعد أيام دخل الحجر فوجد بها أكثر من عشرة من الفئران قد ماتت . فقال : سبحان الله أنذرتها فأبّت إلاّ الفساد ، فأهلكها الله تعالى بفسادها . ولقد رأيت الفئران وأصحابها يُخرجونها ويُلقونها واحداً بعد واحد .

وكان وكيه^(١) في مصالح دنياه الشيخ أبو بكر بن زيتون ، وكان يأكل من ماله كثيراً ، وكان يدعو عليه ، لذلك ترى ابن زيتون المذكور مذموم السيرة عند غالب الناس بعد أن كان صاحب حالٍ حسنة . نعوذ بالله تعالى من الضلال بعد الهداية ، ومن الحسرة بعد العناية .

وكتب الشيخ أبو بكر كثيراً من نسخ الفتوحات المكيّة للشيخ محيي الدين بن عربي ، وكتب غير ذلك كثيراً . وكانت معرفته بالعلم الروحاني مقطوعاً بها من غير شبهة ، وقفت له على مجموعٍ بخطه فيه نفائسُ الفوائد ، وكتب في آخره : كتبه أبو بكر بن إبراهيم الحكيم الذبّاح الحنبلي .

ومن جملة ما كتب فيه من الفوائد ما نصه :

قال ابن خلكان : وبما جُرّب لدفع النوازل :

كُنْ عَنْ هُمُوكَ مَعْرُضاً وَكُلِ الْأُمُورَ إِلَى الْقَضَا (٢٧٨)
وَإِبْرَهِ بِحَيْرٍ عَاجِلٍ تَفْسِيْ بِهَ مَا قَدْ مَضَى
فَلَرَبِّ أَمْرٍ مُّسَخِّطٍ لَكَ فِي عَوَاقِبِهِ رِضَا

ومن جملة ما رأيتُ فيه من الفوائد أيضاً ما صورته :
بسم الله الرحمن الرحيم ، سئل الشيخ الامام علامة الأنام مجد الدين
الفيروزابادي ، صاحب القاموس رحمه الله تعالى عما صورته :

ما قولُ السادة العلماءِ شدَّ الله بهم أزرَ الدين ، ولمَّ بهم شعثُ
المسلمين ، في الشيخ محيي الدين ابن عربي وفي كتبه المنسوبة اليه ،
« كالمفتوحاتِ » و « الفصوصِ » هل تحلُّ قراءتها وإقراؤها ، وهل هي
من الكتبِ المسبوغة المقرَّوة أم لا ؟ أفقونا مأجورين جواباً شافياً
لتعوزوا جزيلَ الثواب من الله الكريم الوهاب .

فأجاب بما صورته :

اللهم أنطقنا بما فيه رضاك . الذي اعتقدُه في حال المسئول عنه وأدينُ
الله تعالى به أنه كان شيخ الطريقة حالاً وعلماً . وإمامَ التحقيق حقيقةً
ورسماً . ومحيي رسوم المعارف فعلاً واسماً . اذا تغلغل فكرُ المرء في
طرفٍ من مجده غرقت فيه خواطره فهو عباب لا تكدره الدلاء ، وسحاب
تتقاصر عنه الأنواء ، كانت دعواته تحرق السبع الطباقي ، وتفتوق بركاته
فتملاً الآفاق . وأني أصفه وهو يقيناً فوق ما وصفته ، وناطقٌ بما كتبتُه ،
وغالب ظني أنني ما أنصفتُه كما قيل :

وما عليّ اذا ما قلتُ معتقدي دع الجهولِ بظنِّ الجهلِ عدوانا
واللهِ واللهِ العظيمِ ومن أقامه حجةً لله برهانا
إنّ الذي قلتُ بعضُ من مناقبه ما زدتُ الا لعملي زدتُ نقصانا^(١)
وأما كتبه ومصنفاته فالبحارُ الزواجرُ ، التي جواهرها لكثرتها

(١) نقل صورة هذا السؤال القلبي في نفع الطيب في ترجمته لابن عربي .

لا يعرف لها أولٌ ولا آخر . وما وضع الواضعون مثلها ، وأنما خص الله تعالى بمعرفة قدرها أهلها . فمن خواص كتبه أنه (٧٨ ب) من لازم على مطالعتها والنظر فيها انشرح صدره لحلّ المشكلات وفكّ العضلات والحمد لله وحده .

وفيه فوائد عظيمة ، وخيرات عميمة . أعرضنا عن استقصائها خوف الاطالة ، وخشية الملالة .

واستمر على ما ذكرناه من الإفادة والعبادة إلى ان توفاه الله تعالى .

٦١

الشيخ أبو بكر الجوهري

صاحبنا الشيخ أبو بكر تقي الدين الجوهري ، المتقدم ذكر أبيه
الشيخ أحمد الجوهري في حرف الهمزة .

هو أبو بكر بن أحمد بن علاء الدين بن محمد بن محمد بن عمر بن ناصر
الدين بن عمر بن علي بن ناصر الدين بن منلا علي البهرام آبادي نسبة إلى
قرية من قرى أصفهان (١) وجدّهم منلا علي رجلٌ جليلٌ القدر كان في
بداية أمره صدرّاً عند أعداء ملوك العجم والصدور عبارة عن قاضي العسكر .
ثم إنه رمى المنصب المذكور وانقطع إلى الله تعالى مشتغلاً بالعبادة في
زاويته ببهرام آباد إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى .

وأول من ورد من هؤلاء الجماعة إلى دمشق منلا محمد الشهير
بشيخ زاده . وكان قدومه إلى الشام في سنة أربع وثمانين وسبع مئة .
وكان قد صحب معه جواهر ومعادن ، فمن ثمّ اشتهر البيت كلّهُ ببيت
الجوهري . وفي دمشق محلة بالقرب من البيمارستان النوري تسمّى حارة
حجر الذهب (٢) ، فعمر بها بيوتاً كثيرة ، وبعضها مقيم إلى الآن
في يد أولادهم .

ولم يزالوا يقناسلون إلى أن وصلوا إلى الشيخ أحمد الجوهري وألده
صاحب هذه الترجمة المذكورة في حرف الهمزة .

وأُمّه بنت المولى بدر الدين بن حسام الدين التبوزي الجوهري .

(١) لم يذكر ياقوت هذه القرية .

(٢) انظر مخطوط دمشق القديمة لنا .

| وكان بدر الدين هذا من أفاضل الناس . وكانت له معرفة بصناعة القهاري اللطيفة ، حتى إن القهاري الثالث التي هي فوق محراب الجامع الأموي من صناعته . وكان له (٧٩٧ آ) حظٌ عظيم^(١) . ولما ورد المولى عبد الرحمن الجامي الى الحج أنزله الملا بدر الدين المذكور في بيته بدمشق وأقام عنده أياماً .

وأما صاحب هذه الترجمة الشيخ أبو بكر المذكور فإنه طلب العلم في بداية أمره [بها]^(٢) . ونشأ في وصاية عمه الشيخ محمد الجوهري ، لأن والده مات وهو صغير . وله إخوة سيأتي ذكر بعضهم إن شاء الله تعالى . وكان قد قرأ عليّ وتخرج لديّ ، وكانت قراءته في « شرح الشذور » لابن هشام ، وتردد الى مصر كثيراً وقرأ على علمائها ، وحضر دروسهم . وهو الآن يتعاطى بعض المتاجر بإرسال بعض البضائع الى أخيه الشيخ حسن بصر ، ويُلَازِم حضور دروسنا ، وله الذكاء الكامل ، والكرم الشامل .

وله نظم كثير ، وإنشاء ماله نظير . فمن نظمه هذه الأبيات يُناظر بها قصيدة الملك الأجد بهرام شاه الأيوبي . ومطلع قصيدة الملك قوله :

عهدُ الصِّبَا ومعهْدُ الأَحْبَابِ ددستُ كما ددستُ رقومُ كتابِ

وأبياته قوله :

أَمِنَ النَّوَى أَمْ فِرْقَةُ الأَحْبَابِ هَطَلَتْ دَمُوعُكَ مِثْلَ هَطْلِ سَحَابِ

أَمْ مِنْ زَمَانٍ جَارٍ فِي أَحْكَامِهِ حَتَّى اسْتَطَالَ عَلَى ذَوِي الأَحْسَابِ

أَمْ مِنْ تَذَكُّرِ مَعَهْدِ الأَحْبَابِ أَمْ مِنْ ذِكْرِ خِلَانٍ بِهِ وَصِحَابِ

(١) ما بين الخطين الناعين سائط من •

(٢) الزيادة من •

أَفْصَحَ فَشَجَوُكُ قَدْ أثارَ بِلَابِلِي
وَأَعَادَ فِي ذِكْرِي النِّقَا مَعَ جِيرَةِ
عَفَّتْ رَسُومٌ طَلُولُهُمْ وَتَقَوَّضَتْ
وَمَحَتْ رِيَاحُ الْبَيْنِ أَرْبُعُهُمْ كَمَا
وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى الرَّبِوعِ مَسَائِلًا
عَنْ جِيرَةِ كَانُوا بِهَا فَأَجَابَنِي
سَفَهًا رَجُوتُ بَأَنَّ أَرْدَ لِيَالِيَا
فَأَسَأْتُ (١) دَمْعَ الْعَيْنِ مِنْ آمَاقِهَا
وَذَكَرْتُ أَيَّامَ الشَّبَابِ وَمَلْعِي
وَمَقَامِنَا بِالْأَجْرَعَيْنِ وَبِالنِّقَا
فَأَجَابَ نَطَقُ الْحَالِ عَنْهُمْ مُعْرَبًا
تَبْعِي دَنُوَ الدَّارِ بَعْدَ بَعَادِهَا
وَلَهُ مِنْ أَيْبَاتِ فِيهَا تَفْرِيعُ :
وَمَا أُمَّ أَفْرَاخٍ تَمَزَّقْنَ بِالْفَلَا
وَقَدْ مُنَعْتَ مِنْ أَنْ تَرَاهُنَّ وَاغْتَدْتِ
بِأَوْجَعِ مَنِّي عَدُوِّ وَشَكِّ رَحِيلِنَا

ورمى الفؤاد بسهمه الصياب
كانوا نهاية مقصدي وطلابي
تلك القبابُ ولات حين قباب
مُحِيتُ سَطُورٌ مِنْ طُرُوسِ كِتَابِ
يَوْمًا وَلَمْ تَسْمَخْ بِرَدِّ جَوَابِ
هَامِ يِنَاغِينَا عِقَابِ غَرَابِ
سَلَفَتْ لَنَا أَيَّامَ عَصْرِ شَبَابِي
فَجَرَى كَوْدَقِ الْعَارِضِ السَّكَّابِ
بَيْنَ الْقِبَابِ وَجَمْعِ الْأَتْرَابِ (١٧٩ ب)
مَثَوَى الْحَبَائِبِ زَيْنَبِ وَرَبَابِ
وَالْعَمْرُ قَدْ وُلِيَ بِحِثِّ رِكَابِ
هَيْبَاتِ أَنْ يَرْتَدَّ بَعْدَ ذَهَابِ
بَسْطُورَةَ نَسْرِ كَاسِرٍ بِالْمَخَالِبِ
تَسْوَحُ وَتَشْكُومِنْ صُرُوفِ النُّوَابِ
وَحِثُّ الْمَطَايَا فِي الْفَلَا بِالْحَبَابِ

(١) هـ « فأسأت » ، ص « فأرسلت » .

وكتب اليّ هذه الايات يسألني فيها المسير الى بستان كان
معهوداً لسيرنا :

أمولاي هل من عودة جلوسنا
ومن فوقنا صدح الحمام مفرداً
على روضة غناه كلّمها العالُّ
على أثلاث طال من تحتها الظلُّ
وقد سال ما بين الرياض جداولُ
كدمع محبّ حين فارقه الخلُّ
نبثُ شكايات الغرام بنشأة
تفوق غرام الغابرين وإن جَلّوا
فدُم سيدي في عزة بعد عزة
ولا زال منهالاً بأوطانك الوبرُ

وقد أحبته مراعيّاً للوزن والقافية بقولي :

لأمرك قد لبيت يا من له الفضلُ
وأهلاً بما قد رمت يا من هو الأهلُ
يميناً لقد شوقتي نحو روضة
لدمعي على حافات أغصانها وبلُ
ومالت بها الأغصان تحكي معاطفاً
لمن وصله سعدٌ ومن هجره قتلُ
يميل على ضعف الحبّ قوامه
بلين اعتدال ماله أبدأ عدلُ
يخطبني أهلاً وسهلاً لدى اللقا
وما وصله والقرب من حبه سهلُ
أناجيك في تلك الرياض عن الهوى
وتسكب دمعاً طله أبدأ هطلُ
وأبدي الذي في خاطري من صباية
لقلبي بها عن كل اشغاله شغلُ
ولولم تكن خلمي لما كنت شاكياً
غرامي ولكن كل صب له خلُّ
لديك من الحب الذي في جوانحي
أفانين حب مالها أبدأ فقلُ
فمني ومنك اليوم بث شكاية
لها لمب في وسطاً حشائنا تغلو (.)

فقل لي بحق الله ماذا جنيتُهُ وهقد وفائي ماله أبدأ حلُّ
يعاقبني والذنبُ في الحبِّ ذنبُهُ نعم أنا ذو ذنبٍ وأنتَ لك الفضلُ
فإيه أبا بكرٍ سليلَ أُمّاجِدٍ ومنَ لفظُهُ درٌّ وأفضاله سَجَلُ
بحقِّكَ قلُّ لي ما الذي قد صنعتُهُ إلى أن مضى وصلُّ وأعقبه فصلُّ
وما كان مني ما حييتُ سوى الوفا ويعلم ما قد قلتُهُ الحكمُ العدلُ
تجددَ منه الجورُ والهجرُ والجفا وودّي قديمٌ ما علا قبله قبلُ
فدُمُّ هكذا ترقى إلى غير غايةٍ وقولك بالإحسان يسبقه الفعلُ
وبالجملة فهو من محاسن أبناءِ الناسِ ، ومصاحبتُهُ تُذهب الوحشة
وتجلبُ الإيناس . وكتب الكثير بخطه . وحفظ وروى ، وهو الآن
منابرٌ على تحصيل الفضائل ، ومعدودٌ بين الأماثل ، من جملة الأفاضل .
وكان قد حصل من المال كثيراً ، واستفاد نَسَباً غزيراً . فصدمه
الزمانُ على عادته من أبناء الكرام ، ولم يُظهر نَأْسْتَقاً على المال الذي
مال . والحمد لله على كل حال .

ولد في غرّة شهر ربيع الأول من سنة تسع مئة وثمان وستين . انتهى .

٦٢

الشيخ أبو بكر العمري العطار الأديب
الدمشقي الشافعي

هو من نبغ في دوحة الأدب ، وبلغ من ذلك غاية الأرب ، غير أنه الآن ليس له زبي الأفاضل ، ولا يختلط بزمرة الأماثل ، لكونه مباشراً لصناعة سوقية ، يحصل منها معيشته الدنيوية ، وهو ابن الشيخ منصور العمري ، لأنه منسوب إلى عمر العقيبي الذي ورد إلى دمشق خليفة من جهة الشيخ علوان الحموي . وكان الشيخ عمر أمياً ، غير أنه كان ماهراً في الكلام على الخواطر على قاعدتهم . ووالد الشيخ أبي بكر المذكور مريد الشيخ عمر المذكور . فلذلك يُقال له ولأولاده العمري . والشيخ أبو بكر نشأته غريبة ، له من الفطنة والذكاء ما لا يُحيط به الوصف أبداً . غير أنه أخرج نفسه من طريق العلم واشتغل بطريق الصنائع وتحصيل المعيشة في السوق . (٨٠ ب) ولو داوم على تحصيل العلوم واستمر على طريقة العلماء حاز رتبة عالية ، ورتبة منزلة سامية .

له من الشعر محاسن ، لها في القلوب أماكن . وينظم في الزجل وفي الموال أمراً عجباً ، ونظماً غريباً . بحيث أنه متقدم في النظم على أمثاله ، وصابق على أشباهه وأشكاله . كتب في أواخر سنة سبع بعد الألف قصيدة فريدة وعرضها علي فاستحسنها وطلبت منه أن يكتبها وهي قوله :

لو تم لي في الحب سعي يا غصن ما أخلفت وعدي
لكن مقادير القضا كأنها حكمت بي عدي

أَوْ حَظًّا كُلِّ مَتِيْمٍ مِنْ عَكْسِهِ يُرْمَى بِطَرْدِ
يَاغَاثِبًا فِي الْقَابِ مِنْ نِيرَانِ فَقْدِكَ أَيَّ وَقْدِ
مَا كُنْتَ أُدْرِى قَبْلَ بَعْدِكَ أَنْ سَهْمَ جَفَاكَ يُرْدِي
صَدِيتَ لِرُوَيْتِكَ الْعِيُونَ نَ عِلَامَ تَرْوِيهَا بَصَدِّ
يَاسِيْدِي إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَقُلْ أَخْطَأْتَ عِبْدِي
[مَا خُنْتُ عَهْدَكَ فِي الْمَحَبَّةِ كَيْفَ حَتَّى خُنْتُ عَهْدِي
كَلَا وَلَا أَفْشَيْتُ سِرَّ هَوَاكَ وَالْأَسْرَارُ عِنْدِي
وَلَعِي بِجَبِّكَ لَمْ يَزَلْ وَلَعِي وَوَجَدِي فَيْكَ وَجَدِي] ^(١)
أَرْضِي بَأَنْ أَفْنَى وَتَبَّ— قَى أَنْتَ يَا مَوْلَايَ بِمَدِي
أَخْفَيْتُ حَبِيْبَكَ فِي الْقَوَا دِ فَخَطَّهٗ دَمْعِي بِخَدِّي
وَعَدَا عَلَى جَسْمِي النَّحْوُ لُ فَعَادَ لِلْأَسْقَامِ بِعَدِي
مَحْنُ الْهَوَى جُمْتُ عَلَيَّ فَلَسْتُ أَحْصَرَهَا بِعَدِّ
فَالسَّقَمُ يَشْهَدُ وَالدَّمُوعُ بِوَحْدَتِي فِي الْعَشَقِ وَحَدِي
يَا بَدْرُ سَلِّ عَنِّي السُّهْبَا إِنْ السُّهْبَا أُدْرِى بِسَهْدِي
وَابْعَثْ رَسُوْلَ الطَّيْفِ بِسَمْعِ مَا أَعِيدُ لَهُ وَأَبْدِي
أَهَا عَلَى زَمَنِ مَضَى لَوْ كَانَ قَوْلِي آهَ بِخَدِّي

أيام وصلٍ منك لم تقطع ولم توصل بردٌ
والشملُ يجمعنا على حبٍ يودُّ بصدقٍ وُدِّي
وأضْمُ منكَ معافئاً بردت جوى وجدي ببردي
وقمىل اذ تهوي الى نحوي وجيدك فوق زندي
وتقولُ عجباً هل يُرى مثلي وأهلُ الحسنِ جندي
والشمسُ والبدرُ المنيرُ سناه جاريتي وعبيدي
والعصنُ يقصفُ قداه إن قاس قامته بقدي
ومنحتني منك الوصال تبرعاً وهجرت صدي
فجعلتُ وجهك حضرتي وحديثَ راحِ لملكٍ وردي
وعلمتُ لما بان رو ضُ الوجدانُ الحدَّ وردي
وشهدتُ لما ذقت طعمَ الريق أنَّ الثغرَ شهدي
والفرقُ يشرقُ صبحه في ليلِ شعرٍ^(١) منه جعدٍ
قاطعتُ فيك صباي (٢٨١) وعصيتُ لوامي وزهدي
وقضيتُ أوطاري وقد غفل الرقيب فنلتُ قصدي
والحصرُ أتهمي بأنِّي بثُّ في أكنافِ نجد
والردفُ زاد وقد تكفَّل منه منه برفدي

أحسن بتلك ليالياً قد أشرفت ببدور سعدي
فسقى معاهد للصبا صوب العهاد بكل عهد
وسرت بها روح الصبا سحراً فأحيت ميت بعد
وكان الشيخ أبو بكر المذكور قد حضر معنا جمعاً في الشرف
الأعلى بدمشق في أوائل المحرم من سنة تسع بعد الألف ، وفي ذلك
الجمع رجل عواد يقال له سالم . وكان معه عبد له يقال له سرور يضرب
بالدف . فقال في ذلك :

حضرنا مجلساً قد راق حسناً مع القوم الكرام أولي الكرامه
سرور جاءنا منه سرورٌ وأذهب سالمٌ عنا الملامه
فيا لله ما أغنى وأهني إذا وافى السرور مع السلامه
وكتب اليّ في ذلك الجمع بعينه لغزاً في لفظه سرور فقال مرتجلاً :
ياروضة الفضل التي ثمارها مازلت منها كل حين اجتني
ما اسم يغيب الحزن في حضوره تصحيفه وقلبه زورتني
فأجبتُه أسرع من لمح البصر كما يعلم الله تعالى بقولي مرتجلاً :
سرورنا منتظم في نظمكم ياروضة مازلت منها اجتني
فما أردت فهو في زورتني ترى سروراً مُذهباً للحزن
فابلغ مناظ النجم نوراً وعلياً ودمٌ كما تختارُني عيش هني

وحاصل الأمر أن الشيخ أبا بكر المذكور قد سدد فضله . وحجب
نبه . لعدم دخوله في سلك أرباب الكمال ، ولتلبسه بلباس أرباب
الصنائع الجهّال . وهو الآن مقيم على صناعته ، ملازم على اكتساب رزقه
من حرفته . وفقه الله للخيرات . وهدها الى طريق البركات . آمين آمين .

الشيخ أبو بكر السقاف

سيدي الشيخ أبو بكر بن سالم بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف
الحضرموتي الشافعي .

السيد الحبيب النسيب الحسيني الشيخ (٨١ ب) الصالح الولي
العارف . كان من مشاهير الأولياء ومن محاسن الدنيا . وكان أولاً
قاطناً بقرية من قرى حضرموت يقال لها تَوَيْم^(١) ، ثم انتقل منها الى
قرية يقال لها عينات^(٢) . وبين هذه القرية وقرية الأولى نحو فرسخين .

ينتمي نسبه الى أحمد بن عيسى بن جعفر الصادق رضي الله عنهم . وكان
رحمه الله صاحب كرامات ومعارف غزيرات .

توفي تقريباً في سنة خمس وتسعين وتسع مئة على ما أخبرني بذلك كله الشيخ
الصالح الشيخ أحمد بن مظفر البلخي . وُذكر لي عنه كرامات كثيرة شهيرة .
منها أن رجالاً ثلاثة جاؤا إلى زيارته وكانوا من صلحاء الناس . فلما وصلوا
الى حضرة نادى واحداً منهم ورفع عمامته عن رأسه وخط بأصبعه المسبحة
من ابتداء مفروق رأسه الى حدود عنقه من خلفه ، وجعل يكثر من ذلك الخط
مرات ، فما رَفَعَ أصبعه الشريف إلا وقد صار ذلك الخط شعراً أبيض
وخطاً على مقدار أصبعه ، وعبقت من رأسه رائحة العنبر الحام الأستهب .
ونادى الثاني وحمل له إبريقه وسقاه منه ماء رويّاً . ونادى الثالث وقال له :

(١) بفتح التاء وكسر الراء . اسم قبيلة سميت القرية بها . انظر معجم البلدان .

(٢) لم يذكرها ياقوت .

انظر من الباب . فنظر فإذا رجلٌ كهل واقفٌ على الباب لمح بالباب وغاب عن بصره .

فسأل الحاضرون عن السرِّ في هذا الفعل . فقال الشيخ أبو بكر :
اسألوهم عن الذي خطر في بالهم عند دخولهم الى ابتداء وادي حزموت .
فقال الأول : أما أنا فطلبتُ من حضرة الشيخ أن يعطيني رائحة
عطرية لاتزول مني مادمتُ حيًّا .

وأما الثاني فقال : انا طلبتُ من باطن الشيخ أن يسقيني ماء من
إبريقه الذي يشرب هو منه .

وأما الثالثُ فقال : أنا طلبتُ من باطن الشيخ ومن الله أن يريني
الحضر عليه الصلاة والسلام . فكشف رضي عنه خواطر الثلاثة المذكورين
وأعطني كلاً أمنيته .

انتهى ما حكاه لي الشيخ أحمد بن مظفر سلمه الله تعالى ورضي عنهم
أجمعين . (٨٢ آ)

الشيخ أبو بكر العبادي

الشيخ أبو بكر الكردي العبادي قدم من بلاده إلى دمشق صغيراً ، فجاوَرَ في المدرسة الكلاسيّة في جانب الجامع الأموي ، وسلك طريق الصّلاح ، وركب مركب الفلاح بحيث أنه ما اتّهمَ فيما أعلم بكبيرةٍ ولا صغيرةٍ ، ولا رأيتُ في الغالب في الوازدين الى دمشق نظيره ، لكنّه كان في مبدأ أمره في غاية الفقر حتى إنّه كان يسقي الماء في دمشق للناس عند اجتماعهم في المسجد للصلاة .

وخدم صاحبنا الشيخ أحمد الكردي العبادي المتقدّم ذكره في الأحمدين ، وقرأ عليه وتخرّج به . ولم يزل ملازماً للقراءة على الشيخ أحمد المذكور وعلى مولانا الشيخ أحمد العيشاوي المتقدّم (١) ذكره ، حتى حصل من الفقه طرفاً صالحاً ، فلازم على إفادة الفقه للطلبة المبتدئين في تعلم علوم الشرائع ، حتى إنّه صار له ذكرٌ بين بعض الحواص ، وعند غالب العوام . وروع في طلب الفقه . وكتب بخطّه الكثير . وكان قد قرأ على الكثير . فمن ذلك أنّه قرأ « متعّن العزّي » في علم التصريف . بعد أن قرأ من علم النحو حصّةً شهيرةً لاحتّاج الى تعريف . ولما ختم قراءة العزّي على الفقير الداعي شرع في قراءة « شرحه » للامام المحقّق السعد التفتازاني . فأتمّ قراءته على . وحقق إفادته بين يدي . وصار مُدَرِّساً في بقعةٍ بالجامع الأموي على عادة المدرّسين في البقاع . وتزوّج في دمشق ، فصار له ولدٌ ذكر . وعاد من

(١) ه ، ب « السابق ذكره » .

أعيان الطلبة الفضلاء ، ومن مشاهير الفرقة النبلاء . غير أن الشيخ أحمد الكردي العمادي الذي ذكرنا أنه كان يخدمه ويقراً عليه قد تغير خاطره عليه ومقته في آخر أمره عند انقضاء عمره ، وهذه سنة في المشايخ إذا غضبوا على الطلبة فإن ذلك والعياذ بالله تعالى سبب لفوات ما أرادوا أحدهم وطلبته .

وحاصل الأمر أنه كان من صالحى أهل العلم ، ومن جمع بين العلم والحلم . وكان يباليغ في النقش في الغاية . ويظهر أسباب الورع إلى النهاية ، بحيث أنه كان يُتهم بالرياء رحمه الله [وأنه يُظهر ما قلبه بإباه . والله تعالى أعلم بحقيقة حاله ، في جميع أحواله ، وكانت وفاته تقريباً في سنة ^(١) بعد الألف ، من هجرة خير الأنام عليه من الله الصلاة والسلام ، وعلى آله وأصحابه الكرام] ^(٢) .

(١) يباض في ه ، ب مقدار كلمتين .

(٢) الزيادة من ه ، ب .

[أبو بكر المقدسي]^(١)

[مولانا شيخ الاسلام ، افتخار فضلاء الأنام الشيخ أبو بكر المقدسي الشافعي ابن أبي اللطف الحصكفي الأصل ، المقدسي المولد والمنشأ ، دمشقي الوفاة ، والشيخ أبو بكر المذكور ولد شيخ الاسلام الشيخ محمد شمس الدين ابن أبي اللطف ، والشيخ شمس الدين هو تلميذ الكمال بن أبي شريف .

قرأ الشيخ ابو بكر المذكور على والده ، وتخرج به غالب إخوته . وسافر الى مصر لطلب الكمال هو وأخوه الشيخ عمر سراج الدين . وكان يُلازم التردد الى دمشق ، وقرأ كثيراً على شيخ الاسلام بدر الدين الغزالي صاحب « التفسير المنظوم » الآتي ذكره في حرف الباء ، عن قريب إن شاء الله تعالى .

وقفتُ على نسخةٍ من « جمع الجوامع » على هامشها في بعض الفصول : بلغ العلامة الشيخ أبو بكر بن أبي اللطف المقدسي قراءة عليّ من أوّله الى هنا . وكتبه محمد الغزالي لطف الله به .

وحاصل الأمر أن الشيخ أبا بكر المذكور من بيت أبي اللطف ، وهو بيتٌ باريك الله فيه وفي نسله ، وأودع العلوم والمعارف لأهله ، لا نجد فيهم سوى فاضل كبير ، أو عالم شهير ليس له نظير ، كأنهم أدركتهم دعوة وليّ كامل ، أو نظّر قطب صالح فاضل .

وكان الشيخ أبو بكر هذا من محاسن فضلاء زمانه ، وبمن أدركه التمييز بين إخوانه . قرأ هو على والده شيخ الاسلام شمس الدين بن أبي اللطف . وللشيخ

(١) أضفنا هذه الترجمة من ه ، ب .

ابو بكر المذكور ولد يُقال له جارُ الله ، وصيأتي ذكره إن شاء الله ، وهو في
يومنا هذا مفتي الحنفية بالقدس الشريف ، ومدرّس المدرسة العثمانية بها .
والشيخ أبو بكر له نظم لبعض مهتمات مسائل الدين . رأيتُ بعضاً منها
بخط شيخ الاسلام الشيخ محمد بن أبي اللطف فمن ذلك في الرخصة المتعلقة بالسفر :

مهمة من غير شك تعتبر في الرخص التي تُسناط بالسفر
يُخصّ منها بالطويل أربعة الفطر للصائم والقصر معه
والمسح للخف من الأحداث حيث جوازه الى ثلاث
وفي الأصحّ الجُمع يُتخصّ كما قد خصص المذكور مما قدّمنا
وأربع تجوز في القصر وفي الطويل فاستمع تصويري
أكل لحوم الميت في كل صفة وترك فرض الجمعة المشرفة
كذا على الرواحل التنقل على الأصحّ وعليه العمل
ثم الى الأصحّ أيضاً يفتمى سقوط فرض الشخص بالتيتم

قال أبو بكر القدسي : نظمتها في لحظة لنفسي ، ثم لإخواني ، وجل مقصدي
أن تنفع النجل السعيد ولدي .

وكان من محاسن أبناء الزمان ، ويمن يتوّبن به الإخوان . وكان
موصوفاً بغاية الصلاح ، ونهاية الفضل والفلاح . وكان يُكثر التردد الى دمشق .
وله مباحث مشهورة بين فضلائها الأعلام . وكان قد عرض مرض أوجب
الحضور الى دمشق لتداويه ، فما أبلّ من ذلك المرض بل مات فيه . فدُفن
بدمشق غربياً ، وحاز من شهادة الأخرى نصيباً . توفي في سنة خمس وستين
وتسع مئة كما في خطّ والده . ودُفن في مقبرة الصغير الى جانب شيخ

الاسلام الشيخ أبي الفضل عم والده ، وذلك بقرب سيدي نصر المقدسي
رضي الله عنه . (٨٢ ب)

ومن نظمه ايضاً على ما في خط والده قوله :

لا خير في غير الكتاب فكُنْ له دون الخلائق صاحباً وصديقاً
ودع الأنام وعد إنك سائر بين الأسود وقد وجدت طريقاً
رحمه الله رحمة واسعة ، وسقاه من سحائب رحمته الهامة .

[الشيخ أبو بكر بن محمد]^(١)

[هو صاحبنا الفاضل ، وخلصنا الكامل ، زارني بمنزلي بدمشق في زقاق النحّاسين نهار الجمعة سنة عشرة وألف . وكتبتُ له يوم الأحد المبارك ثامن المحرم سنة ست عشرة وألف هذه الكلمات معذراً عن وعدٍ سبق لتأخيره الى غد ، وهو يوم الاثنين :

أسعد الله صباح الصباح ، بكل فلاحٍ ونجاح . ولا زال مخصوصاً بكل حماية ،
مرقوماً بعين العناية ، آمين .

المعروض بعد الدعاء المفروض أنه سبق منا بالأمس وعدُّ وثيق لحضرة
الصدوق الصديق ، وهو المولى الحال ، صاحب الحال الحال ، بالذهاب الى محله
بالقنوت ، لوقفه تُعادل كما قيل الوقفة بعرفات . فعَرَضَتِ المقادير ، لهذا
العبد الداعي الفقير ، بالتربُّص في هذا اليوم السعيد ، لأمرٍ يريدُه المولى المجيد .
فإن جاز إنجاز دعوة منكم اليوم من غير تأخير ففي وجودكم الكفاية عن كل
مأمور وأمير . وإن جاز الصبر الى غد ، وهو يوم الاثنين ، فالسير من الفقير
مع الخطير على الرأسِ والعين . من غير إخلالٍ ولا مَين . والمسئول من الله
تعالى أن يطوي شقة الدين ، ويقرب العين من العين ، حامية لحمي الوصال
ماحية نقطة العين] .

(١) ضفنا هذه الترجمة من ٥ ، ٥

٦٧

الشيخ ابراهيم الدمشقي الشهير بابن الطباخ

رحمه الله تعالى

هو رجل نشأ في طلب العلم والمعارف ، واستظل من ذلك بالظل الظليل الوارف . كان والده رجلاً أسمى اللون يُشبهه الجبوش . لكن أخبرني ولده محمد جلبي الكاتب أن أصلهم من بلدة الخليل عليه الصلاة والسلام . ونشأ له أربعة أولاد : إبراهيم ، وأحمد ، ومحمد ، وعبد الغني .

فأما ابراهيم صاحب الترجمة فإنه قد نشأ طالباً للعلم ، لكن على طريق الأروام ، لأنه كان يعرف لسان التركية . فسافر مع بعض القضاة الى مصر وإلى غيرها من المدن الكبيرة . وكانت ملازمته العرفية من مولانا السيد^(١) النقيب الشهير بابن معلول واستمر ابراهيم هذا في ديار الروم إلى أن صار مدرساً بأربعين درهماً عثمانياً في كل يوم في بعض مدارس مدينة بروسة المحروسة .

ولما انفصل عن الأربعين حضر الى وطنه الأصلي وهو دمشق لأجل أن يقطع زمان البرزخ . وهو أن الرجل إذا وصل إلى تدريس الأربعين يُعزل ثمان سنين أو عشر سنين مثلاً بغير منصب ، ثم بعد ذلك يتولى تدريس الخمسين . ولا يزال ينتقل من مدرسة الى مدرسة حتى يتولى قضاء مدينة كبيرة ، مثل حلب والشام ومصر وما أشبهها . فلما حضر ابراهيم افندي الى الشام رآها حجةً قطوفها دانية ، ووجدها من أكابر العلماء خالية . فتوى الإقامة بدمشق ، وعزم على ترك ديار الروم بالكلية . فسعى ، في دولة سنان باشا الوزير^(٢)

(١) اضيفت في ه ، ب

(٢) انظر الباشات والقضاة لابن جمعة ص ١٣ ، ١٤ ، ١٨

بدمشق على شيء من علوفة العلماء بخزينة دمشق . فعصل له في كل يوم ما يقرب من ستين قطعة فضة . ومكث بدمشق ملازماً على العبادة بالجامع الأموي مدةً طويلة لا يبرح منه ، وكان متقيداً بحسب الظاهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فاتفق أنه سمع الشيخ نجم الدين ابن شيخ الاسلام البدر الغزوي صاحب « التفسير المنظوم » وهو يلي تفسير والده المذكور . فأنكر عليه ذلك . وكان ينادي في الجامع الأموي بأعلى صوته : يا معشر المؤمنين ! متى سمعتم بأن كلام الله تعالى يُنظَّمُ من بحر الرجز ويُقرأ (آ ٨٣) على رؤس الاشهاد ، والناس يسمعونه ؟ وكيف نزه الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن الشعر ويأتي رجلٌ من علماء أمته يُدْخِلُ كلامه في الشعر ، وهو الكلام الذي يتنزه^(١) عن مقام الشعر ؟ فانتدب للرد عليه القاضي محب الدين الحموي نزيل دمشق وصنّف رسالةً في الرد عليه . ولما وصلت الرسالة المذكورة إليه شرع في تصنيف رسالة لردّ رسالة القاضي محب الدين . وعرضها عليّ فرأيتها خاليةً من الغلط وشهدت منها أموراً ما كنت أظنّ أنّه يصل إليها . وقال لي الشيخ نجم الدين ولد شيخ الاسلام المذكور إنّ الرسالة المذكورة ليست من تأليف إبراهيم وانما هي من تأليف الشيخ لطفي الضرير الشهير بابن | يونس |^(٢) اليازجي ؛ وذلك لصهايةٍ بينها . وحاصل الأمر أنه كان رجلاً ملازماً على الصلوات في أوقاتها ، وأداء كلِّ عبادةٍ في ميقاتها . ولكن كان لسانه مُفترطاً في حقوق الناس . لكنه ما كان يُظهِر اغتيابه للناس إلاّ في صورة النصيحة . والله تعالى أعلم بحقيقة حاله ، في جميع أحواله .

ولما شاعت الرسالة بين القاضي محب الدين وإبراهيم أفندي صاحب الترجمة

(١) ب « يتنزه » ، ه « يتنزه عنه »

(٢) ساقط من ه

أراد مولانا بحب الدين أن يُظهر للفضلاء رسالته ، وأن يعرض عليهم عبارته ، فجعل ضيافة عظيمة ، مشتملة على خيراتٍ جسيمة ، في بستان الأعجام في الشرف الأعلى بدمشق ، ودعا العلماء إلا قليلاً منهم . وكان الفقير من جملة مَنْ دُعِيَ . فلما حضرنا الى البستان المذكور جلس العلماء صفين متقابلين . ولما استقرّ بنا الجلوسُ دفع اليّ مولانا القاضي بحب الدين رسالته وقال في المأ العام : أريدُ منكم أن تنفضّوا بقراءة هذه الرسالة في حضرة هؤلاء الجماعة جهرة ، حتى يشترك الجميع في استماعها ، فقلتُ له : سمعاً وطاعة . فأخذتها في يدي وشرعتُ في قراءتها كلمةً كلمةً ، من غير استعجال ، بحيث أن الفضلاء الحاضرين في ذلك المجلس على كثرتهم دعوا وحسنوا المؤانف وللقاريء . وكانت الرسالة المذكورة مشتملةً على محاسن من الإنشاء ، وعلى لطائف من الكلام . والقاضي بحب الدين لطيف المحاضرة جميل المذاكرة ، له مسكون في ذاته ووقار في جميع أوقاته .

ونظم صاحبنا الشيخ أبو بكر العطار الآتي^(١) ذكره | في حرف الهزة |^(٢) ارجوزةً في معنى اعتراض الشيخ ابراهيم صاحب الترجمة (٨٣ ب) على نظم الشيخ بدر الدين للتفسير ، وأرسلها الى الجمعية في البستان ، وقرأناها أيضاً . وكانت لا نظير لها في بابها . ومن جملة أبياتها يخاطب ابراهيم صاحب الترجمة ويشيرُ إلى أنه كان طبّاحاً لشهرته بابن الطباخ :

فَعَدَّ عَنْ مِبَاحِثِ التَّفْسِيرِ وَعُدَّ كَمَا قَدْ كُنْتَ الْمُقَدُّورِي^(٣)

وما أحسن قوله للقدوري^(٤) يباء وبدونها . وإذا كان بالياء فهو

(١) « المتقدم ذكره »

(٢) ساقط من هـ

(٣) « الى القدوري »

(٤) « الى القدوري »

إشارة إلى كتاب القدوري في فقه الحنفية يقرأ المتقدمون في المذهب ،
والمذكور حمفي . وما أطف قوله في عدّ وعُدّ .

ولم يزل الشيخ ابراهيم صاحب الترجمة مقيماً بدمشق يعبد الله تعالى
ويعترض على القضاة في أفعالهم المخالفة للشريعة الى أن توفاه الله تعالى في
سنة ست بعد الألف . وكانت وفاته في زمن قضاء مولانا يحيى أفندي^(١)
ابن مولانا زكريا أفندي .

وأخبرني مولانا القاضي تاج الدين ابن يحيى أفندي المذكور قال :
لما مات ابراهيم المذكور خلصنا الآن من الختسب . يُشير الى أن الشيخ
ابراهيم المذكور كان يعترض على القضاة والحكّام .
وأوصى أن يُدفن في مقابر الصوفية . وعين موضعاً لذلك ، فنقّد
أخوه محمد چلبی الكاتب وصيته ، ودفنه في المقابر المذكورة في طرف الطريق
على جانب الشمال للذهاب إلى جهة المزة في مقابلة نهر باناس^(٢) رحمه الله
تعالى رحمة واسعة ، وسقاه من سحائب الرحمة الهامعة . آمين .

(١) انظر الباشات والقضاة لابن جمعة ص ٢٦

(٢) « باناس » انظر كتابنا خطط دمشق

شيخنا الشيخ ابراهيم بن الأحذب

الفرضي الشافعي الصالح الفالح المعمّر المحدث نزيل صالحية دمشق .
شيخ حلب في فن الحساب والفرائض ، عليّ كامل راض . نفع كثيراً
من الطلبة ، وما أحدٌ من الطلبة إلا قصده في ذلك وطلبه . بحيث أنه
أحياناً هذا العلم في ديار الشام . وتلمذ له كثيراً من العلماء الاعلام .
ولما وردنا الى دمشق في سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة تولى^(١) المدرسة
العبرية بالصالحية . وقرأنا عليه « النزهة في علم الحساب » وابتدأت عليه
في بعض مقدمات النحو أيضاً . وانتفعت به انتفاعاً عظيماً . ورأيت منه
لطفاً جسيماً ، ولازمته ما يزيد على خمس سنين . وهو الى الآن حيٌّ
يرزق مقيمٌ بالصالحية . وأظنه فات تسعين سنة أو قاربها .

أخذ الفرائض والحساب عن الشيخ الفاضل ، الولي الكامل ، الشيخ
محمد النجدي الذي كان مقيماً بالعبرية بصالحية دمشق . وكان يلحق
بابن الهائم في فن الفرائض والحساب . وحاصل الأمر أن الشيخ ابراهيم
المذكور من مفردات الزمان في هذا الأوان وأصله من قرية الزبداني^(٢)
من ضواحي دمشق . وأهلته من مشاهير (١٨٤) أعيان ذلك الوادي^(٣) ،
لهم الشهرة والتقدم على غيرهم في كل نادي .

ثم إن الشيخ ابراهيم المذكور مات في أواسط سنة عشر بعد الألف .
ودُفن بجبل قاسيون . وكانت جنازته عظيمة جداً . حضرها قاضي القضاة
عبد الرحمن بن سليمان^(٤) قاضي دمشق ومَنْ دونه رحمه الله تعالى آمين .

(١) ب ، ص « نزل »

(٢) تبعد ٤٧ كيلومتراً من دمشق الى الشمال . انظر باقوت ؛ وكتاب الريف

السوري ، الجزء الثاني ص ٢٦٨

(٣) يعني وادي بردى

(٤) انظر الباشات والقضاة ص ٢٧

الشيخ ابراهيم بن سعد الدين الجبائي

القُبَيْبَاتِي الدار والمولد والمنشأ

هو الشيخُ الصالحُ ، الكريمُ الفالحُ ، الشيخُ ابراهيمُ ابنُ المرحوم
الشيخِ الصالحِ المعتقدِ الشيخِ سعدِ الدينِ الجبائي .

كان الشيخُ ابراهيمُ المذكورُ من أصلحِ الناسِ وأكرمِهِمْ ، وألطفِهِمْ
وأرحَمِهِمْ ؛ يتدفَّقُ حياءً وكرمًا ، ولُطْفًا ونعمًا .

نشأ في تربية والده الشيخِ سعدِ الدينِ المذكورِ بمحلة القُبَيْبَاتِ (١)
خارجِ دمشق ، وكان والده المذكورُ مختصًّا (٢) من بين إخوته بالالتفاتِ
التامِ ، والحبِّ الشاملِ العامِ . ولما حانت وفاةُ والده أوصى له
بالذِّكْرِ في حلقتهم بالجامعِ الأمويِّ يومِ الجمعةِ بعد الصلاة ، وأوصى لأخيه
الشيخِ محمدَ بالجلوسِ على سجداتِ الطريقِ بزوايتهم بمحلة القُبَيْبَاتِ واستمر
على ذلك مُدَّةً مديدةً ، وأعوامًا عديدةً ، إلى أن دخلَ بيتهم الغرضُ
والنفوسُ ، ووجدوا من ذلك غايةَ الضررِ والبوسِ . تخاصموا وتحاكموا .
وطال ذلك بينهم ، إلى أن أُوجبَ تفريقهم وبيئتهم . فرحلَ الشيخُ ابراهيمُ
من محلَّةِ القُبَيْبَاتِ إلى داخلِ دمشقِ إلى أن رحلَ ركبُ الحجيجِ فسارَ
بأولاده وأتباعه إلى مكَّةِ المكرَّمةِ ، وجاورَ في تجاهِ الكعبةِ العظيمةِ ،

(١) جمع تصغير قبة . قال ياقوت إنها حاضر من حواضر دمشق من القبلة . وهي
في طرف الميدان الفوقاني .

(٢) ٥ « يخصه »

وصرف على مجاورته مالاً كثيراً ، ووجد تبعاً غزيراً ، ثم رجع في العام الثاني مع ركب الشام ، وسكن في بيته ، وترك التردد إلى الناس ، وفوض الجلوس بالحلقة في الجامع الأموي إلى أخيه الشيخ محمد ، وجلس في بيته مستريحاً ، وفارق بفراغه تبعاً وتبريحاً ، ثم تصالح مع أخيه ، وكان في الزيارات يرافقه ، وعلى التردد إلى بعض الحكام يرافقه . إلى أن فرق بينها الحمام ، وفاضت روح الشيخ إبراهيم إلى ربه بسلام . فمات في جمادي الآخرة^(١) من شهر سنة ثمانٍ بعد الألف من هجرة خير الأنام .

ولعربي لقد كان من محاسن الدنيا ، ولم يكن متمسكاً من الدنيا بالعرض الأدنى ، بل كان لطيف الذات ، كامل الأدوات ، عظيم الأخلاق ، عديم النفاق . يحب مخلصاً ، ويود متخصصاً . لا يميل إلا إلى أهل الصلاح ، ولا يود إلا الوفاق والصلاح . مات بالفهقة مع الانطلاق وقت السحر . وكان آخر كلامه شهادة الاخلاص . وصدرت له جنازة عظيمة جمعت جمع أهل الشام ، من الخاص والعام . ودفن عند أسلافه في تربة^(٢) القُبَيْبَات خارج باب الله . رحمه الله وأعطاه مناه في آخرته كدنياه . وخلف ولداً نجيباً يُقال له سيدي كمال الدين . جعله الله تعالى من الصالحين . آمين آمين .

(١) ه ، ب « ربيع الأول »

(٢) انظر كتابنا خطط دمشق ص ١١٨

٧٠

الشيخ ابراهيم القدسي

الامامُ والخطيبُ بجامع الأمير منجك^(١) في محلة ميدان الحصار .
كان رحمه الله تعالى من اولاد المقدسة المشهورين بحسن الكتابة .
ومنهم الشيخ ابراهيم كاتب المصاحف التي يتعالى في ثمنها الناسُ لاسيما أهل
دمشق . وذلك لحسن الخط ، ودقة الضبط . وقد كتب من المصاحف
ما يزيد على مئة مصحف كما أخبرني بذلك حفيده الشيخ ابراهيم المذكور .
ومنهم الشيخ خليل ، وعندني مصحف مسبوع بخطه أيضاً ، وخطه أيضاً
في غاية الحسن والضبط . وكتب في آخره :
وبعدُ فقد وفق الله سبحانه وتعالى بكتابة هذه الختمة الشريفة على
يدي العبد الفقير خليل بن محمد | بن احمد |^(٢) الخازن المقدمي غفر الله تعالى
له ولوالديه ولذريته ولجميع المسلمين أجمعين .
وكان الفراغ من نسخه وضبطه نهار الاثنين ثامن ذي الحجة الحرام
سنة تسع وثمانين مئة . «

قلتُ : وسألتُ الشيخ ابراهيم صاحب هذه الترجمة عن سبب وصف
أسلافه بالخازن ، فقال لي : لما قدم جدِّي الأعلى من بيت المقدس نزل بالشامية
البرانية ، وصار خازن كتبها الموقوفة بها ، فذلك وصف بالخازن .

(١) هو اليوم في الميدان فوقاني . انظر ذيل ثمار المقاصد ص ٢٥٥ .

(٢) سائط من ٥ ، ب .

وكان الشيخ ابراهيم صاحب الترجمة صديقاً للفقير . وكان صالحاً حافظاً
للقرآن العظيم ، يقرأ بالسَّبْعِ مع الصوت الحسن المليح . وكان قد أخذ
القراءات عن شيخنا | الشيخ الصالح ^(١) | المعمّر | الشيخ حسن الصلبي الشافعي ^(١) |
خاطب جامع كريم الدين ^(٢) بحلة القُبَيْبَات . وأمّ وخطب بجامع منجك
الزبور ^(٣) مدّةً طويلة . وسافر الى الحج الشريف في سنة ألف من الهجرة .
ومات بمكة المكرمة بعد وقوفه | بعرفات ^(٤) | في السنة المذكورة .
ودُفِن عند باب المعلى رحمه الله تعالى رحمةً واسعة . وأفاض عليه
سحائب رحمته الهامعة . آمين .

(١) ساقط من ه .

(٢) يسمى اليوم جامع الدقاق بالمدائن الفوقاني . انظر ذيل ثمار المقاصد ص ٢١٧ .

(٣) ه « المذكور » .

(٤) ساقط من ه .

٧١

الشيخ ابراهيم الطالوي الدمشقي

| سلمه الله تعالى | (١)

هو الأمير الكريم ، صاحب الجود العميم ، والمجد القديم ، والقلب
السليم ، الأمير ابراهيم ، حماه الله تعالى من كل سوء ، وصانه من كل
بليّة آمين .

وُلد الأميرُ المذكور بدمشق الشام في منزلهم بمحلة التعديل (٢) . ونشأ
في تربية والده الأمير حسن ابن الأمير ابراهيم بن طالوا .

ثم إنّه خدم أمير (٢٨٥) الأمراء الكرام أحمد باشا الخالدي الشهير
بشمسي المتقدّم ذكره . ولما انفصل أمير الأمراء المذكور عن ولاية دمشق
سافر معه إلى جانب دار السلطنة ، واستمر معه في خدمته . كلّما ولي
ولاية كان له منها الحظّ الأوفر ، والنصيب الأكثر ، إلى أن صار الأمير
ابراهيم المذكور جاو يشا في الباب العالي ، المحفوف بالمسكرم والمعالى ، في
زمن سلطنة المرحوم السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان . وصارت له
زعامة كبيرة ، وقرى كثيرة . وسافر الأسفار السلطانية إلى الغزاة ، وترامت
به الاحوال إلى أن رجع إلى بلدته دمشق الشام في أيام محاصرة مدينة
قبرص . وجمع أقوات جميع العساكر الغازية من بلاد الشام وأخذها في
المراكب من جانب طرابلس إلى قبرص . وكان أمير العساكر الغازية

(١) ساقط من ه ، ب .

(٢) محلّة معروفة اليوم بجانب محلة الفنوات الى الجنوب ، بينها وبين باب السريجة .

ورد لها ذكر في تاريخ القلاسي . انظر معجم الأماكن الطبوغرافية بدمشق .

مصطفى باشا الوزير في زمن دولة السلطان سليم بن السلطان سليمان . ولم يزل كذلك إلى أن تولّى السلطنة المرحوم السلطان مراد بن سليم . فجعل الأمير إبراهيم المذكور رأسَ العساكر السلطانية ، بدمشق المحمية . وسافر بالعساكر من دمشق لما فتح ديار العجم مرّات عديدة . وكان في ذلك محمود السيرة ، وغمر رفقاءه بالخيرات الكثيرة . وبعد ذلك تولّى الإمارة في مدينة نابلس . فذهب إليها بالطّبل والعلم ، وخرج من دمشق بمركب حسن ، وخرج معه غالبُ عساكر دمشق مودّعين . ومكث في نابلس نحو سنتين ، وانفصل عنها . ثم رجعت إليه حكومتها من باب السلطنة أيضاً . وفي هذه المرّة عينته أميرُ الأمراء بدمشق محمد بن الوزير الأعظم سنان باشا مستقبلاً لركب الحاج ، على عادتهم ، فاستقبل الحاج استقبالاً ما أظنه سبق إليه . أخبرني المرحوم الشيخ إبراهيم ابن سعد الدين المتقدم ذكره ، وكان من جملة الحاج في ذلك العام ، أن الأمير إبراهيم المذكور تفضّل على أعيان الحاج بما لم يسبق إلى مثله ، وحرّس الركب من تبوك إلى دمشق حراسةً عظيمةً ، بحيث أنه لم يضع لأحدٍ عقابٌ بغير . ولكنه لم يُنصف من الحكام ، ولم يُعطي ماله من العادة بين الأنام ، وما ذاك إلاّ أنه أدرك الصدر الأوّل ، وسلك طريقهم ، وتغيّر الزمان ولم يتغيّر الأميرُ المذكور عما كان معهوداً له . فلزمت الخالفةُ بينه وبين أبناء زمانه في سلوكهم ، وتعب تبعاً عظيماً ، ونال من دهره جفأً جسيماً ، بحيث أنه باع غالب أسبابه ، وتفرّق عنه غالبُ جماعته وأحبابه . وسافر إلى الباب العالي في سنة سبعٍ بعد الألف ، واستمرّ زماناً (٨٥ب) طويلاً ملازماً ، ولم يرجع بما فيه فائدة ، ولا ما يقتضي عائدة . فأسفرت سفرته عن العدم المحض^(١) ، وصادفته العنايةُ بمجيء الوزير السيد محمد الأصفهاني الأصل حاكماً ووزيراً في بلاد الشام . فعرض الأمير المذكور أحواله عليه ، وشكا إليه ، وبكى بين يديه . فرّق لحاله ، وعيّن له من

(١) « عن عدم محض » ، ب « عن عدم المحض »

التزام السمسارية كل سنة أربع مئة دينار على سبيل التقاعد عن منصب
الضجقية . وكتب له التمسك بذلك في سنة تسع بعد الألف .
ولعمري لقد نظر إليه الدهر أولاً نظراً العناية ، ورجع عليه بعد ذلك
بالنكاية . فضنع معه العجائب ، وأراد من فعل الغرائب ، وسلك معه
طريقاً من الجفا ، ولم يرمق إليه بعد ذلك بِطَرْفِ الوفا . مع أنه بلغ
في الكرم إلى مرتبة حاتم ، بل هو إن اعتبرت للأكارم خاتم . حتى إنه
يُنسَبُ في إفراط كرمه إلى السفة العظيم ، وهذه عادة الناس مع كل
كريم . ولقد صدق ابن خاتمه صاحبنا الشيخ درويش الطالوي حيث قال في
مدحه ، من قصيدة أرسلها إلى الفقير من بلاد الروم ، وفيها ذكر الأعيان
بدمشق ، فلما وصل إلى ذكر الأمراء قال :

وشيدوا أركانها أمراً معلماً الخطير
منهم جناب الطالوي سليل أرتق ذي السرير
في السلم كالغيث المطير والحرب كالليث المحصور
مُحْيِي مكارم حاتم بين الأنام بلا نكير

وحاصل الأمر أن الأمير المذكور لا يُداسب أبناء الزمان ، ولا
يقارب خوان الإخوان . وله الكلمة الصادقة ، والعهود الثابتة الموافقة .
شهد له الجم الغفير ، والجمع الكثير ، بمكرمة صدرت عنه . | ووفاء
عهد كان منه | . (١) وذلك أنه لما كان والياً بولاية نابلس في المرة (٢)
الثانية ، حضر إليه شاب من أولاد الجيوسي . (٣) وأولاد الجيوسي هم

(١) سائط من هـ

(٢) هـ « بالمره »

(٣) هـ « الجيوس »

مشايخ بلاد نابلس . واسم الشاب توبة . وكان من أحسن خلق الله تعالى صورة . وكان حضور الشاب المذكور اليه بطريق الأمان . وكان الأمير أحمد أمير بلاد غزة المتقدم ذكره عدواً على توبة المذكور . فأرسل إلى الأمير ابراهيم المذكور رجلاً من خواص جماعته ، ومعه ثلاثة آلاف دينار ذهباً ، وقال له : هذه ثلاثة (١) آلاف دينار لكم ، واعطوني الشيخ توبة ، ولكم بذلك صداقة الأمير أحمد طول الدهر ، ويساعدكم على أحوالكم في بلاد نابلس .

حكى لي الأمير ابراهيم من لفظه أن جميع جماعتي من كبيرٍ وصغيرٍ ، ومأمورٍ وأميرٍ ، أجمعوا على أنني أسلم توبة (٢٨٦) لأحمد بيك ، وأخذ الدراهم التي أرسلها . وذلك لما أدركوا وعلموا من احتياجي . وبالله لقد كنت محتاجاً إلى عشرة دنانير ، وما كنت أنفق على عسكري وجماعتي إلا من السوق بالخرج .

قال : فبت تلك الليلة وأنا أظنهم لجماعتي إعطاء توبة ، وفي باطني خلفه . فأصبحت وجعلت ديواناً جمعت الأكارب وأرباب الدولة بمدينة نابلس . وطلبت الذين جاؤوا من جانب أحمد بيك بالمال ، وطلبت توبة المطلوب . فحضر الجميع ، وحضر المال . وقلت لتوبة : يا توبة ! قد أرسلوا إلي على تسليمك ثلاثة آلاف دينار . فما الذي تعطي أنت في مقابلة ذلك ؟ فقال لي : يا أمير ، أمّا أنا فإنني رجل فقير . وما جمعت إليك إلا ما سمعت بصدق عهدك وثبات ودك ، والأمر إليك .

قال : وكانت أمه وأخواته وزوجته تحت الديوان يستمعن الكلام ، ويبكين خوفاً على توبة فأنصت جميع من في الديوان يستمعون ما أقول ، والمال مصوب في وسط الديوان .

فقلتُ : أما أنا فإني أخافُ من يومٍ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنونُ ،
إلا مَنْ أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ ، وطلبتُ خلعةً من ملبوسِي ، وألبستها
لنوبه وقتُ له : لا تخفُ واللهُ لو أعطوني الدنيا وما فيها مائةً منكم ولا
نقضتُ عهدي ولا خفرتُ ذمتي . وأرجعتُ جماعةَ أحمد بك بآلهم .
وفزتُ أنا بوفاءِ العهد . وطلبتُ العوضَ من ربِّي تعالى وتقدّس .

وأقولُ : لما صرّف الأميرُ إبراهيمَ المذكورَ عن ولايةِ نابلسِ حضر
معه الشيخُ توبةً إلى دمشق . ورأيتُهُ وهو من أجملِ خلقِ اللهِ صورةً ،
كلُّ مَنْ رآه يتحيرُ من حسنه ، ويلشدُّ قولَ مَنْ قال وأجاد في المقال :

وإذا لاحَ وجهُهُ بِمَكَانٍ كَثُرَتْ زَحَمَةُ الْعِيُونِ إِلَيْهِ

وفي هذا التاريخ وهو سنة تسع بعد الألف الأميرُ إبراهيمُ مقيمٌ في منزله
بدمشق في محلة التعديل والتقنات . لطف اللهُ به وبنا وبالمسلمين أجمعين
آمين آمين .

٧٢

الأمير ابراهيم المنجكي

هو الأمير الكبير ، ذو الجود الغزير ، الجرکسي التجار ،
الدمشقي الدار .

هو من بيت معروف بالإمارة ، وله على صدق الأصل أصدق أمانة .
ينتسبون إلى جدتهم الأعلى الأمير منجك اليوسفي . صاحب الخيرات المتكاثرة ،
والمبرات الوفرة ، التي اشتهرت في البلاد ، وعم نفعها سائر العباد .
وكان الأمير إبراهيم هذا بدمشق الشام ، مستولياً على وقف جدته
الأعلى ما يزيد على ثمانين من الاعوام . وطال عمره ، وشاع بره ، وقصده
أرباب الحاجات ، ومدحه الأفاضل بالقصائد البليغات . وكان رحمه الله
تعالى غاية في سلامة السرائر ، ونهاية في صفاء الضمائر . بحيث أن كثيراً من
الناس كان يلبس عليه منامات كاذبة يستفيدون بها شيئاً من الدنيا ويطلبون
حصّة من العرض الأدنى . وكان يُصدّق كئلاً من يقول في كل مقول .
ويقال إن الشيخ عبد الوهاب الصفوري كان من أصحاب الأمير المذكور .
وكان يستفيد منه أموالاً بالمخارق . فمن ذلك انه كان يُرسِلُ عجوراً إلى
بيت المذكور تستخبو بطريقٍ عما طُبِّخ في مطبخ الأمير المذكور من
الطعام ، وتخبّره بذلك . فيأتي في اليوم الثاني ويجلس عند الأمير .
فيقول له الأمير : كيف حال الشيخ ، فيقول في جوابه : الحمد لله على نعمه .
فيقول له الأمير : تشوقنا إليك . فعند ذلك يظهر أنه يبكي ويقول له :
يا أمير كيف تشتاق إليّ وكيف تحبني وأنت أكلت كذا وكذا ،

وما تفكرتني ، ولا ادخرت لي شيئاً من ذلك . ويسمى ما كان
طبخ فيزيد اعتقاده عليه . ويقوم ويعانقه ويبيكي . ويُعطيه مالا جزيلا .
فلا يقبله إلا بجهدٍ جيد ، ودلالٍ وكيد .

ولقد كنتُ في يومِ جمعةٍ عند الأمير ابراهيم المنجكي صاحب هذه
الترجمة في صحبة شيخ الاسلام الشهاب الطيبي الصغير . وإذا بالشيخ
عبد الوهاب الصفوري المذكور قد دخل راكباً حماراً . فلما استقر به
الجلوسُ قال : قاضي البلدة ليس له عقل . أرسل اليوم ورائي وقال لي :
وقعت غرارة قمح في وقف النور الشهيد بداريتا ، وزيد أن نوجّهها لك .
قال : فقلتُ له : هل يليق بمثلي أن أقبل منك مرتب غرارة قمح . والأمير
ابراهيم بن منجك حيّ يزق ؟

قال : فعند ذلك دعالي القاضي ، ودعا للأمير أيضاً . وأوضحتُ له مكارم
الأمير وما هو مشتملٌ عليه من مكارم الأخلاق ، وأنه مرتبٌ لجماعته غللاً
من القمح وغيره .

فعند ذلك قال الأمير ابراهيم المذكور للشيخ عبد الوهاب المذكور :
خذ من وكيلنا غرارة قمح فإننا رسمناك بذلك .

فقال له الشيخ عبد الوهاب : وباليست شعري ما أصنعُ بغرارة قمح ،
وتلك الواقعة هناك - يشير إلى حمارته - تطلب مني غرارة شعير .
فضحك الأمير والحاضرون لقوله إن الحماره تشير إليه في طلب الغرارة
من الشعير . فأمر له بفراريتين الواحدة قمح والاخرى شعير .

وكان الأمير المذكور غايةً في المكارم ، بحيث أنه كان ابتهاجاً في
عصره لجميع الأكارم . وعاش نحو تسعين سنة . وكان رحمه الله تعالى
صافياً خالياً من الضغن والحقد .^(١) وكانت له أرزاقٌ دارّةٌ على كثيرٍ

(١) « الطمن والحسد » ، ب « الضغن والحسد »

من العلماء والصلحاء . وما كان يتصدقُ غالباً إلاّ بالذهب . وقد صرتُ
في أيّام توليته لأوقاف بني منجك إماماً لجامع منجك بمحلّة ميدان الحضا ،
ثمّ إني عجزت عن مباشرة الإمامة في المحلّة المذكورة لأنّي كنتُ مشغولاً
بالعلم في الجامع الأموي . فحضرتُ إليه وقلتُ له : يا أمير ؟ اعفني من
الإمامة في جامع جدك بالميدان .

فقال : لعلّك تريد الفراغ عن الوظيفة لكونك تضايقتَ من أحد ،
أو لأنّ العلوقة قليلة فنزّيتها لك .

فقلتُ : لا والله لا ذا ولا ذاك . وإنيّ أنا مشغول بتحصيل العلم ،
ولا يسع الوقت ملازمة الأوقاف للإمامة في تلك المحلّة .
فعند ذلك أخذ التقرير وأعطاني ديناراً من الذهب . وقرأتُ له الفاتحة وفارقتُه .
وبالمحلّة فقد كان الأميرُ المذكور من محاسن الشام ، ومن القوم الكرام .
وكانت وفاته في سنة إحدى وتسعين وتسع مئة . وفقدتِ الشامُ بفقده
جمالاً ، وفقد الفقراءُ بفقده نوالاً .

ومن جملة أفعاله الجميلة إحسانه إلى المرحوم العلامة أسد الدين التبريزي
ثمّ الدمشقي . فإنّه وقف عليه وعلى ذريته بيتاً لانظيرَ له في دمشق .
وهو عند باب الجامع الأمويّ من جهة الشرق . ووقف أيضاً عليه وعلى
ذريته بستاناً في جانب | بستان | ^(١) الشيخ الهنسي قبالة الجسر ، عند ابتداء
الدخول في الميدان الأخضر بالمرجة . وكان في حال حياته متكفلاً بغالب
نفقة الشيخ أسد المذكور ونفقة عياله . فرحمه الله تعالى رحمةً واسعة ،
وسقى ثراه من سحائب الرحمة الهامعة . آمين آمين .

٧٣

الأمير إبراهيم بن الجراح محمد باشا الوزير الأعظم

نشأ الأمير إبراهيم هذا في دولة أبيه . وتعلّم منه رفعة قدره مع
تأبّيه . لكنه تعرّع راتعا في روضة من الأدب أريض ، وفهم يكادُ
يفوق بروتته على لطف النسيم المريض . والغالبُ عليه الشعور^(١) في شعر
الفرس والروم . فإتته وصل فيها إلى غاية ما يروم . وتولى الإمارة في
بلاد عظيمة ، وجرّ عساكر ماجرت إلا بالفتح عن حزم العزيمة . فتولى
انكورية وقصطنونية ، والمدينة المعروفة بقره حصار . واختلف عليه الديار .
ونُسب إلى الجلالية لوفور أتباعه . ففرّ إلى مقرّ الخلافة بقسطنطينية
خوفاً من بعده عن أبيه وانقطاعه . ثم خرج عن المدينة مستخفياً على هيئة
ال دراوبش ، ورضي بتصغير قدره خوفاً من دواعي التشويش . ثم إنه
دار الديار ، وأخفى عن وجوده الآثار ، الى أن مات والده متقاعداً
عن الوزارة . فعرض الى قبره بعد الموت وزاره . وكان والده قد تزوج
ببنت من بنات ملوك الاسلام آل عثمان . إذ عادتهم تزويج بناتهم لعبيدهم ،
ومنعهنّ عن الأماثل والأعيان ، فلما توفي والده صار لزوجته بنت السلطان
طريفه وتالده ، وخرج خالياً من ميراث أبيه حتى من السكن الذي يقره
به ويأويه . وطار به هواه الى مصر واقاهرة ، وأمضى حكم فهمه
في الآداب التي لم تزل بها نفسه ماهرة . فعنّ عليه بعض الوزراء ، وأنزلوه
منزلة بعض الأمراء . ثم تافت نفسه الى ما فيه أنسه ، من سلب الإمارة ،

(١) « الشعر »

عن علاقة الإمارة (؟) وقمع بذلك نفسه الأمّارة . وطلب علوفة تكون كفافاً ، ووظيفةً تجعل له الى الراحة (١) انعطافاً . فجمعوا له من جانب السلطنة نحو أربعة من الدنانير الذهبية ، وألقوا جعله على غاربه في الديار المصرية . فتارةً يسير الى اسكندرية ويذهب بلطف نسيها ما عنده من الهدوم الدنيوية . وتارةً يسير الى دمشق الشام ، مداوياً بلطف فواديسها ما عنده من الأسقام .

وقد اجتمعتُ به في دمشق المحروسة عند صاحب الذات المأنوسة ، قاضي القضاة ، أحمد سيوف الحق المنتضاة ، الشهير بعزمي زاده (٢) بين الموالي . أقام الله قدره الرفيع العالي . ولعمري لقد كان له عنده مقدار رفيع ، وحمى من العزة منيع . لعلواً نسبه (٣) ، وكال أدبه ، ورفعة حسبه . ولقد ضعف الأمير إبراهيم ، ونظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم (٤) . فلاحظه المولى المذكور بأطراف من أخلاقه ، التي تضيق عن بيانها السطور . وشهدت من الأمير شعراً منسوباً ، ونظماً على آماق العيون مكتوباً . وكان مع ذلك يضرب على عود الطرب ، ويستهووي العقول بضرب وضرب . ويتكلم بالفارسية ، وينظم في تلك اللغة أبياتاً حافظية . فأشدت عند اطلاعي على ذلك من احاطني من اجادته في الشعر بما هنالك :

ما زال يعلو في مناسب فارس حتى ظننتُ الزوهار له أبا

وهو اليوم في دمشق الشام ، سقاها صوب الفهام ، على نية الرجوع الى القاهرة ، بعد استيفاء ما بدمشق من المحاسن الزاهرة . وحررت هذه الكلمات في ليلة الثلاثاء اليوم الثلاثين من رجب المرجب ، من شهر سنة إحدى وعشرين بعد الألف من الهجرة النبوية ، على صاحبها ألف تحية .

(١) هـ « في الرحلة »

(٢) تولى قضاء دمشق مرتين . كانت الولاية الثانية سنة ١٠٢٠ . انظر البلاغات والقضاة لابن جمعة ص ٢٧ و ٣٠ .

(٣) هـ « كسبه »

(٤) هـ ، ب « سليم »

ابراهيم باشا الشهير بجاجي ابراهيم باشا

هو رجلٌ كان في مبتدأ أمره طالب علمٍ ، وسلك في بدايته طريق القضاء . حتى إنه قال لي من لفظه : استمررتُ قاضياً في مدينة اسكدار ست عشرة سنة . ثم إنه صار رأساً للدفتردارية في قسطنطينية . وبأثر ذلك همة قوية ، وعزيمة مرضية . ثم نكب بعد ذلك وأخذت أمواله وضُبطت للسلطنة . بسبب أنه نُسب الى خيانة في مال السلطان . واستمر ملازماً بيته مُعظلاً من حُلى المناصب الى أن طلب من حضرة السلطان بعض قري ومزارع وزعامات على أن يجلس في مدينة دمشق متقاعداً . فأعطاه السلطان ما طلب ، وحضر الى دمشق وسكن في بيت رجب آغا شمالي جامع يلبغا^(١) وتزوج بها^(٢) زوجته أيضاً . وكنتُ أترددُ إليه في زمن إقامته بدمشق . وكان يحفظُ كثيراً من الأبحاث العلمية التي علفت في فكره في ابتداء أمره^(٣) وحتجّ من دمشق ورجع إليها . ثم إنّه سافر إلى الباب العالي بـقسطنطينية . وأظنّه طُلبَ من جانب السلطنة . فبعد وصوله الى هناك صار رأساً لارباب الدفاتر ، وذلك منصبٌ كبيرٌ عندهم . لأنّ جميع الأموال السلطانية في جميع أقطار الأرض تدخل تحت قلمه . وهو حاكمٌ على جميع أرباب الأفلام . وله عرض مقبول عند حضرة السلطان نصره الله تعالى لأنه أمين على أموال خزائنه كلّها .

(١) عند ساحة سوق الخيل سابقاً ، وقد زالت الساحة اليوم . انظر وصفه في ذيل ثمار المقاصد ص ٢٥٩ .

(٢) ساقطة من ه . ب

(٣) ه « عمود »

ثم إنّه عُزل من المنصب المذكور . فذهب الى الشيخ محمود الأسكداري وأخذ عليه العهد ، ولبس منه خرقة التصوّف . فاحتاج الأمر الى ارسال رجل أمين يكتب ويضبط الأموال السلطانية في جانب حلب . فرسم السلطان نصره الله تعالى لابراهيم باشا المذكور أن يسير الى بلاد حلب يضبطها ، ^(١) وينظر في أموالها فتمنع من ذلك ، وشاور شيخه الشيخ محمود في ذلك . فأشار عليه بقبول قول ^(٢) وليّ الأمر . فقبل وسار الى حلب وساق فيها عدلاً ما سمع الناس بمثله بعد عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . قسماً لقد سمعتُ عنه حكايات في العدل وإنصاف الرعايا ما سمعتُ بمثلها إلاّ عن الخلفاء الراشدين . فبينما هو سائر في الناس هذه السيرة حضرت الرعايا اليه وشكوا من ينكجيرية الشام . وقالوا له : ظلمونا وأخذوا منا أولادنا وعيالنا . فأرسل الى اليكنجيرية ونصحهم . فما ازدادوا إلاّ دغفياً وضللاً . فركب عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة . ودخل بوؤوسهم الى حلب على رؤس الرماح . فثار لذلك عليه القوم المذكورون ، وقصدوه من جانب حلب ، فاحتجب . ثم إنّ حضرة السلطان نصره الله تعالى عزله عن حلب لئلا يصير بينه وبين القوم المذكورين فتنة ، فذهب الى باب السلطان نصره الله تعالى . وطلبة أهل حلب مرّات فلم يتيسر إرساله اليهم . وجعله السلطان وزيراً له يجلس مع بقية الوزراء في بابه ، يسمع دعاوي الناس ، وها هو في هذا التاريخ ، وهو سنة تسع بعد الألف ، مقيم في الباب العالي وزيراً . ولكن بلغنا من الأفواه أنّه صار وزيراً وحاكماً في تبريز ، وما يتبعها من بلاد أذربيجان مكان المرحوم الغازي جعفر باشا الخادم ، لموته في تلك البلاد . ولكن أظنّ أنه ما قبل ولاية هاتيك البلاد . والله تعالى أعلم بحقيقة الحال .

وبالجملة فهو من محاسن الحكّام ، في هذه الأيام . وفقه الله تعالى ونصره ، وأعطاه وجبهه . آمين .

(١) « يضبطه »

(٢) « امر »

٧٥

ابراهيم باشا الشهير بدالي ابراهيم باشا

هو على ما بلغني في الأصل من طائفة الارمن . ودخل هو وأخوه وأخته الى دار السلطنة بقسطنطينية فخدموا . وأخوه اسمه محمود . وأما ابراهيم فإنه لم يزل من لدن خروجه من خدمة السلطان يتقلب في الولايات حتى صار أمير الأمراء في ديار بكر بأسرها . فقتل فيها وظلم أهاليها . وأظهر من أنواع الظلم شيئاً لا يرضى به من في قلبه ذرة من الإيمان ، ومن ذلك أنه كان كلما سمع بامرأة حسناء اجتمع على الاجتماع بها بأي طريق أمكن . وكان في ديار بكر رجل ، يُقال له الخوجا رجب . وكان كثير الأموال الى الغاية . فقال له : أنت أي ، فقال ، له الخوجا : وأنت ابني . فبينما الخوجا المذكور في بيته وإذا بقائل يقول له : ابراهيم باشا على الباب يريدُ الدخول . وكان ذلك ليلاً . فارتعدت فرائضه لذلك . فخرج اليه فوجده قد اقتحم البيت . فهبت الخوجا رجب لذلك ، فقال له يا أبتِ أريدُ أن أنظر اخواتي ، يعني بنات الخوجا . وأريد أن تجعل لي حصّةً من مالك كما جعلت لبقية اخوتي . فلم يزل يلاطفه حتى أرضاه بنحو خمسة آلاف من الذهب الأحمر ولم يزل بالخوجا المذكور حتى قتله وقطعه أربع قطع . وفعل في ديار بكر الأفاعيل العظيمة . فذهب غالب أعيان هاتيك الديار وشكوا عليه لحضرة السلطان مراد فأمر بأن يُؤتى به مقيداً ، فأتوا به كذلك . ولما حضر الى الباب أمر السلطان أخصامه الذين تشكروا منه أن يقفوا معه في موقف الشرع . فما اطمان أحدٌ أن يشهد عليه ، ولا قدر القاضي أن يدفتي عليه في سماع الدعوى ،

لأنّ اخته كانت عند السلطان مراد مقبولة الى الغاية . وانصرف خصماؤه
بجني حنين . وولاه السلطان أيضاً ديار بكر فذهب اليها ناوياً على
إهلاك كل من اشتكى عليه . ومنهم ملك أحمد باشا وعلاء الدين بك ،
فإنه أهلكتهما تحت العذاب ووصل إلى أن ثار عليه أهل البلد ، وقاموا
عليه قومة رجل واحد . فمحصّن في القلعة وصار يضرب على أهل
المدينة بالمدافع الكبيرة ، حتى قتل منهم كثير . فبلغ أمره الى جميع
الأنام ، من الخاص والعام وكان سلطان الوقت الملك العادل الغيازي
السلطان محمد ولي عهد أبيه . وهو مقيم في مدينة مغنيسيا . فأرسل الى
ابراهيم باشا المذكور يشفع عنده في الرعايا عموماً وفي ملك أحمد باشا
المذكور خصوصاً . فقال : أما الآن فهو ماله حكم ، مع وجود
والده ، وإذا صار سلطاناً فليفعل بي ما أراد ، فنوى السلطان المذكور
قتله يوم يصير سلطاناً .

فلما منّ الله تعالى عليه بالسلطنة وحضر الى دار سلطنة قسطنطينية
سأل عن ابراهيم باشا المذكور فقيل له : إنّه محبوس في حبس والدك
المرحوم . فأمر به فقتل صبراً من غير تأخير . فشاع له بذلك ثناء
عظيم ، واستبشر الناس بقدمه عليهم . وقالوا : قد أزال عن المسلمين
نعمّة ، وكشف عنهم ظلمة ، بسبب قتله الظالم المذكور .

أخبرني من شاهد قتله أنّه كان جالساً في الجلس بعد صلاة العشاء .
فدخل عليه كبير من خواص خدم الديوان ومعه جماعة من الجلاّدين
مغيّرين لصورتهم حتى لا يرتاب بهم . وجلس ذلك الكبير يُصاحبه في
أمور موهّمة ، وأقدم عليه الجلاّدون من خلفه ووضعوا في عنقه حبلاً
وقالوا : أمر بذلك السلطان . قال : فرأيتُه قد رفع مسبّحته بالشهادة .
فلما مات ألقوه في البحر ثم شفعت فيه أخته فدفنوه . وصار عبرة
للمعتبرين ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين^(١) .

الوزير الأعظم ابراهيم باشا نصره الله تعالى

هو الوزير الأكرم الأعظم ، والأمير الأكبر المقدم . هو من أمراء السلطان مراد ابن السلطان سليم العثماني . ولما ظهر من حرم السلطنة صار آغا البينكجيرية بالقسطنطينية ، وضبطهم أحسن ضبط . واستمر في ضبطهم مدة طويـلة . ثم صار أمير بلاد روماني كتبها مدة طويـلة . ثم إن السلطان مراد المذكور أراد أن يزوجه ابنته . فأرسله إلى بلاد مصر ، فاستمر في مصر زماناً طويلاً . وكان كريماً حليماً حسن الأخلاق الى الغاية . أراد أن يهدم ببناء الأهرام الذي بمصر لئلا يبلغه أن فيه دنانير للسلطين المتقدمين . فعذروه من ذلك ، وقالوا له : إن المأمون العباسي أراد هدمه فما قدر على ذلك . وقالوا ربما تكون الأهرام طاسماً للرمل ، ولبعض منافع ، فإنها ما وضعت إلا بطريق الحكمة . فعدل عن هدمها . ثم إنّه أقام في مصر أميراً يحكم فيها . وأخذ منها دراهم كثيرة .

والأمير المذكور سنان باشا الذي كان دفتر دار في مصر ، فرفعه من الدفتر إلى الحكم والسيـف . ثم خرج ابراهيم باشا من مصر بأموال عظيمة ، وتحف كثيرة ، منها أنه جعل لحضرة السلطان مراد تختاً من الذهب مرصعاً بالجواهر العظيمة . ورجع ومعه عساكر مصر .

وجمع عساكر الشام ، وحاكمها إذ ذاك أوبس باشا^(١) الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وكبس جبل الشوف^(٢) من نواحي دمشق على طرف البحر من الجانب الغربي ، وبه قوم من الدروز الباطنية ، وهم لا يدينون بملّة ولا يرجعون الى عقيدة ، يرون للشرائع باطنياً غير ما هو ظاهر . فقتل ونهب وحرق ودوّنهم وأخذ منهم أموالاً عظيمة ، وألوفاً من البنادق ، وحاصروهم محاصرة عظيمة ، حتى إن أميرهم قرقماز^(٣) ابن معن مات قهراً .

ثم سار إلى دار السلطنة قسطنطينية من طريق البحر في المراكب العظيمة وهو اليوم في هذا التاريخ ، وهو سنة تسع بعد الألف في داخل بلاد الروم ، مجاهدٌ في سبيل الله . وقاتل في هذه السنة طوائف الكفار وثبت ثباتاً عظيماً بعد أن كادت النصارى تكسر عساكر المسلمين ، لكنّ الله جلّ وعلا وتقديس وتعالى أرسل ريح النصر على المسلمين فلم يزلوا يقتلون في النصارى حتى إنهم أفنّوهم قتلاً وأسرا . وكان للمسلمين عسكرٌ آخر بسرّ دار يُقال له محمود باشا . فانتصر هو أيضاً بحمد الله تعالى . وأمسكوا زوجة الطاغية وبنته ووزيره ، وأرسلوا إلى دار السلطنة . وجاءت البشائر بالنصر إلى بلاد الشام ، وكُتبت كتب البشائر بالتركية الفصيحة والألفاظ المليحة ، وأرسلت إلى بلاد السلطان . وزين أهل دمشق بدمهم بزينة ما عهدت قط ، واستمرت الزينة ثلاثة أيّام بلباها . وكان أمير الأمراء بدمشق السيد محمد باشا الإصفهاني الأصل . وساس الناس وضبطهم ضبطاً حسناً . وركب في الزينة مرتين ليلاً ونهاراً . وأشعل الناس له الشموع العظيمة ، فرحاً به ، وأحرقوا أمامه العود المليح . وكان يسلم على الناس ببشاعةٍ وامتبشارٍ وتواضع . وكان الناس يدعون له .

(١) انظر الباطحات والقضاة ص ١٩

(٢) في لبنان اليوم . معروف .

(٣) « قرقاس »

وابراهيم باشا صاحب الترجمة الى وقتنا مقيم على سبيل المرابطة في بلاد الروم خوفاً من النصارى أن يهجموا على بلاد الاسلام فجزاه الله خير الجزاء .

وفيه صفات تدل على أنه رقيق القلب ، رحيم الفؤاد . خال من الضغن والعناد . تزوج بنت المرحوم السلطان مراد . وهي أخت السلطان اليوم ، وهو السلطان محمد ، أدام الله نصره ورفع قدره ، ونشر في الخافقين ذكره ، وسهل في كل حال أمره . آمين .

ثم ورد الخبر بموت الوزير الأعظم ابراهيم باشا المذكور في المحرم من سنة عشر بعد الألف وهو مرابط للنصارى رحمه الله تعالى . آمين .

٧٧

ابراهيم آغا جاشنكبير
متولي جامع بني أمية

هو من مماليك سلاطين بني عثمان . وكان يخدم في داخل حرم السلطنة . وكانت خدمته هناك إقراء المماليك الصغار الذين يخدمون في داخل بيت السلطان . على ما ذكر لي . لكنته خدم العلم برهة من الزمان فعلق في فكره شيء كثير من المسائل والدلائل ، فكثيراً ما يحضر مجالس العلماء فيُجيبُ وينظر ويتكلم . ولما وَرَدَ الى دمشق وصل إليها في أوائل سنة ألف من الهجرة . فسكن في جانب سوق البزورية بدمشق بزقاقٍ هناك . وكان على سَمْتِ الصلاح . فسار في خدمة الجامع المذكور أحسن سيرٍ . وهو من الذين لا يتكلمون في المجالس إلاّ كلام الخير يعرفه في الغالب من يقدم من باب السلطنة من الأمراء حاكماً بدمشق لا سيما الذين خرجوا من الداخل . ودائماً يصاحبونه ويستمعون إشارته . ولم يزل كذلك حتى خطر له أن يعمر حجرةً بالجامع الأموي يقطن بها . وهي الحجرة المقابلة لحجرة الساعات في [حجة]^(١) باب جيمرون^(٢) . وكانت حجرةً مهجورةً مبغوضةً لا يميل إليها أحد . ويزعمون أن بها حيةً ألفيةً فعمرها . وكانت بيد رجلٍ يُقال له الشيخ رمضان الرداوي الأكلول . فلما مات لم يرغب في أخذها أحدٌ بعده ، حتى قدم ابراهيم آغا المذكور فأزال ما في داخلها من البناء . فصارت لها صورة

(١) ساقط من هـ

(٢) هو باب الجامع الشرقي ، ويسمى باب النوفرة . وباب الساعات . انظر مسجد دمشق لنا

قابلة للبناء . وقاس المعمارُ طريقَ الماء فوجده قابلاً أن يدخل إليها . فشرع في عمارتها . وأخذ بالعمارة إجازةً من بعض القضاة . فلم يزل يتنوّع في تعبيرها حتى صارت من النطفِ الأبنية بدمشق ، بل أظنُّ أنها الآن عديمة النظير في الدنيا كلها ، لأنه زخرفها زخرفةً لا يتصوّر فوقها شيءٌ أبداً . وأجرى لها الماء . غير أنه هجم على أمرٍ ما كان في قدرة غيره لولا كونه متولياً على الجامع ، ولولا ميل الحكام إليه . وذلك أنه فتح في حائط الجامع سبباً كماً للحجرة المذكورة في جانبها الغربيّ بحيث صار الشباك المذكور يُرى منه من يمر من جهة باب البريد لوقوعه في الحائط الشرقيّ مقابلاً لسمت باب البريد من الجانب الغربي . وأضاف إليها حانوتاً كان وراءها في جهة | باب | (١) سوق الذهبين ، وجعله فيها مطبخاً . وحاصل الأمر أن الحجرة المذكور آلت إلى صورةٍ تتمتهاها بها الملوك ، بل | مسرة | (٢) في النفوس كلها .

وهو الآن في هذا التاريخ وهو تاريخ رمضان سنة تسع بعد الألف مقيمٌ بها . وقد استخدم صديقاً من أولاد دمشق اسمه إبراهيم كاسمه . فافتتن به حتى شاعت فتنته به بين أهل الشام ، الخاصّ منهم والعام . ويُنقل عنها أفعالٌ الأولى بنا الإعراض عن تفصيلها ، لأننا لا نذكر في الغالب إلاّ المحاسن .

ومن عادة قضاة دمشق أنهم يتودّدون إلى الحجرة المذكورة في بعض الأوقات ، لا سيّما أوقات الصلوات . فمن جملة من تردّد إليها قاضي دمشق في التاريخ المذكور (٣) .

(١) سائط من ه ، ب

(٢) ب ، ه « حجرة »

(٣) كان قاضي دمشق في سنة ١٠٠٩ عبد الرحيم بن اسكندر ، انظر الباشات والقضاة

ومن الوقائع المتعلقة بهذه الحجرة أن المتوالي لما أخذ الدكان التي وراء حجرتة كما ذكرنا وجعلها مطبخاً ساع بين الناس أنه يريد أن يجعل هناك مرتقفاً فخدموا موضع المرتفق فوجدوه يقع تحت المحراب المنسوب الى حضرة الإمام زين العابدين بن الحسين رضي الله عنها . فغضب لذلك نقيب الأشراف بدمشق وهو زين العابدين بن حسين بن كمال الدين بن حمزة الحسيني لمكان قربه من زين العابدين الإمام ، وغيره على محرابه فذهب مستشيطاً بالفيظ الى حضرة الوزير السيد محمد الإصفياني أمير الأمراء بدمشق يومئذ ، ونادى في حضرته بصوت عالٍ : لا حول ولا قوة إلا بالله . هكذا نمان معاهد آل البيت ! أوليس الإمام زين العابدين جدي وجدك ؟ فكيف يأذن القاضي عبد الرحمن لابراهيم المتولي أن يبني مرحاضاً يرتفق به في الجامع الأموي بحجرتة ، ويكون مسقطه تحت محراب الامام المذكور ؟ فغضب الوزير لذلك . غير أنه استبعده . فكتب ورقة الى القاضي يلومه على الصنع المذكور إن كان واقعاً ، وأرسل الورقة مع النقيب . وضمّ معه جاويشاً من خدمة الديوان . فلما قرأ القاضي الورقة علم أن الرساية به كانت من النقيب . فشمته وقال له : قم واكشف أنت على الموضوع فإن كان كما ذكرت أزلناه . وأمره بعد الكشف بالعود إليه . ورسم عليه ليرجع اليه . فذهب الى المسكان فلم يجد شيئاً مما أنهى الى الوزير . فسقط في يده . فرجع الى القاضي وقال له : ما صدر شيء من ذلك . فقال له : فحينئذ كيف أقدمت على الشكاية الموجبة لعظيم النكاية من غير أن تتحققى الحال ؟

ثم إن القاضي ركب وأخذ النقيب المذكور أمام فرسه ماشياً الى منزل الوزير بدار الامارة بدمشق ، وهو يشتمه ويغلظ عليه الكلام . فلما وصل الى حضرة الوزير قصداً عليه القصة فأظهر له القاضي ما عنده من القصة وقال :

هكذا ينسب اليّ هذا الحديث ، مثل هذا الحديث ، من غير أصلٍ
يُعتمدُ عليه ولا وثوقٍ (١) يميل في أخباره اليه .

فقال الوزيرُ للنقيب : قد تهورتَ بحمقٍ عجيب . وأنت تعرف
أنّ عند الحكّام عصاً للتأديب . ولولا شرفك لثالك من القاضي العقاب
الغريب . فقم ولا تتعدّ إلى أمثالها . فإنك تُبلى بانكالها .

فقام النقيب إلى الفراش ، ومرض وعدم الانتعاش . إلى أن حُقّ
عليه الفوت ، واتصف بداء الموت .

وبلغني من كثيرٍ من ثقات الناس أنه قال لأخيه : إنّ الأجل مقدر .
ولكن لكل موتة سبب مقدر . وسبب موته هدة القاضي ، وما عاتبه
من الكلام الذي لم يكن عنه بالمتغاضي . وكانت وفاة النقيب في شعبان
من سنة تسعٍ بعد الألف . ودُفن بمقبرة باب الصغير . وسيأتي ذكره
في حرف الزاي بعون الملك القدير .

والمتمولّي ابراهيم المذكور كان في داخل حرم السلطان جاشنكير .
ومعناه أنه يذوق الطعام الذي يُقدّم إلى السلطان ليطمئن خاطره بأكله ،
وهو واقفٌ أمامه بالحياصة من الذهب والطاقية من الذهب .

وحاصلُ الأمر أنّه من محاسن أبناء نوعه وبمن يأمنه الإنسان على
نفسه وعرضه . وذلك قليل في أبناء الزمان وفقنا الله وإيَّاه ، إلى ما يجبه
ويرضاه . آمين . آمين .

يا خليلي عدياً عن حديث المسكارم
من كفى الناس شرّه فهو في جودِ حاتم

فهرس تراجم الاثميانه في الجزء الاول

من ص ٣ الى ٤٠ (١)	مقدمة المحقق
٦ - ٣	مقدمة المؤلف
٧	١ - احمد الطيبي الأكبر
٩	٢ - احمد الطيبي الكبير
١٦	٣ - احمد الطيبي الصغير
٢٥	٤ - احمد الفلوجي
٢٧	٥ - احمد شهاب الدين الغزالي
٣٣	٦ - احمد القابوني
٣٦	٧ - احمد بن سليمان
٤٠	٨ - احمد بن حسن الجباوي
٤٣	٩ - احمد العيثاوي
٤٨	١٠ - احمد بن مفلح
٥١	١١ - احمد الشويكي
٥٣	١٢ - احمد بن الأكرم
٦٠	١٣ - احمد بن المعمار
٦٢	١٤ - احمد بن قاهم المصري
٦٥	١٥ - احمد بن التينة
٦٦	١٦ - احمد بن حسن بك
٧٣	١٧ - احمد طاش كبري زاده
٧٧	١٨ - احمد جليبي بن اسكندر

(١) أرقام مقدمة المحقق من تحت ، وأرقام النص من فوق .

ص	
٨٥	١٩ - احمد الاياشي
٩٢	١٩ - احمد الغناياتي (١)
١٠٩	٢٠ - احمد المؤذن الضرير
١١٠	٢١ - احمد الكردي
١١٢	٢٢ - احمد الجوهري
١١٧	٢٣ - احمد البهنسي
١١٩	٢٤ - احمد بن عبد الهادي
١٢١	٢٥ - احمد محيطي
١٢٤	٢٦ - احمد الخالدي الصفدي
١٣٣	٢٧ - احمد العجبي
١٣٧	٢٨ - احمد المصري
١٣٩	٢٩ - احمد بن شاهين
١٥٦	٣٠ - احمد خان الكيلاني
١٥٩	٣١ - احمد المكفثاني
١٦٠	٣٢ - احمد الايدوني
١٦١	٣٣ - احمد بن روح الانصاري
١٦٣	٣٤ - احمد بن المنقار
١٧٨	٣٥ - احمد بن أسد
١٨٠	٣٦ - احمد بن الملا
١٨٦	٣٧ - احمد بن قانصوه الغزالي
١٨٨	٣٨ - احمد باشا ، شمسي
١٩١	٣٩ - احمد بن رضوان
١٩٣	٤٠ - احمد المجاور

(١) تكرر الرقم ١٩ مرتين فأصبحت أرقام التراجم التالية غلطاً فيجب زيادتها واحداً

ص	
١٩٤	٤١ - احمد الصامتي
١٩٦	٤٢ - احمد شيخ زاده
١٩٨	٤٣ - احمد باشا الوزير
٢٠١	٤٤ - احمد باشا الحافظ
٢٢٠	٤٥ - احمد المنصور سلطان مرآكش
٢٢٣	٤٦ - احمد ، السلطان العثماني
٢٣٤	٤٧ - ابو يزيد ، السلطان العثماني
٢٣٩	٤٨ - ابو السعود المفسر
٢٤٥	٤٩ - ابو طالب الحسيني
٢٤٧	٥٠ - ابو قاسم السفيني
٢٤٩	٥١ - ابو الفتح المالكي
٢٥٦	٥٢ - ابو السرور البكري
٢٥٨	٥٣ - ابو المواهب البكري
٢٦٠	٥٤ - ابو الجود البتروني
٢٦٣	٥٥ - ابو اليمن البتروني
٢٦٦	٥٦ - ابو الطيب الغزي
٢٧٤	٥٧ - ابو سعيد التبريزي
٢٧٥	٥٨ - ابو بكر المغربي
٢٧٦	٥٩ - ابو بكر الصهيوني
٢٧٩	٦٠ - ابو بكر الذباح
٢٨٣	٦١ - ابو بكر الجوهرري
٢٨٨	٦٢ - ابو بكر العمري
٢٩٢	٦٣ - ابو بكر السقاف

ص	
٢٩٤	٦٤ - ابو بكر الكوردي العمادي
٢٩٦	٦٥ - ابو بكر المقدسي
٢٩٩	٦٦ - ابو بكر بن محمد
٣٠٠	٦٧ - ابراهيم ابن الطباخ
٣٠٤	٦٨ - ابراهيم بن الأحمد
٣٠٥	٦٩ - ابراهيم الجبائي
٣٠٧	٧٠ - ابراهيم المقدسي
٣٠٩	٧١ - ابراهيم الطالوي
٣١٤	٧٢ - ابراهيم المنجكي
٣١٧	٧٣ - ابراهيم بن الجراح
٣١٩	٧٤ - ابراهيم باشا الشهير بجاجي
٣٢١	٧٥ - ابراهيم باشا الشهير بدالي
٣٢٣	٧٦ - ابراهيم باشا
٣٢٦	٧٧ - ابراهيم آغا جاشنكير

استدراك

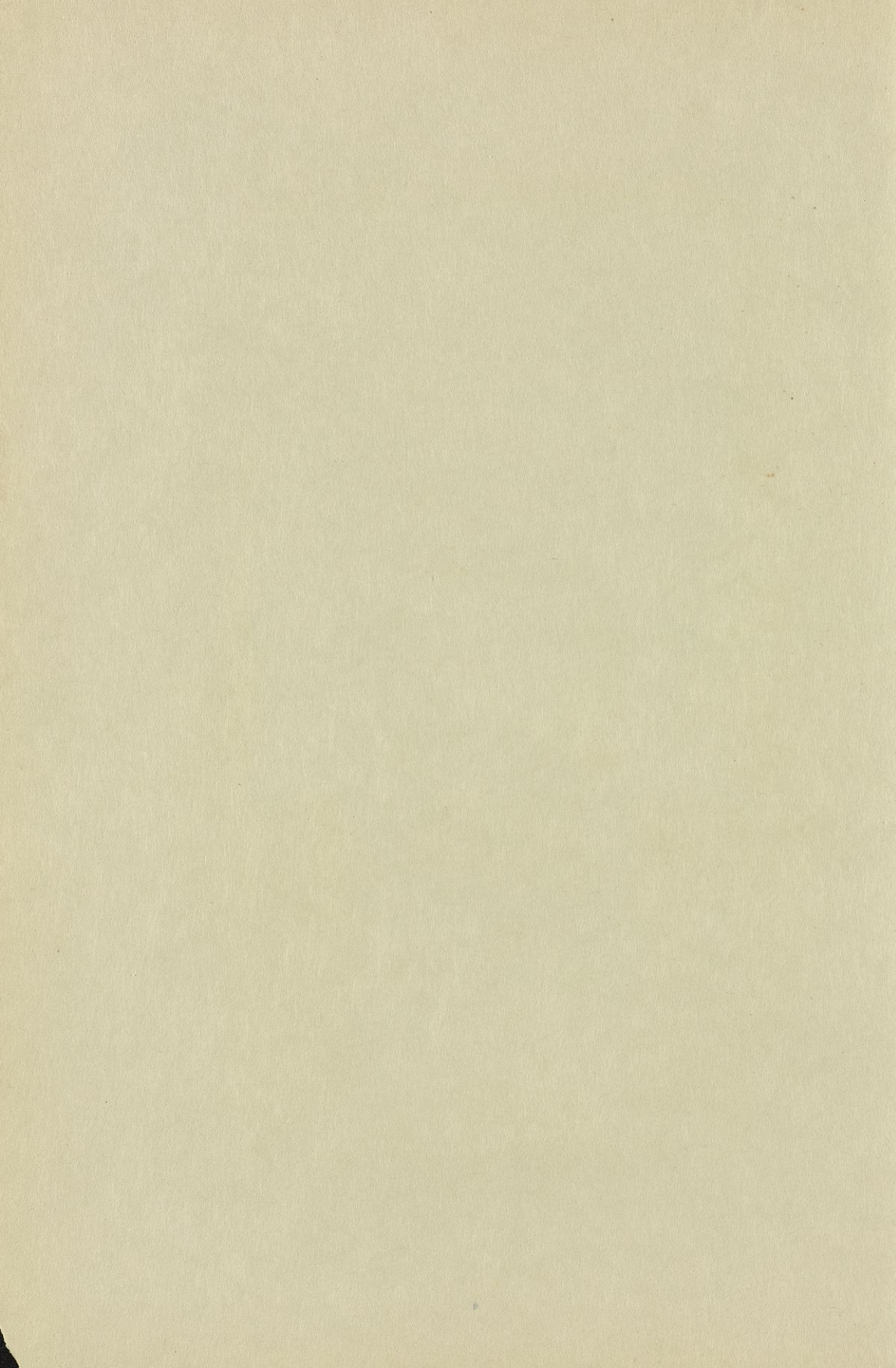
وقعت أخطاء مطبعية نصحتها فيما يلي :

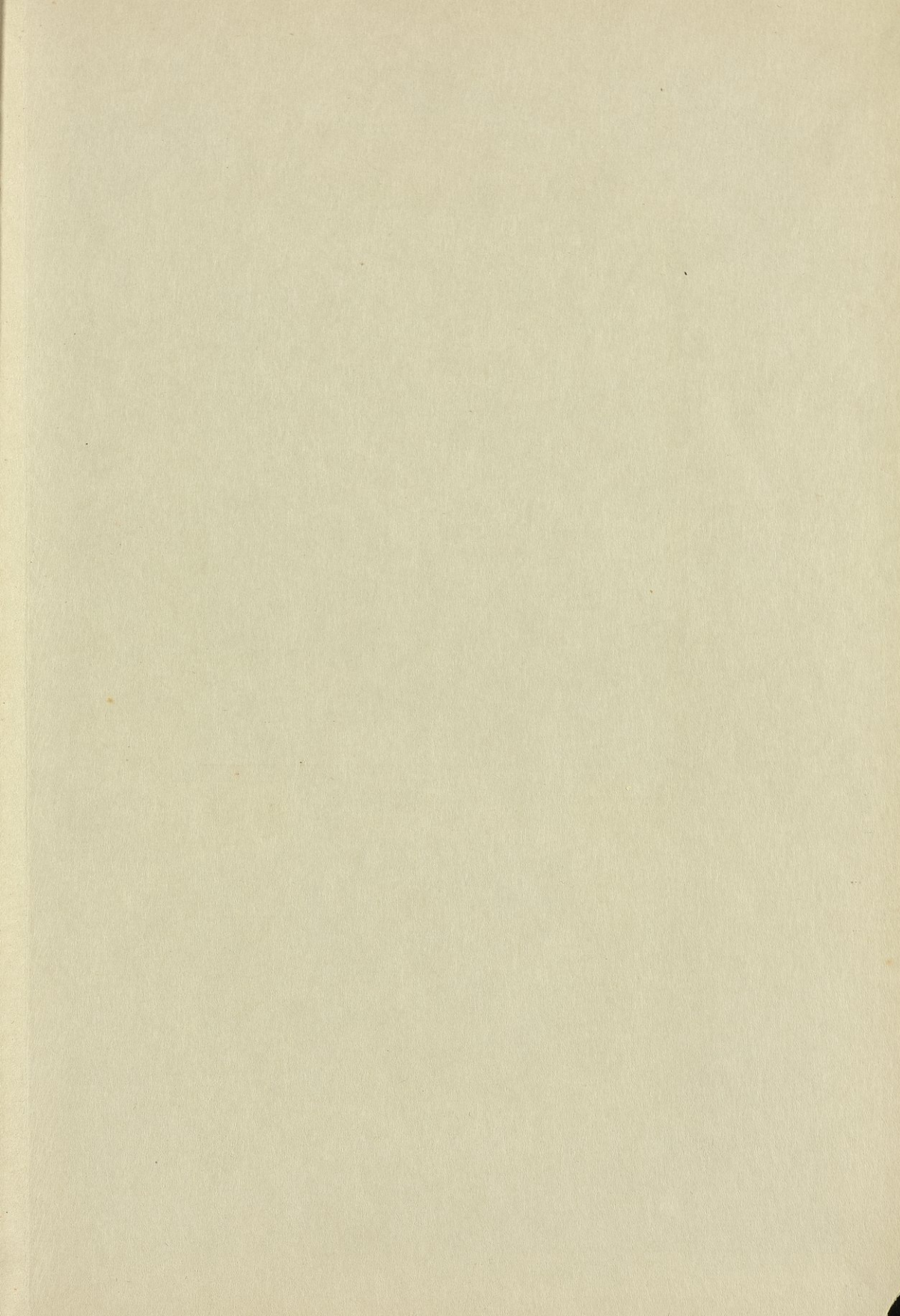
ص ١٣ مقدمة ،	س ١١	سكنت في أهلي	سكنت في بيت أهلي
ص ١٥ »	س ١٣	ذبوع	ذبوع
ص ٤ من الاصل،	س ٢	سقطت من الهامش الحاشية المتعلقة بابن شداد . فأضف ما يلي : « التف ابن شداد (يوسف بن رافع) سيرة صلاح الدين . توفي سنة ٦٣٢ هـ . انظر وفيات الأعيان . ٨١/٦ .	
ثم صحح ارقام الحواشي الأخرى .			
ص ٥ ،	س ١	اتفق	اتفق
ص ٥ ،	س ٢٤	داعيت	راعت
ص ٩ ،	س ١٠	الكفر سوسي	الكفر سوسي
ص ٩ ،	س ١٦	تولى	تولى
ص ١٠ ،	س ١١	مرتبة	مرتبة
ص ١٢ ،	س ١٢	ينظم	ينظم
ص ١٢ ،	س ٢٠	اسكان ثانية	إسكان ثابته
ص ١٣ ،	س ٩	دعاه	وعاه
ص ١٣ ،	س ١٨	القرية	القربة
ص ١٤ ،	س ٢٣	دات	ذات

الاستفتاء	الاستفتاء	ص ١٧ ، س ٧
الجناح	الجناح	ص ٢٠ ، س ١٢
مدت	مرت	ص ٢٣ ، س ١٠
لا تبدأ	لا تبدأ	ص ٢٣ ، س ١٧
فطور	فطور	ص ٢٩ ، س ٨
حسن	حسين	ص ٤٠ ، س ١
المحي	المحي	ص ٤٣ ، س ١٧
الرُّجَيْحِي	الرُّجَيْحِي	ص ٤٩ ، س ١٧
٤	٣	ص ٥٢ الحاشية الأخيرة
مقايسة	مقايسة	ص ٦٢ ، س ١٢
الأرب	الأدب	ص ٦٧ ، س ١٧
كل	في كل	ص ٦٩ ، س ٧
كفّي	كفّي	ص ٧١ ، س ٣
الزلل	الذلل	ص ٨٢ ، س ١٥
يجعل ٢٠ وتصح بعد ذلك	الرقم ١٩	ص ٩٢ ،
أرقام الترجمات الآتية		
قد	قد	ص ٩٩ ، س ٥
يُقال له القاضي	يُقال القاضي	ص ١٢٤ ، س ١١
يُشَبَّه	يُشَبَّه	ص ١٣٢ ، س ٨
المصري	المصري	ص ١٣٧ ، س ١
الرفيق	الرفيق	ص ١٣٧ ، س ٨
تغنياً	تغنياً	ص ١٤٥ ، س ٧
العبارة	العبادة	ص ١٤٧ ، س ٤
لو	لو	ص ١٤٨ ، س ٢

أنفك	أنفك	ص ١٥٤ ، س ٣
عرض لي	عرض له	ص ١٦١ ، س ١٣
قضاة	فضاة	ص ١٦٨ ، س ١٤
ضمماً	ضمماً	ص ١٧٣ ، س ٨
النما	النه	ص ١٧٥ ، س ٣
حتماً	حتمه	ص ١٧٧ ، س ٣
سيئ	سيء	ص ١٧٩ ، س ١١
سيوفهم	سوقهم	ص ٢١٣ ، س ١
الطغاة	الطعام	ص ٢١٣ ، س ٢
بالكفر	بالكفر	ص ٢١٣ ، س ٧
المواقف	المواقب	ص ٢١٣ ، س ٨
خنازير	خنازير	ص ٢١٣ ، س ٩
لطاغيتهم	لطاغيتهم	ص ٢١٣ ، س ١٠
الكبير	الكبير	ص ٢١٣ ، س ١١
الجود	الجرد	ص ٢١٣ ، س ١١
اسلافاً	اسلاباً	ص ٢١٣ ، س ١٦
المناسبة	المناسبة المناسبة	ص ٢١٧ ، س ١٧
المدكور	المدكور	ص ٢٢١ ، س ٣
شوكته	شوكة	ص ٢٢١ ، س ١٦
الخاقان	الخاقان	ص ٢٢٣ ، س ١٧
وزياده	وزده	ص ٢٢٤ ، س ٧
داخل	داخل	ص ٢٢٤ ، س ١٠
هية	هية	ص ٢٢٤ ، س ١٨
تحالفا	تحالفا	ص ٢٢٥ ، س ٢٤

أبو يزيد	أبو زيد	ص ٢٣٤ ، س ١
أنسها	أنسها	ص ٢٣٨ ، س ١٠
قوانين	قوانين	ص ٢٤٢ ، س ٤
سائر	سائر	ص ٢٤٥ ، س ١٧
المشروح	المشروح	ص ٢٧٢ ، س ١٥
أبي الوفا	أبو الوفا	ص ٢٧٤ ، س ١٥
تنوح	تنوح	ص ٢٨٥ ، س ١٥
عند	عند	ص ٢٨٥ ، س ١٦
فأطعت	فأصعت	ص ٢٩٠ ، س ١٣
أتمني	أتمني	ص ٢٩٠ ، س ١٥
منتظم	منتظم	ص ٢٩١ ، س ١٤
للهؤلئف	للهؤلئف	ص ٣٠٢ ، س ٩
في عد	في عد	ص ٣٠٣ ، س ٢
لم يعط	لم يعط	ص ٣١٠ ، س ١٤
أذربيجان	أذربيجان	ص ٣٢٠ ، س ٢٠





COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0061887307

893.7112
B917

1

08193975

893.7112
B517 VI C1

BOUND

AUG 18 1961

